هيثم الزبيدي: دع الثقافة وشاهد التلفزيون
خلدون الشمعة: أفول عصر التنوير
أوس داوود يعقوب: نذير نبعة صانع ألوان دمشق
آراء الجرماني: مكاشفة مع يوسف بزي
إدريس الكنبوري: امبيرتو إيكو وفكرة الاختلاف
تحسين الخطيب: جائزة رابطة القلم الأميركية للشعر
حسام جيفي: الشعر ينقذ العالم
أمير العمري: ميشيل خليفة سينما الذاكرة
ص11 إلى 16

وجوه

دنيس روس ص 7
إيران تخرب بنية دول المنطقة
منى مينا ص 8
مقاتلة من أجل الإنسان حاربت ثنائية الحكومة والإخوان
الرقم العربي ص 9
غائب أم حاضر بين الحضارات
فخر النساء زيد ص 10
رسمت من أجل أن تحب لا من أجل أن تفهم

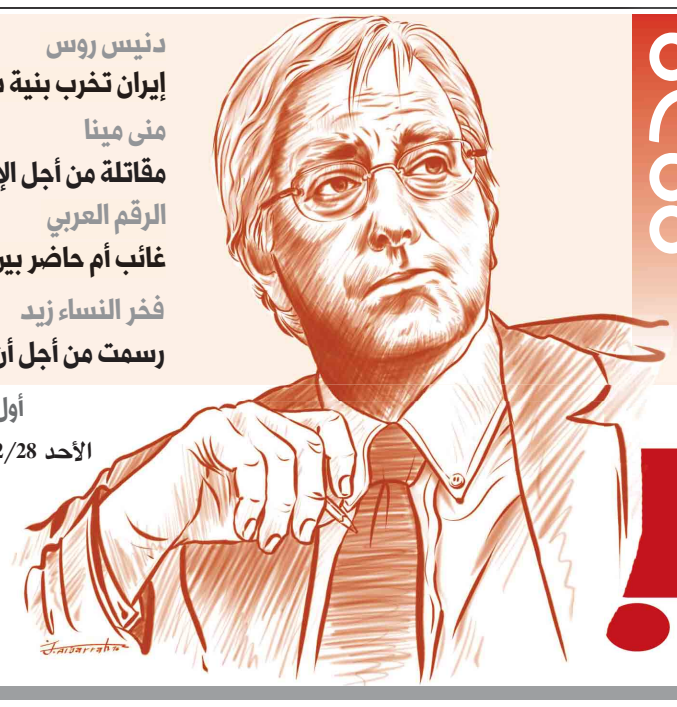

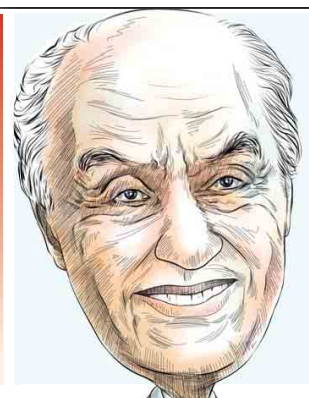

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/02/28 – الموافق لـ 19 جمادى الأولى 1437
السنة 38 العدد 10199

Sunday 28/02/2016
38th Year, Issue 10199

الانتخابات الإيرانية.. هامش التغيير محدود

● المتشددون يسيطرون على السياسات الخارجية

❑ **طهران** – قلّل مراقبون من التفاؤل بشأن نتائج الإصلاحيين في الانتخابات التشريعية الإيرانية التي جرت الجمعة، معتبرين أن هامش التغيير محدود في ظل السيطرة التي يفرضها المتشددون على المؤسسات الرقابية وعلى السياسات العامة في البلاد.

وقال مسؤولون بوزارة الداخلية إن فرز الأصوات في طهران ومدن أخرى لم يستكمل بعد لكنّ نتائج أولية أذاعتها وكالتا فارس ومهر للأنباء تشير إلى تقدم نسبي للإصلاحيين والمستقلين المرتبطين بهم على المتشددين في عدة مدن.

وأشار المراقبون إلى أنه حتى وإن لم يفز الإصلاحيون بأغلبية في البرلمان المكون من 290 مقعدا ويهيمن عليه منذ عام 2004 محافظون مناهضون للغرب فإنهم سيضمنون وجودا أكبر ممّا حققوه في الانتخابات السابقة.

وذكرت وكالة أنباء الطلبة الإيرانية أن النتائج الأولية أظهرت تقدم الإصلاحيين في التنافس على عضوية مجلس الخبراء ذي النفوذ، والمكلف باختيار المرشد الأعلى الذي يمثل أعلى سلطة في البلاد.

وتزامنت الانتخابات التي أجريت الجمعة لاختيار مجلس الخبراء الذي يضم 88 مقعدا مع انتخابات البرلمان المؤلف من 290 مقعدا.

وقال سعيد ليلاز، وهو محلل سياسي وخبير اقتصادي شغل منصب مستشار للرئيس الأسبق محمد خاتمي، إن المؤشرات الأولية فاقت توقعات الإصلاحيين.

وأضاف لرويترز "يبدو أن عدد المرشحين الذين ينتمون للمجموعات الإصلاحية والمستقلة سيكونون الأغلبية في البرلمان وآمل أن يكون البرلمان الجديد مثاليا لنا".

وتابع "توقعاتنا المبدئية لمجلس الخبراء كانت بين 15 و 20 بالمئة لكن يبدو أنها ستتجاوز ذلك".

وتدفق عشرات الملايين من الناخبين على مراكز الاقتراع الجمعة للإدلاء بأصواتهم في انتخابات البرلمان ومجلس الخبراء والتي يرى المحللون أنها قد تكون علامة فارقة بالنسبة إلى إيران التي توجد فيها فئة شبابية دون سن الثلاثين وتمثل ما يقرب من 60 بالمئة من سكانها البالغ عددهم 80 مليون نسمة.

ومن الواضح أن المشاركة الكبيرة في الانتخابات، خاصة من جانب الشباب، كان هدفها التعبير عن يأسهم من سيطرة المتشددين على الحياة العامة منذ ثورة آية الله الخميني في 1979، ورغبتهم في الدفع بأسماء جديدة في البرلمان مع معرفتهم أن هامش التأثير محدود.

لكنّ متابعين للشأن الإيراني لفتوا إلى أن الإقبال الكبير يعود إلى ضغوط مورست على الإيرانيين للمشاركة بينها مخاوف من رقابة الأجهزة الأمنية، وأخرى تتعلق بالمصالح خاصة ضعاف الحال، فمن لا يصوت يتم إيقاف راتب التموين الغذائي عنه.

وقد ينجح الإصلاحيون في البرلمان في تحقيق بعض المكاسب المحدودة في المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي، لكن لا يمكن الحديث عن تغييرات جوهرية يمكن أن يحدثوها في مجال الحريات أو في السياسات الخارجية التي يتحكم بها مجلس الخبراء والمرشد الأعلى علي خامنئي.

ولم يسمح مجلس صيانة الدستور الذي يهمين عليه المتشددون سوى بترشح المرضيّ عنهم، وقد أطاح بحوالي نصف المرشحين والذين يفوق عددهم 12 ألفا من الذين سجلوا أسماءهم للمشاركة في هذه الانتخابات، وكان أغلب المستبعدين من الإصلاحيين.

ويجد الرئيس حسن روحاني، الذي يعتبر من الإصلاحيين، نفسه مجبرا على تنفيذ سياسات المتشددين، وتجنب الاصطدام بهم، وهو ما يؤكد أن الرهان على تغيير نوعي في المشهد الإيراني بمثابة الأمر المستبعد سواء في قضايا الداخل أو الخارج.

وقال توماس إردبرينك الكاتب في الشؤون السياسية في النيويورك تايمز الأميركية إن أفضل ما يمكن أن نأمله الآن هو وجود أقلية قوية من الإصلاحيين والمعتدلين في البرلمان الجديد.

وأضاف إردبرينك أنه من غير المرجح أن تتغير السياسة الخارجية الإيرانية، التي يسيطر عليها المرشد الأعلى والذي لا يخفي الرغبة في استمرار سياسة العداء تجاه الغرب.

ويصرّ خامنئي على أن الاتفاق النووي لم يكن الخطوة الأولى في إجراء مصالحة واسعة مع الغرب. وكان واضحا عندما توقع منذ أيام بأن البرلمان الجديد سوف يكون معاديا للغرب.

ولا شك أن البرلمان الجديد لن يقدر على الاعتراض على سياسات إيران في المنطقة، وسيكون داعما لها حتى ولو استأثرت بجانب كبير من الأموال التي ستحصل عليها البلاد بعد رفع العقوبات الغربية عنها.

وأكد دنيس روس، عرّاب السياسة الخارجية الأميركية ومهندسها لعقود من الزمن، في تصريحات خاصة لـ"العرب" أنه لا وجود لأيّ دليل حتى هذه اللحظة على تغيّر سلوك إيران في المنطقة بعد توقيع الاتفاق، كما كان الرئيس الأميركي باراك أوباما يروّج.

كما أن طهران حسب روس "مازالت تدعم الجماعات الإرهابية، كحزب الله والميليشيات الشيعية الأخرى. وخطابها العدائي ضد أميركا ازداد شراسة على لسان المرشد العام خامنئي، وفي الحملات الانتخابية" الأخيرة.

وأوضح روس (المقابلة ص7) أن إيران "تلعب اليوم دورا مخرّبا في العراق. وتمنع رئيس الوزراء حيدر العبادي من تسليح القبائل السنية لمحاربة داعش، بالإضافة إلى اعتقالها مواطنين أميركيين".

وأضاف "ما يبدو حتى الآن هو أن حجة واشنطن بأن هذا الاتفاق سيغيّر من طبيعة إيران وسيقوم على تقوية التيار الإصلاحي فيها غير واقعية بالمرة. بل على العكس من ذلك نلاحظ أن التيار المتشدّد ما زال هو المسيطر هناك".

لا أمل في تغيير جدي

وقف النار.. غطاء لحرب على السوريين
خيرالله خيرالله
ص 5

لا تحارب الإسلام السياسي في مصر ثم تبتسم لحزب الله
أحمد عدنان ص 6

إشارات متضاربة لبوتفليقة بشأن التقارب مع المغرب

❑ **الجزائر** – كرّر الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة السبت دعمه لجهود الأمم المتحدة لإحياء المفاوضات بين الرباط وجبهة البوليساريو بهدف التوصّل إلى حل يقوم على حق تقرير المصير في قضية الصحراء.

ويعيد هذا التصريح العلاقات بين الجزائر والمغرب إلى المربع الأول في تناقض صريح مع البرقية التي أرسلها بوتفليقة إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس في الـ17 من فبراير وعبّر فيها عن الاستعداد للتعاون مع المغرب من أجل مواجهة تحدّيات المرحلة على مستوى اتحاد المغرب العربي.

وتزامن موقف بوتفليقة مع زيارة مرتقبة للأمين العام للأمم المتحدة إلى المنطقة لبحث ملف الصحراء.

وقال مراقبون إن الرئيس الجزائري عجز عن التخلص من الرؤية التقليدية لبلاده تجاه ملف الصحراء رغم التغييرات الداخلية الكبيرة التي أجراها، وتخلص بمقتضاها من قيادات عسكرية تتهم بأنها ورطت الجزائر في قضية الصحراء وأرهقت كاهلها.

ومن الواضح أن بوتفليقة ما يزال واقعا تحت تأثير هذه القيادات وإلا لكان أقدم على تعديل موقف بلاده من جبهة البوليساريو ودفع نحو حل نهائي للصحراء بشكل يؤسس لعلاقات جيدة مع المغرب مثلما عكست ذلك برقيته إلى العاهل المغربي بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لإعلان قيام الاتحاد المغاربي.

وأعلن الرئيس الجزائري في تلك البرقية أن تحقيق وحدة المغرب العربي بات "أكثر من ضرورة" في وقت تتعرض فيه المنطقة إلى "تحديات على جميع المستويات".

وبدا بوتفليقة حريصا على تقوية التعاون المغاربي حين جدد "حرص الجزائر العميق وعزمها الراسخ على العمل مع سائر شقيقاتها في المنطقة، في سبيل الحفاظ على مكتسبات هذا الإنجاز التاريخي، والسعي الجاد من أجل تطوير مؤسساته وهياكله، وإعادة النظر بعمق في منظومته التشريعية ومنهجية عمله ضمن استراتيجية مغاربية منسجمة ومندمجة، من شأنها أن تجسّم هذا المشروع الحضاري".

واعتبر المراقبون أن البرقية تشير إلى تغيير في الموقف الجزائري، أقلّه من الناحية النظرية، لكنهم لفتوا إلى أن هذا التغيير تنقصه خطوات عملية، خصوصا أن الجزائر لم تقدم على أيّ مبادرة تعكس نيّتها في الانتقال إلى إيجاد انفراج حقيقي في العلاقة مع المغرب.

وأشاروا إلى أن الرئيس الجزائري يمكن أن يحقق اختراقا في البرود الحالي مع المغرب من خلال خطوتين هامتين؛ الأولى تخص إعادة فتح الحدود البريّة بين البلدين المغلقة منذ العام 1994، والثانية وهي الأهم وتخص التوقف عن شن حرب بالوكالة على المغرب عن طريق البوليساريو.

تونس تصرف القروض لزيادة رواتب القطاع العام وليس لخلق فرص عمل جديدة

❑ **تونس** – دعا الممثل الجديد لصندوق النقد الدولي في تونس، روبرت بلوتيفوغل، السلطات التونسية إلى إعادة النظر في نموذجها التنموي حتى تحقق نموا اقتصاديا أقوى، لافتا إلى أنها تصرف القروض على رواتب موظفي القطاع العام وليس على مشاريع استثمارية.

ورفعت احتجاجات 2011 التي أطاحت بالرئيس السابق زين العابدين بن علي شعارات مطالبة بتوفير فرص العمل للمناطق الداخلية المهمشة.

لكن حكومات ما بعد الثورة ركزت جهودها على استرضاء النقابات بالزيادة في الرواتب لمرات متتالية لقطاعات ذات وزن بشري مثل التعليم والأمن، فيما أهملت البحث عن حلول لأزمة البطالة.

وطالب مسؤول صندوق النقد الدولي السلطات التونسية بتغيير سياستها المالية الحالية.

وقال بلوتيفوغل "نواجه مشكلة في تركيبة ميزانية الدولة. في الواقع، تم التحكم في العجز الإجمالي للميزانية، وهذا شيء جيد، لكن تركيبة النفقات تدهورت وعرفت كتلة الرواتب زيادة هامة".

وأشار إلى أن تونس أصبحت تخصص اعتمادات مالية كبيرة في ميزانيتها لرواتب موظفي القطاع العام، معتبرا ذلك أمرا "غير موات للاستثمار والنمو".

وأغرقت حكومات ما بعد الثورة، وخاصة في فترة حكم حركة النهضة الإسلامية، القطاع العام بالآلاف من أنصارها في ظل قانون فضفاض للعفو التشريعي يسمح لكثيرين بالاندماج في القطاع العام والحصول على تعويضات من الدولة لكونهم معارضين في الفترة السابقة.

ويضغط اتحاد الطلبة، ذو التوجه اليساري، لدفع الدولة إلى توظيف المئات من أنصاره بزعم أنهم كانوا ممنوعين من الوظيفة في عهد بن علي. وتظاهر الآلاف من الأمنيين الخميس للمطالبة بزيادات كبيرة في الرواتب.

وفي سبتمبر الماضي، أعلنت المديرة العامة لصندوق النقد الدولي كريستين لاغارد خلال زيارة إلى تونس أن قيمة "فاتورة الأجور المتنامية في القطاع العام" تعادل نحو 13 بالمئة من إجمالي الناتج المحلي للبلاد، معتبرة أنها "من أكبر فواتير الأجور في العالم".

وقال مسؤول الصندوق في تونس "يجب عكس هذا الاتجاه وتوجيه النفقات نحو الاستثمارات العمومية التي تلعب دورا هاما جدا في استئناف النمو والحد من التفاوت المناطقي".

وتابع "لكي يشمل النمو الفئات الأكثر ضعفا والمناطق المحرومة، يتعين فعلا إعادة تشغيل الماكينة الاقتصادية لتونس".

وشهدت تونس في يناير الماضي احتجاجات شعبية على الوضع المعيشي، كانت الأوسع منذ احتجاجات 2011. ولم تتجاوز نسبة النمو في 2015 في تونس 0.8 في المئة. وساهم في جمود الاقتصاد سلسلة اعتداءات دموية استهدفت البلاد.

وقال بلوتيفوغل "المؤشرات الأولى لدينا لا تنبئ بحصول انتعاش كبير" في قطاع السياحة الذي يشكل أحد أعمدة الاقتصاد التونسي، مرجحا أيضا انخفاض صادرات زيت الزيتون هذا العام، بعدما كانت بلغت مستويات غير مسبوقة السنة الماضية.

وأضاف "نحن متفقون على أنه لا يجب أن نستدين لمجرد الاستدانة"، داعيا إلى "وضع أسس نمو شامل وإعادة صياغة نموذج التنمية" في تونس حتى تتمكن البلاد من تحقيق نسب نمو "أقوى وأسرع" وتوفر فرص عمل للعاطلين عن العمل.

وطلبت تونس خطا ائتمانيا جديدا من صندوق النقد الدولي لا تقل قيمته عن 1.7 مليار دولار، حسبما أعلن محافظ البنك المركزي الشاذلي العياري في سبتمبر الماضي.

وكان الصندوق منح تونس في 2013 خط ائتمان بقيمة 1.7 مليار دولار على عامين (تم تمديدهما سبعة أشهر) بهدف دعم الانتقال الديمقراطي فيها.

وقال بلوتيفوغل لوكالة فرانس برس إن مفاوضات الصندوق مع الحكومة التونسية حول خط الائتمان الجديد "تتقدم بشكل جيد".

وأضاف "نحن متفقون على الهدف من الإصلاحات الكبرى، وعلى تشخيص الاقتصاد ووضعه الراهن. هناك تناغم تام في وجهات النظر والآن المناقشات تتركز خصوصا على روزنامة التنفيذ".

وذكر أن برنامج المساعدة الجديد يمتد على أربع سنوات، وأن مجلس إدارة الصندوق سيتخذ قرارا بخصوص هذا البرنامج في 22 أبريل القادم.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

توقيت جولة بان كي مون في المنطقة يثير تحفظات المغرب

الأمم المتحدة تعلن أن زيارة أمينها العام لا تشمل الرباط

يثير توقيت زيارة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون إلى المنطقة المغاربية تحفظات الرباط، خاصة وأنها تأتي قبيل إصدار المنظمة الأممية لتقريرها السنوي بشأن قضية الصحراء المغربية.

محمد بن امحمد العلوي
فاطمة كريم الله الزهراء

توقيت خاطئ

□ **الرباط** – أعلنت الأمم المتحدة الجمعة، أن أمينها العام بان كي مون سيقوم الأسبوع المقبل بجولة في شمال أفريقيا مخصصة لقضية الصحراء، لكنه لن يزور المغرب كما كان مقررا.

وكان بان كي مون يعتزم زيارة الرباط، فضلا عن زيارة العيون كبرى مدن الصحراء، ولكن مصادر مغربية تحدثت عن وجود تحفظ من المملكة على هذه الزيارة.

وأورد المتحدث باسم المنظمة الدولية ستيفان دوجاريك أن "الأمين العام لن يتوجه إلى الرباط، فملك (المغرب) لن يكون هناك". وأضاف "بالتأكيد، سيكون (بان) مسرورا بالذهاب إلى الرباط في أيّ وقت".

ويزور بان الجزائر في الخامس من الشهر المقبل حيث سينتقل لمخيمات اللاجئين في تندوف. وسيزور مكاتب بعثة الأمم المتحدة في الصحراء لكن ليس مقرها العام في العيون.

وستسبق هذه الزيارة محطتان في بوركينا فاسو وموريتانيا يومي 3 و4 مارس.

وأوضح المتحدث أن "من حق الأمين العام بالتأكيد أن يزور أيّ بعثة لحفظ السلام، لكن ينبغي على قوى الأمر الواقع في هذه المنطقة أن تأذن لطائرته بالهبوط فيها".

وهذه أول زيارة للأمين العام للمنطقة يخصصها لقضية الصحراء المغربية، علما بأن الأمم المتحدة تحاول منذ 1992 إجراء استفتاء حول تقرير المصير في هذه المنطقة التي يتنازعها المغرب وانفصاليو جبهة البوليساريو بدعم من الجزائر. وكان سلف بان كي مون كوفي أنان قد زار الرباط والعيون في العام 1998.

ويرى محللون أن تحفظ المغرب على زيارة الأمين العام الحالي للأمم المتحدة يعود إلى توقيتها، كما أن الإعلان عنها تم من الجزائر التي تعتبر طرفا رئيسيا في افتعال هذا النزاع على أرض مغربية.

وقال منار السليمي، مدير المركز المغاربي للدراسات الأمنية، لـ"العرب": لا يمكن لبان كي مون أن يفرض أجندة زمنية لزيارته إلى المغرب.

وعدّد السليمي جملة من الأسباب التي تدفع الرباط للتحفظ على هذه الزيارة من بينها أن وزارة الخارجية الجزائرية هي التي أعلنت عنها وأدخلت ضمنها المغرب، وهو ما اعتبره السليمي محاولة خلق نوع من التوتر بين المنظمة الأممية والمغرب كورقة جديدة توظفها الجزائر قبل اجتماع مجلس الأمن في أبريل القادم بخصوص ملف الصحراء.

وشدد ذات المتحدث، على أن من الأسباب الأخرى أن قرارات مجلس الأمن الصادرة في ملف الصحراء تظهر أن الجزائر والبوليساريو هما الطرفان اللذان لم يمتثلا لقرارات مجلس الأمن ومنها القرار الأخير 2218 الداعي إلى إحصاء سكان مخيمات تندوف، مضيفا أن زيارة بان كي مون للجزائر سيكون الهدف منها دفعها لفتح المخيمات لإحصاء سكانها.

وكانت وزارة الخارجية الجزائرية قد أعلنت هذا الشهر أن الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون سيقوم في السادس من مارس بزيارته الأولى إلى الجزائر، وستكون مخصصة لقضية الصحراء.

وأفاد بيان للوزارة أن زيارة الأمين العام للأمم المتحدة كانت مدار بحث في العاصمة الجزائرية بين وزير الخارجية رمطان لعمامرة والمبعوث الشخصي لبان كي مون إلى الصحراء، الأميركي كريستوفر روس.

وتلعب الجزائر منذ عقود دورا سلبيا في قضية الصحراء، من خلال إصرارها على دعم جبهة البوليساريو الانفصالية.

وحسب صبري الحو، الخبير في القانون الدولي، فإن جولة بان كي مون لتندوف والجزائر وموريتانيا تدل على أن زيارة كريستوفر روس للمنطقة لم تنجح في انتزاع قبول المغرب بشمله بزيارة بان كي مون، والتي سبق للمغرب التحفظ عنها.

وتبين أيضا وجود توتر حقيقي بين المغرب والأمانة العامة للأمم المتحدة، وما يدل على ذلك هو الحديث عن زيارة بان كي مون لمنطقة بئر لحلو، وهي خلف الجدار الدفاعي المغربي، ويعتبرها المغرب من مسؤولية الأمم المتحدة، بينما تعتبرها البوليساريو منطقة محررة، وتتواجد بها قاعدة المينورسو.

وأضاف صبري الحو أن ذهاب بان كي مون إلى الجزائر يعطي مؤشرا بقناعة الأمم المتحدة لدور الجزائر الرئيسي في النزاع.

وبخصوص تناقض وتخبط الأمم المتحدة والطاقم المحيط بها، أكد منار السليمي على أنهم غير قادرين على احتواء ما يجري في منطقة شمال أفريقيا، محذرا من أن أيّ خطأ في ملف الصحراء بمسايرة مناورات الجزائر من شأنه أن يعصف بالأمن والسلم في شمال أفريقيا ومنطقة المتوسط.

وأكد الطالب بويا ماء العينين، نائب رئيس مركز الصحراء للدراسات والأبحاث، لـ"العرب"، أن الزيارة مبرمجة في وقت غير مناسب، وتأتي على بعد شهر من تقرير الأمين العام السنوي ممّا جعل المغرب غير مطمئن إذ يمكن أن تشكل تشويشا على الموقف الأممي تجاه قضية الصحراء.

وتأتي زيارة بان كي مون بعد أسابيع قليلة على تقديم الأمين العام للأمم المتحدة تقريره السنوي حول تطورات الصحراء إلى مجلس الأمن الذي يعقد دورة اجتماعات سنوية، في الأسبوع الأخير من أبريل المقبل، حيث يصادق فيها على التقرير ويصدر قرار تمديد بعثة الأمم المتحدة في المنطقة (المينورسو) لسنة أخرى.

> تحفظ المغرب على زيارة الأمين العام الحالي للأمم المتحدة يعود إلى توقيتها، كما أن الإعلان عنها تم من الجزائر التي تعتبر طرفا رئيسيا في الأزمة

وقال نوفل البوعمري، الخبير في ملف الصحراء، لـ"العرب"، إن زيارة بان كي مون تكشف حالة اختلال في علاقة المغرب بالأمم المتحدة، والتي تأثرت بسبب سلوكيات مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة كريستوفر روس، هذا الأخير الذي سبق للمغرب أن سجل عليه أكثر من ملاحظة منهجية تتعلق بطريقة عمله التي تجاوزت مهمته المتمثلة في تسهيل التفاوض بين المغرب والبوليساريو.

واعتبر البوعمري، أن توقيت الزيارة ارتبط بالاحتفالات العسكرية للجبهة وهو ما يتناقض مع اتفاقية جنيف للاجئين، وكان على بان كي مون بدل أن يزور المنطقة أن يسجل احتجاجا على الجزائر باعتبارها أرض لجوء، وعلى جبهة البوليساريو باعتبارها تقدم نفسها للعالم كحركة سياسية وليست مسلحة.

تغييرات في قيادة حركة نداء تونس

□ **تونس** – تعمل حركة نداء تونس على إعادة ترتيب بيتها الداخلي وإبعاد عناصر التأزيم عن مراكز القيادة في محاولة لامتصاص غضب العشرات من كوادر الحركة، ووقف سيل الاستقالات.

ومن بين الخطوات التي عمدت إليها الحركة إبعاد حافظ قائد السبسي، نجل الرئيس التونسي، عن رئاسة الهيئة السياسية، والذي سيكتفي بالإشراف على الإدارة التنفيذية لها، وتعيين القيادي رضا بلحاج لهذا المنصب.

وأثار تولي حافظ قائد السبسي لمنصبي رئاسة الهيئة السياسية والإدارة التنفيذية غضبا كبيرا داخل نداء تونس، حيث اعتبرها كثيرون خطوة من الرئيس الباجي قائد السبسي لتوريث نجله الحركة.

غير أن الرئيس قائد السبسي نفى ذلك وصرح بأنه أوصى ابنه حافظ بالابتعاد عن قيادة النداء.

وأكد رضا بلحاج لإذاعة "موزاييك" المحلية إثر تعيينه رئيسا للهيئة السياسية في أعقاب اجتماع لها الجمعة أن الهيئة قررت تشكيل لجنة مكونة من أعضاء من خارجها للإشراف على الإعداد للمؤتمر القادم للحزب.

ويبدو أن الرئيس الباجي قائد السبسي كان خلف اختيار بلحاج للمنصب الجديد، وأن القرار متخذ منذ أن قدّم بلحاج استقالته من منصب رئيس الديوان الرئاسي.

وشهدت حركة نداء تونس خلال الفترة الماضية موجة استقالات وانشقاقا كبيرة، أديا إلى فقدان الحزب الأغلبية البرلمانية لصالح حركة النهضة الإسلامية.

ويرجّح سياسيون أن يلقى تعيين رضا بلحاج على رأس قيادة النداء ترحيبا لا فقط من قبل قيادات النداء وكوادره وقواعده وإنما أيضا من قبل عدد من الأحزاب السياسية لكون التعيين قطع مع مسألة التوريث.

وينتظر أن يعقد رضا بلحاج خلال الأيام القليلة القادمة اجتماعات مع عدد من القيادات الغاضبة في مسعى إلى إقناعها بأن أزمة النداء انتهت بعد استبعاد حافظ قائد السبسي من قيادة الحزب والاكتفاء بمهمة مدير تنفيذي.

وخلال اجتماع الهيئة السياسية الذي حضره عدد من نواب النداء بالبرلمان تم الإقرار بأهمية تواجد كل من رضا بلحاج وحافظ قائد السبسي في الحزب ووضع حدّ للخلافات بينهما على قيادة النداء.

وفي أعقاب الإعلان عن القيادة الجديدة، قال مراقبون إن الهيئة السياسية توصلت إلى اتفاق حول إنهاء الأزمة التي تعصف بالحزب منذ أشهر وذلك من خلال إعادة توزيع للمهام قلصت من صلاحيات حافظ قائد السبسي مقابل صلاحيات أكبر وأهم لرضا بلحاج.

ويعدّ رضا بلحاج، المقرب من الرئيس التونسي، من أبرز قيادات نداء تونس التي رفضت مسألة التوريث باعتبارها تتنافى مع الخيار الديمقراطي وهو موقف غالبية النداءيين.

ورضا بلحاج عضو مؤسس لنداء تونس وشغل عدة مناصب حكومية منها وزير دولة لدى رئيس الحكومة وكاتب عام للحكومة ووزير معتمد لدى رئيس الحكومة خلال عام 2011 ومدير ديوان رئيس الجمهورية ومنصب مدير الديوان الرئاسي العام 2015 قبل أن يستقيل.

التجاذبات النيابية تعطل حكومة الوفاق الليبية

□ **طرابلس** – عكس فشل مجلس النواب الليبي، طوال شهر كامل في تحديد مصير حكومة الوفاق الوطني، المنبثقة عن جلسات الحوار السياسي، عمق الانقسامات داخله.

وعلى مدار فبراير الجاري، فشل المجلس المنعقد في مدينة طبرق شرق ليبيا، أكثر من 5 مرات، في عقد جلسته المعلقة منذ فترة، والمحددة للتباحث حول منح الثقة أو حجبها عن حكومة الوفاق، وذلك بسبب خلافات حادة بين فريقين، أحدهما يؤيد الحكومة، وآخر يعارضها.

واعتبر عضو مجلس النواب طارق الجروشي "أن الحكومة التي تقدم بها فائز السراج لا تلبّي طموحات الليبيين"، مضيفا "الوطنيون داخل مجلس النواب لن يرضوا بهذه الحكومة المعيبة".

وأشار الجروشي، إلى أنه قبل اعتماد حكومة ومنحها الثقة "يجب أن نمنح ضمانات لتنفيذ الشروط التي أعطيت لنا أثناء المشاركة في الحوار السياسي قبل شهور".

> المجلس الرئاسي أعلن، في 14 فبراير الجاري، التوصل إلى تشكيلة حكومة وفاق، مكونة من 18 وزيرا، على أن يتم عرض التشكيلة الجديدة على مجلس النواب لمنحها الثقة، الأمر الذي لم يحسمه المجلس حتى اليوم

ويتفق معه في الرّأي، عضو مجلس النواب خليفة الدغاري قائلا "كتلة السيادة الوطنية في البرلمان، والتي تتكون من 50 عضوًا، قررت عدم منح الثقة للحكومة الجديدة".

وأضاف الدغاري "اطلعنا في مجلس النواب على السّير الذاتية للوزراء الذين قدمهم فائز السراج في تشكيلته الحكومية، فوجدنا أنهم لا يملكون المؤهلات والقدرة الكافية للخروج بالبلاد من الأزمات التي تمر بها، واتصل رئيس مجلس النواب عقيلة صالح بالمبعوث الأممي في ليبيا مارتن كوبلر، وأبلغه بذلك".

في مقابل ذلك وعلى الطرف الآخر، يقف نحو 100 نائب في مجلس النواب (من أصل 200 نائب هم إجمالي عدد نواب البرلمان، بينهم 15 من المقاطعين)، موقف المؤيد والداعم لحكومة السراج.

وأصدر النواب المئة، الثلاثاء، بيانا أعلنوا فيه منحهم الثقة للحكومة الجديدة، متّهمين زملاء لهم مناهضين للحكومة بـ"تعطيل الجلسات بالقوة".

وقال البيان إن "النواب الرافضين لحكومة الوفاق منعوهم بالقوة من إجراء التصويت على منح الثقة للحكومة، رغم بلوغ النصاب القانوني للجلسة".

كما استنكر "اقتحام قاعة البرلمان من بعض الرافضين للاتفاق، ونشرهم الفوضى، وتهديدهم النواب، ومنعهم من التصويت".

وأكد الأعضاء المئة الموقعون على البيان، "تمسكهم ودعمهم للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق، المنبثق عن جولات الحوار السياسي، وموافقتهم على التشكيلة الوزارية، والبرنامج الحكومي الذي عرض في جلسة البرلمان السبت".

من جانبها استنكرت عضو مجلس النواب فوزية أبو غالية، في تدوينة على صفحتها في "فيسبوك"، "منع النواب المعارضين لحكومة الوفاق الوطني، عقد جلسة الثلاثاء، عبر الضغط على بعض النواب بعدم تسجيل حضورهم في كشف حضور الجلسة، ومطالبتهم بعدم الدخول إلى القاعة".

وقالت أبو غالية "الكثير من النواب الداعمين للحكومة دخلوا القاعة، ولكن للأسف ساد جو من الهرج والمرج، وتبادل الاتهامات، والتخوين، والشتائم، وتم الضغط على رئيس البرلمان لإلغاء الجلسة".

وكان المبعوث الأممي إلى ليبيا مارتن كوبلر، قد طالب في أكثر من بيان وتصريح صحفي، أعضاء مجلس النواب بـ"الاضطلاع بمسؤولياتهم، وفقا للاتفاق السياسي، والقيام بما فيه مصلحة ليبيا وشعبها، من خلال اعتماد حكومة الوفاق الوطني".

وفي 17 ديسمبر 2015، وقعت وفود عن ومجلس النواب، والنواب المقاطعون لجلسات المجلس، والمؤتمر الوطني العام بطرابلس (غرب)، إضافة إلى وفد عن المستقلين، وبحضور سفراء، ومبعوثين من دول عربية وأجنبية، على اتفاق يقضي بتشكيل حكومة وحدة وطنية، برئاسة فائز السراج، في غضون شهر من بدء التوقيع.

بانتظار إيقاد شمعة الحكومة

وفي 25 يناير 2016، رفض مجلس النواب التشكيلة الحكومية التي تقدم بها السراج، والمكونة من 32 وزيرا، مطالبا الأخير بتقديم تشكيلة أخرى لحكومة مصغرة، خلال 10 أيام.

وأعلن المجلس الرئاسي، في 14 فبراير الجاري، التوصل إلى تشكيلة حكومة وفاق، مكونة من 18 وزيرا (13 حقيبة وزارية، و5 وزراء دولة، بينهم 3 نساء)، على أن يتم عرض التشكيلة الجديدة على مجلس النواب في طبرق لمنحها الثقة، الأمر الذي لم يتم حسمه حتى اليوم.

العبادي للمتنفذين في السلطة: من أين لكم هذا

رئيس البرلمان العراقي يدعو إلى وساطة أممية لتحقيق مصالحة وطنية

أطلق حيدر العبادي، رئيس الحكومة العراقية، صيحة فزع إزاء استشراء مظاهر الفساد في مؤسسات الدولة، محملا المسؤولية إلى جهات سياسية نافذة، طالب بمحاكمتها، ويقول محللون إن تصريحات العبادي وإن كان وضعت الإصبع على الداء إلا أنها لا تكفي في ظل سطوة المتورطين.

نتاج الفساد

□ **بغداد** – تصطدم جهود رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في مكافحة الفساد وتحقيق مصالحة وطنية حقيقية بنفوذ أحزاب سياسية وشخصيات دينية تتبنى مشروعا طائفيا يقصي أغلبية المكونات العراقية.

ودعا رئيس الوزراء العراقي، السبت إلى محاكمة قيادات سياسية بسبب تورطها في قضايا فساد عبر مخصصات مالية مشبوهة لمشاريع تعجز الحكومة عن سدادها مع ضعف ميزانيتها جراء تدني أسعار النفط.

وطالب العبادي خلال كلمة له في مؤتمر المصالحة المجتمعية والتماسك الاجتماعي المنعقد في بغداد، بتحقيق المصالحة بين جميع أفراد المجتمع العراقي، موجها انتقادات لقوى سياسية جراء عدم تفاعلها مع مساعيه في مكافحة الفساد.

وأوضح قائلا "هناك متنفذون في الدولة من الأحزاب السياسية، سواء كانوا داخل الوظيفة أو خارجها، يحيلون المشاريع على شركات غير رصينة، تورطنا بمشاريع لا نمتلك لها مخصصات مالية بسبب تدني أسعار النفط".

وينخر الفساد المؤسسات الحكومية في العراق الأمر الذي ساهم في تردي الوضع الاقتصادي في هذا البلد. وازداد الوضع سوءا مع تراجع أسعار النفط بشكل كبير ما جعل الدولة على حافة الإفلاس.

وكان العبادي قد اتخذ، منذ توليه منصبه الحكومي في العام 2014 خلفا لنوري المالكي، جملة من الإجراءات لوقف إهدار المال العام ولكنها بقيت حبرا على ورق بسبب النفوذ الكبير الذي يمتلكه "بارونات الفساد" المتغلغلين في مفاصل الحكم.

> رئيس الوزراء العراقي دعا إلى محاكمة قيادات سياسية بسبب تورطها في قضايا فساد عبر مخصصات مالية مشبوهة لمشاريع تعجز الحكومة عن سدادها

وشدد العبادي، على أن محاربة الفساد لا يمكن أن تطبق على شريحة معينة، ويتسثنى منها المتنفذون في الأحزاب السياسية قائلا، "لدينا قانون سابق (من أين لك هذا؟) لكشف الذمم المالية، ويجب أن يطبّق على الجميع سواسية"، مضيفا أن "الفساد أحد أهم أسباب انهيار الأجهزة الأمنية في البلاد".

وأعلنت هيئة النزاهة العامة في أغسطس 2015 عن إحالة ألفين و171 مسؤولا رفيعا بينهم 13 وزيرا ومن هم بدرجته إلى محاكم الجنح والفساد، كاشفة أن وزراء الدفاع والتجارة والكهرباء والنقل السابقين من بين المطلوبين للسلطات القضائية.

ولعل أبرز المتورطين في ملفات الفساد، والذين لم تتم إحالتهم على القضاء، رئيس تحالف دولة القانون نوري المالكي، الذي كشفت مصادر برلمانية عراقية عن إهداره لأكثر من 27 مليار دولار في منح عقود تسليح وإنشاء مستشفيات عسكرية وهمية.

وإلى جانب تورّطه في قضايا فساد كبرى، كانت فترة رئاسة المالكي للحكومة أقل ما يقال عنها إنها "كارثية"، حيث تأججت الصراعات الطائفية في عهده بين الشيعة والسنة ما أدى إلى تعميق الانقسام بين أبناء الشعب الواحد.

ويحاول رئيس الوزراء الحالي بـ"إمكانياته المتواضعة"، التخلص من تركة المالكي، ولكنه يصطدم بنفوذ الأخير وباقي القوى الشيعية. وحتى مشروع التعديل الوزاري الذي دعا إليه العبادي منذ 20 يوما تقريبا لم يجد إلى الآن سبيلا للتنفيذ لأن الأطراف الآنف ذكرها ترى بأن ذلك يستهدف نفوذها، خاصة وأن العبادي يريد وزراء تكنوقراط.

وتشترط القوى السياسية الشيعية أن تكون هي الفاعل الرئيسي في اختيار الوزراء، ما يؤشر إلى أن هذا المشروع قد لا يرى النور قريبا.

وفي ظل ضعف قدرة العبادي على تحقيق إنجازات في مكافحة الفساد أو في فرض رؤيته الإصلاحية وتحقيق مصالحة فعلية بين أبناء الشعب العراقي، ترى قوى وشخصيات عراقية أنه لا مانع في مساندة المجتمع الدولي في تحقيق ذلك.

وطرح رئيس مجلس النواب العراقي سليم الجبوري مبادرة لجعل عام 2016 عاما للمصالحة الوطنية، فيما اعتبر أن أيّ وساطة أممية محتملة في هذا الإطار "لا تمس بسيادة العراق".

وقال، في كلمته خلال مؤتمر "المصالحة المجتمعية والتماسك الاجتماعي"، إن "الملامح الأولية لخارطة الطريق (للمصالحة)، تتم بالإعلان رسميا في العراق عن 2016 كعام للتعايش المجتمعي، وتسخير كافة الإمكانيات المتاحة لإنجاحه بمساعدة الأمم المتحدة، والمجتمع الدولي".

وأضاف الجبوري، أن "الأمم المتحدة لها خبرة في حسم الصراعات، ودعم السلم الأهلي، في العديد من المشاكل التي عانت منها شعوب العالم"، معتبرا أن "وساطتها في المصالحة الوطنية لا يمس سيادة البلد".

وطالب بـ"العمل على توحيد اللجان المشكلة في رئاسة الوزراء، والجمهورية، والبرلمان، ورفدها بالشخصيات التي تقدم إضافة نوعية لها، والمباشرة في مهامها (في إطار المصالحة) ضمن جدول زمني واضح لجميع الخطوات التي يتم الاتفاق عليها".

وشدد رئيس البرلمان العراقي على دور الإعلام في تحقيق هذه المهمة، كما دعا إلى "إشراك منظمات المجتمع المدني، والنقابات، والتجمعات المدنية كافة في هذا المشروع الوطني الكبير، وبما ينسجم مع تخصصاتها المدنية وإمكانياتها".

وشدد الجبوري على ضرورة "العمل الجاد والحقيقي على إنهاء جميع المظاهر المسلحة، وحصر السلاح بيد الدولة، ومنع جميع مظاهر عسكرة المجتمع، وإيجاد حلول واقعية وعملية للمقاتلين الذين شاركوا في عمليات التحرير من المتطوعين، أو دمج من يرغب منهم وتنطبق عليه الشروط اللازمة للالتحاق بالقوات الرسمية".

ويعاني العراق من سطوة الميليشيات الشيعية التي شكلتها إيران تحت مسمى "الحشد الشعبي" لترسيخ نفوذها في هذا البلد العربي. وكرد فعل على هذه الميليشيات التي ارتكبت فظاعات استهدفت تقريبا كل الطوائف الأخرى وخاصة السنّة بدأت تظهر ميليشيات مقابلة تتخذ ذات الاسم كـ"الحشد الشعبي التركماني" والحشد الشعبي الوطني" بغاية حماية نفسها.

ويرى متابعون أن هذه الظاهرة طبيعية بعد أن باتت الدولة عاجزة عن حماية مواطنيها وهو ما يدفع إلى ظهور مثل هذه التشكيلات بحثا عن الأمان ضمن البوتقة الضيقة (الطائفية).

ويقول المتابعون إن هذا الوضع يصعب علاجه في ظل عدم وجود إرادة حقيقية داخلية وفي ظل التدخلات الإيرانية التي تعمل على تجيير العراق كمنطقة نفوذ لها.

المرشد الأعلى أخيرا يعترف

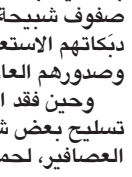

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ من أول أيام الهَبَّة السورية ضد النظام، وبالتخصيص من ثاني أيام العنف الدكتاتوري الأحمق ضد أطفال درعا الذين كتبوا على أحد جدرانها (الشعب يريد إسقاط النظام)، والمرشدُ الأعلى، وجميعُ أبنائه (المجاهدين) من ضباط الحرس الثوري، وحسن نصرالله، وزعَماء الحكم الديمقراطي الجديد في العراق، وقادة ميليشياتهم، والحوثيون، والمعارضون البحرانيون، بجميع فضائياتهم وإذاعاتهم وصحفهم، وما أكثرَها، كانوا يعلنون بلغة واحدة، وبصوت واحد لا يختلف من واحد إلى آخر، أنهم يواجهون مؤامرة (تكفيرية وهابية) في سوريا. ثم تطور خطابهم ليقول إنها هجمة تآمرية تتحد فيها القوى الاستكبارية والصهيونية والجماعات التكفيرية ضد محور المقاومة.

ومن أوائل العام 2012 والمرشد الأعلى ووكيله حسن نصرالله، يزعمان، ويردد زعمهما مئات المذيعين والصحفيين الممولين من النظام الإيراني، بأن إرسال مقاتلي حزب الله كان فقط إلى الحدود اللبنانية السورية، لحماية القرى (المقاومة) من التكفيريين السوريين، وفقط إلى مقام السيدة زينب لحمايته من تخريب (سني) محتمل.

ورغم أن التظاهرات الشعبية الصامدة في مئات المدن والقرى السورية كانت، على مدى ستة أشهر، (سلمية سلمية)، ولا تزيد هتافاتها عن طلب الحرية والعدالة والكرامة، فإن حسن نصرالله لم يقصر في الزج بمقاتليه، بكل أنواع سلاحهم الإيراني، في صفوف شبيحة الدكتاتور بشار الأسد، ورش دبَكاتهم الاستعراضية، وأناشيدهم البريئة، وصدورهم العارية بالرصاص الحي.

وحين فقد المتظاهرون صبرهم، وقرروا تسليح بعض شبابهم بأسلحة صيد العصافير، لحماية منازلهم ومدارسهم وأسواقهم من شبيحة حسن نصرالله وبشار، أمر المرشد الأعلى المئات من ضباط الحرس الثوري، ومقاتلي ميليشيات نوري المالكي وهادي العامري والبطاط، وبإشراف مباشر من قاسم سليماني، بقصفهم بالراجمات والصواريخ، وتدمير مدارسهم ومستشفياتهم ومساجدهم، وحرق مزارعهم، دفاعا عن آل البيت، وحماية للمقاومة.

في كل تلك المسيرة كان المرشد الأعلى مستريحا ومنتعشا بأخبار انتصارات مجاهديه في سوريا، بوجه خاص، وفي العراق ولبنان والبحرين واليمن، بوجه عام. كان يعلق، بين حين وحين، فيكرّر القول بأن ما يفعله في سوريا جهادٌ مقدس لحماية (الشقيقة) سوريا، ولردع المعتدين على (سيادتها)، وعلى رئيسها المجاهد، وللدفاع عن المقاومة، ولتحرير فلسطين، من النهر إلى البحر، ومحو إسرائيل من الوجود. ولكنه، أمس، وقد تم في طهران وفي مدن إيرانية أخرى، تشييعُ عشرات القادة الميدانيين الذين سقطوا في محور حلب، فاجأ العالم بتصريحات تكاد تكون الأولى من نوعها في عشرات السنين.

ووفقا لوكالة "فارس" فقد نقل هذه التصريحات الأمين العام لمجلس صيانة الدستور، أحمد جنّتي، خلال حفل تأبين القتلى، حيث قال "كنت أتصور أن لا نعلن عن هذه التصريحات التي أطلقها المرشد، بشكل علني. لكنه (المرشد) أكد بنفسه، فيما بعد، أننا لو لم نقاتل في سوريا، لاضطررنا لقتال العدو داخل بلدنا، كمحافظة كرمنشاه، والمحافظات الحدودية الأخرى".

ومربط الفرس في خطاب المرشد الأعلى الأخير هو اعترافه العفوي الخطير بخوفه المرضي (الوهمي) من العرب، وكشفه الدافعَ الأول والحقيقي في حروبه الاستباقية تلك. فقد أعلن صراحة أنه يقاتل شعوب سوريا واليمن ولبنان والعراق والبحرين وغيرها لئلا يقاتلها في إيران ذاتها.

أما حين يصف ثوار الشعب السوري وعرب الدول الأخرى الذين يبادئهم بالغزو، ويعبث بأمنهم، ويهدد وجودهم، دون مبرر، ودون مبادأته من أحد منهم بعدوان، بأنهم كفار، فهو إنما يكشف عن رجعية وتخلف وتعصب ونزعة عدوانية متأصلة، وبلا حدود. فهو يعتبر نفسه وأنصارَه المؤمنين الوحيدين، والقيّمين على الدين، أما الذين لا يدخلون في طاعته، ولا يرضون بعدوانه، فتكفيريون، وهو وحده الموكل من الله ورسوله وآل بيته بعقابهم وذبحهم وحرق منازلهم وتهجيرهم بالملايين.

وفي واقع الحال فإن اعتراف المرشد الأعلى بأن حروبه ضد الشعوب العربية هي حروب قومية فارسية حتى العظم، يبرهن على أن كل ما كان يقوله، ويردده من بعده حسن نصرالله، وقاسم سليماني ونوري المالكي وهادي العامري وباقي شلة الردح الطائفي المراوغ والمخادع، من عام 1980 وإلى اليوم، كان كذبا كبيرا على الله، وعلى نفسه، وعلى شعبه، وعلى العالم. لأنه كان يزعم بأن حروبه دفاعٌ عن آل البيت، وعن المقاومة، وهو، باعترافه، أخيرا، إنما يقاتل في خدمة أهدافه وطموحاته التوسعية العنصرية، وأحلامه باستعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، وهذا خلاف الزمن والعصر والمنطق السليم.

لقد كان المنتظر منه، بحكم واجبه (الديني)، ومسؤوليته (الدنيوية) السياسية السلطوية عن أرواح الإيرانيين، وعن أرواح أبناء طائفته من العراقيين واللبنانيين، أن يتوقع الهزيمة من بداية المأزق السوري، فيحقن دماء الشيعة قبل السنّة، والمسلمين قبل غيرهم من السوريين أتباع الأديان الأخرى، لأن التاريخ أثبت، بالصورة والصوت، أن جميع حملات القتل والحرق والتدمير والتجويع والتهجير لم تكسر إرادة شعب يريد حريته واستقلاله، مهما غلا الثمن، ومهما طال الزمن.

ونسأل، أليست أرواح الآلاف من الإيرانيين والسوريين واللبنانيين والعراقيين واليمنيين والفلسطينيين التي أزهقها المرشد الأعلى في عشرات السنين، خسارة؟ وأليس إهدار الملايين والمليارات من أموال الشعب الإيراني على إنشاء الميليشيات والعصابات، وعلى تسليحها وتدريب مرتزَقتها على تخريب المدن الآمنة، وعلى تهجير الملايين من سكانها، خسارة؟ وهل سيغفر الإيرانيون، له أخطاءه السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية، بحقهم هم، قبل ضحاياه من عرب الدول المعتدى عليها، دون مبرر؟

خصوصا حين يعترف لمواطنيه الإيرانيين والعالم، وبعظمة لسانه، بأن معركته الخاسرة والباهظة والعبثية في سوريا لم تكن من أجل الطائفة، كما ادّعى، ولا للدفاع عن آل البيت، ولا عن مقام السيدة. كما أنها لم تكن، بأيّ حال من الأحوال، من أجل حماية المقاومة ومحو إسرائيل من الوجود، بدليل سكوته المخزي، وقبوله المعيب بمُحالفة الغزو الروسي الأرعن لسوريا، ومعاضدته لطائراته ودباباته وصواريخه وهي تهدم المدن والقرى (المسلمة) على رؤوس أهلها، برغم الاعتراف الرسمي الروسي المتكرر بالتنسيق مع نتنياهو وأميركا وقاتل الأطفال والنساء بشار الأسد.

ترى هل كانت تصريحات المرشد الأعلى الأخيرة زلّة لسان، أم كانت هلوسة سببُها مرارةُ كأس آخر من السمّ يتجرعه، اليوم، في سوريا والعراق واليمن، بعد كأس السمّ الأول الذي تجرعه، قبله، سلفه الخميني في العراق، قبل عقود؟

> مربط الفرس في خطاب المرشد الأعلى الأخير هو اعترافه العفوي الخطير بخوفه المرضي (الوهمي) من العرب، وكشفه الدافع الأول والحقيقي في حروبه الاستباقية تلك. فقد أعلن صراحة أنه يقاتل شعوب سوريا واليمن ولبنان والعراق والبحرين وغيرها لئلا يقاتلها في إيران ذاتها

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

لماذا نجح المشروع الإيراني في لبنان وتعثر المشروع السعودي

الدعم المادي وحده لا ينفع دون مشروع سياسي واجتماعي

كان لبنان ساحة للخلاف بين إيران والسعودية على مدى العقد الماضي الذي حاول خلاله حلفاء السعودية في لبنان مواجهة النفوذ المتزايد لحزب الله المدعوم من إيران. لكنّ الموقف السعودي الأخير القاضي بتعليق مساعدات بقيمة ثلاثة مليارات دولار للجيش اللبناني يكشف أن سقف الدعم السعودي الكبير لم يمنع إيران من تكوين جسم لبناني صلب نجح في أن يكون مصدر قلق وتوتّر وعرقلة.

شادي علاء الدين
كاتب لبناني

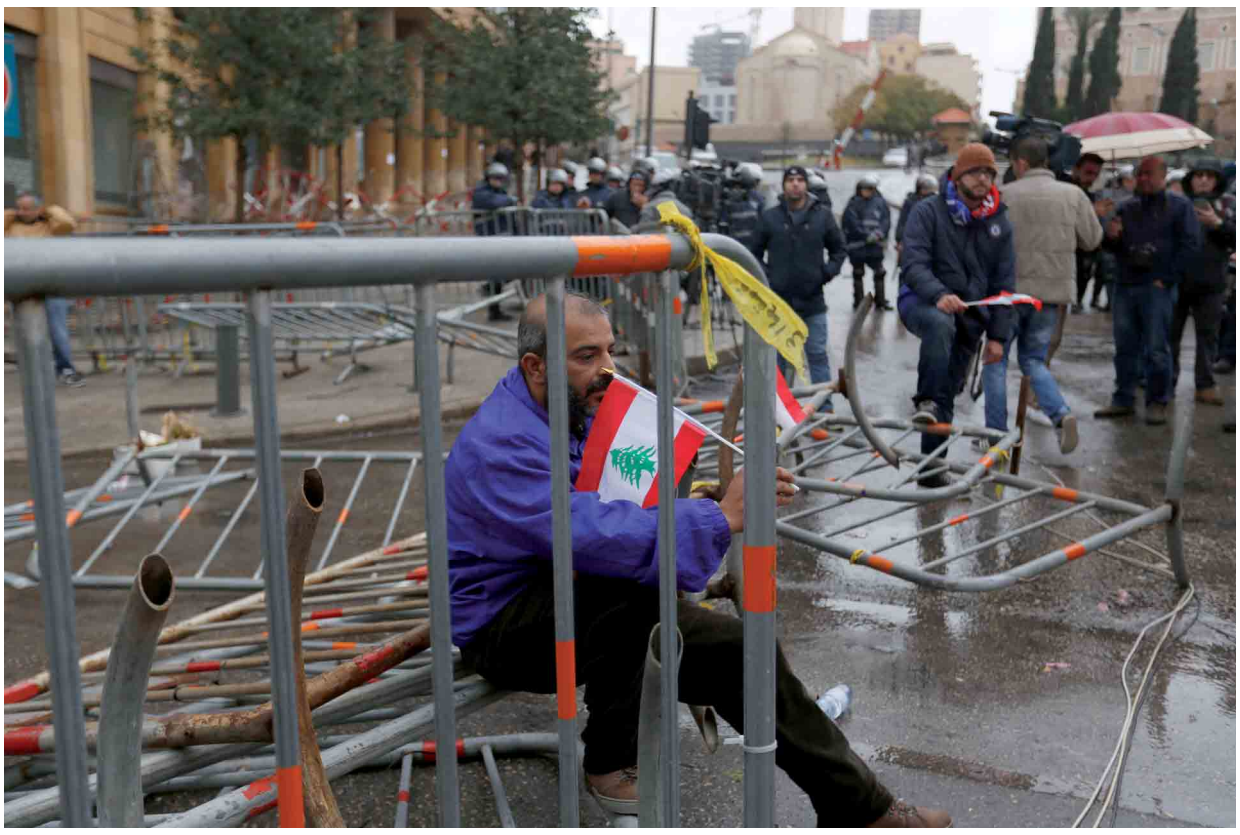

تعقدت أكثر واستحكمت حلقاتها

❏ يبرز سؤال جوهري في ظل تدهور العلاقات السعودية اللبنانية الذي نشهده حاليا على خلفية مواقف وزارة الخارجية اللبنانية الداعمة لإيران، والخارجة على الإجماع العربي؛ هذا السؤال هو كيف نجحت إيران خلال الفترة، التي تلت الثورة الإيرانية، في تكوين جسم لبناني صلب يدين لها بالولاء الذي يصل إلى حدود بذل الروح، عبر دعم مالي لم يرق في أفضل أحواله إلى تجاوز عتبة المليار دولار سنويا، في حين أن السعودية التي أغدقت على لبنان في الفترة نفسها عشرات المليارات، والتي لم تتوقف لحظة عن دعمه ماديا وسياسيا، لم تنجح ليس فقط في خلق بنية صلبة تدافع عن مصالحها في لبنان والمنطقة، بل لم تستطع أن تؤسس لحالة تمنع الإساءة إليها والتعرض لرموزها، وتهديد أمنها.

كتلة الإشكاليات الضخمة هذه لا يمكن الإجابة عليها بتسرّع، بل تحتاج إلى دراسات معمقة، ولكن هناك جملة ملاحظات يمكن تسجيلها في هذا الصدد في محاولة لتفسير أسباب نجاح الاستثمار الإيراني في لبنان، في مقابل فشل الاستثمار السعودي.

دعم الكيان التابع مقابل دعم الدولة

أسست إيران، بعد ثورة الخميني، لجمهورية ولاية الفقيه المطلقة، حيث يخضع كل شيء لمتطلبات بقاء هذه الجمهورية وأيديولوجيتها، وصيغتها العقائدية، بما في ذلك السياسة الخارجية التي انبنت على فكرة وحيدة تقوم على تصدير الثّورة، وكان أبرز استثمار لها هو حزب الله اللبناني.

هذا المنطق الإيراني كان شديد الدقة في كل ما يخص البناء الأيديولوجي الذي يقوم على أساسه الدعم، وهكذا لم يكن دعم حزب الله في عقل ولاية الفقيه دعما لطرف خارجي بغية السيطرة على قراره، وتشغيله وفق شبكة مصالح الثورة الإيرانية، بل كان على الدوام دعما يتخذ طبيعة التوظيف الداخلي. حزب الله منذ البداية لم يكن فريقا لبنانيا تدعمه إيران، بل كان فصيلا إيرانيا في لبنان على جميع المستويات، وليست لبنانيّته سوى الصيغة الظرفية التي ارتأت إيران أنها تتناسب مع مشروع تصدير الثورة ليس إلا.

السعودية في المقابل بنت دعمها للبنان انطلاقا من منطق مناقض تماما للعقل الإيراني فهي دعّمت في الأساس الدولة اللبنانية، التي هي عبارة عن تجمّع مصالح، وتسويات، ومشاريع متناقضة، وليست كيانا محددا واضح المعالم، ولم تصبح كذلك حتى هذه الساعة. كان دعمها لأيّ طرف لبناني ينطلق أساسا من لبنانيته، ولم تحرص بأيّ شكل من الأشكال لا على الترويج لأيّ إطار أيديولوجي يربط أيّ طرف لبناني بعقيدتها، بل دعّمت، من حيث لا تدري، من خلال دعمها لدولة ملتبسة المعالم، جهات تناصبها العداء، أو تنكر دورها وحضورها.

يضاف إلى ذلك أن تغيّر العهود الملكية في السعودية كان يؤدي إلى تغيير في السياسات على جميع المستويات مع بقاء حد أدنى من الثوابت العامة، وهو ما كان ولا زال يخلق حالة من عدم الانتظام في صفوف مريدي السعودية في لبنان، فلا يكون التكيّف معه سهلا وبسيطا. هناك إذن سياسات سعودية في حين أنه لا يوجد في إيران وفي منطق تعاطيها مع فرعها اللبناني سوى أيديولوجيا واحدة وحيدة تتم تغذيتها على الدوام، بحيث لا يشكل أيّ عهد جديد تحولا فيها، بل مجرد تغييرات طفيفة في إدارة الأمر نفسه.

إعلام مخترق وإعلام موجه

في ما يخص الإعلام يسجّل سوء إدارة لافت للإعلام السعودي والإعلام المدعوم سعوديا في التعامل مع الرأي العام ككل، والرأي الموالي للسعودية بشكل خاص. لقد كانت صيغة الليبرالية الإعلامية هي الصيغة التي رعتها السعودية في لبنان والتي شكلت القانون الذي يميّز تعامل المحطات التلفزيونية والجرائد والوسائل الإعلامية التي تملكها السعودية مباشرة، وتلك التي كان يملكها الرئيس الشهيد رفيق الحريري والتي عادت ملكيتها بعد وفاته إلى ورثته.

هذه الليبرالية الملتبسة خلقت سياقا غير مفهوم وغير مبرّر، فقد كانت هذه المؤسسات تُعنى بالتنوع الطائفي للعاملين فيها على عكس كل وسائل الإعلام المدعومة إيرانيا.

كانت هذه الفكرة بالطبع سلوكا حميدا في منطقه، لكنّ المشكلة الضخمة التي نتجت عنها هي أن هذا التنوع الطائفي، تحول إلى تنوع سياسي، فباتت هناك سيطرة، أو شبه سيطرة، لمناهضي السعودية ومؤيدي حزب الله على وسائل الإعلام الحريرية والسعودية في لبنان، لدرجة أن الجمهور بات يعتبر أن هذه الوسائل لا تنطق باسمه ولا تعبّر عنه.

تمكن ملاحظة هذا النزوع بسهولة عبر متابعة التعليقات التي ينشرها مؤيدو السعودية وتيار المستقبل في لبنان على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تظهر بوضوح شديد عمق الانفصال بين هذا الجمهور والإعلام الذي يفترض أن يعبّر عن طموحاته وآماله.

ومن اللافت أن بعضا من أشرس مهاجمي السعودية اليوم كانوا يعاملون كنجوم في الإعلام التابع لها، أو المحسوب على تيار المستقبل.

هذا الليبرالية التي دعّمتها السعودية عن حسن نية، أنتجت تناولا مائعا لفكرتي العروبة والإسلام، حيث بدا أن تيار المستقبل الذي يمثل هذا التوجه قد اجتهد في إبعاد العروبة والإسلام عن سياقات ممارساته اليومية، وعن خطابه الاجتماعي، مع التأكيد عليهما كمشروع خطابيّ عام غير متّصل بجهد سياسي واضح، من هنا بدا أقرب إلى تيار غربي غريب عن المنطقة، وغير ملتصق بها. هكذا بات المسلم السنيّ المتديّن وغير الميّال إلى التطرف لا يجد نفسه منسجما مع هذا التيار الذي يتحدث بلغات أجنبية، ويحيي المناسبات المهمة بشكل لا يخاطب وعيه بل ربما يستعديه.

هكذا كان تيار المستقبل، الذي يمثّل أبرز استثمارات السعودية في لبنان، تيارا غريبا إلى حد ما عن أهله وعن بيئته الحاضنة، وهو لم ينجح في جرّهما إلى تبنّي منطقه الليبرالي غير محدّد الملامح، ولا نجح في خلق حالة من السلوك السياسي فوق الطائفي، يمكن للبيئة السنية الحاضنة له أن تتبناه من دون أن يتعارض مع إسلامها البسيط. وهكذا بات هناك تعارض وغربة وانقطاع بين هذا التيّار والبيئة الطبيعية التي ينمو فيها.

لم تبذل السعودية جهودا للاستثمار في البيئة الشيعية المعارضة لحزب الله بل تركت شخصيات ذات قيمة، وحيدة في مواجهة حزب إيران. وسمحت له تاليا بإحكام قبضته على كامل الساحة الشيعية والنطق باسمها، والترويج لكونه صانع المناخ الشيعي الذي يعترض عليه، واستثمار هذا الأمر في دفع تهمة الشمولية والراديكالية عنه، وإظهار نفسه في ثوب المتسامح والمتفهم.

هؤلاء لا يمكنهم النمو إلا بالتحالف مع أطراف أخرى، ومخاطبة الساحة الشيعية انطلاقا من بعد وطني جامع وواسع، وهذا ما لم تقم السعودية بالاستثمار فيه. هكذا بقيت أصوات من قبيل مدير مؤسسة "أمم للأبحاث والتوثيق" لقمان سليم، والعلامة علي الأمين وغيرهما أصواتا صارخة في البريّة، في حين أن إيران عبر حزب الله استثمرت بقوة في الوسطين السني والمسيحي على جميع المستويات.

هناك الآن، كما يعلم الجميع، سياسيون وإعلاميون سنّة ومسيحيون يدافعون عنها وعنه بغلوّ وحماسة لا يجاريهما فيهما من ينتمون إلى صفوف الحزب طائفيا وعقائديا. كما أسست إيران ميليشيا سنية مسلحة هي سرايا المقاومة، فرضت واقعا أمنيا متأزما داخل البيئة السنية، كان من شأنه التأسيس لعداوات وأحقاد سنيّة سنيّة وذلك على امتداد مساحة لبنان.

المعالجات المقابلة كانت تعتمد على رشوة الشباب السنّة الذين ينخرطون في موجات العنف المسلح بمبالغ مالية معينة، من دون تقديم بدائل مؤسساتية لهم، أو محاولة تأمين أعمال تقيهم شرّ العوز. هؤلاء اعتادوا على الرشوة وتمّ التخلص منهم بالسماح بزجهم في السجون.

هكذا أسّس هذا المنطق في حلّ الأمور لنشوء مظلومية سنيّة ناقمة على السعودية وعلى تيار المستقبل، في الوقت الذي تحمي فيه إيران وتدافع بوضوح وعلانية عن مرتكبي الجرائم المنتمين إلى صفوف فصيلها اللبناني.

السعودية تمول خصومها

مؤخرا، انشغلت الساحة اللبنانية بالقرار السعودي القاضي بسحب الهبة المالية الضخمة والتي بلغت قيمتها 4 مليار دولار، والتي كانت مخصصة لتمويل تسليح الجيش والقوى الأمنية. تمويل صفقة تسليح الجيش والقوى الأمنية يبرز كيف تتعارض النوايا السعودية الحسنة مع التخطيط الإيراني الخبيث.

السعودية فكّرت في دعم جهاز رسمي يوصف بأنه مؤسسة تحظى بإجماع اللبنانيين. الحقيقة أن السعودية تستجيب في سلوكها هذا لمعطيات شعرية وليست واقعية، فكيف يمكن أن يكون الخلل ضاربا جذوره في كل بنى الدولة ومؤسساتها، ويكون الجيش مستثنى من هذا الخلل؟

هل كانت السعودية غافلة عن مدى تغلغل حزب الله في أوساط الجيش اللبناني، وأن الأجهزة الحديثة التي كانت تنوي تقديمها له، وخصوصا تلك المتعلقة بالتجسس والمراقبة ومكافحة الجرائم الإلكترونية والتي سمح بوصولها إليه تحت عنوان محاربة الإرهاب، من شأنها الوصول إلى حزب الله، واستخدامها في عمليات أمنية تطالها، وتطال كل معارضي النفوذ الإيراني في لبنان.

> السعودية بنت دعمها للبنان انطلاقا من منطق مناقض لإيران فهي دعمت في الأساس الدولة اللبنانية، التي هي عبارة عن تجمع مصالح ومشاريع متناقضة

يؤخذ على السعودية أنها لم ترتبط هبتها بتوضيح ممارسات الجيش التي بدت أكثر من مرّة منحازة لحزب الله، وهو أمر صار جليّا بعد فشل الخطط الأمنية لوزارة الداخلية، وبعد أن بدا الجيش في أكثر من مرة وفي أكثر من ميدان طرفا غير محايد يستغله حزب الله تحت عنوان محاربة الإرهاب، للتنكيل بخصومه من اللبنانيين الموالين للسعودية، ومن المعارضين السوريين لنظام الأسد الهاربين إلى لبنان.

دعم رغم شرعنة الإرهاب الإيراني

إيران رعت ودافعت على مدى ثلاثين عاما ميليشيا طائفية مسلحة، وكانت تبرّر السلاح المرسل من قبلها إلى حزب الله بواسطة شرعية لبنانية ممنوحة لهذا السلاح، وهي شرعية مكرسة قانونا، وتدافع عنها القوى الأمنية والجيش.

هكذا بات لبنان أسير منطق أعوج يكون فيه مؤيدو الثورة السورية والموالون للسعودية، ومناهضو إيران، مجرمين تقبض عليهم القوى الأمنية، التي كانت السعودية تنوي تمويلها، وتنكّل بهم في حين أن مرتزقة إيران مقاومون، يعبرون بسلاحهم الحربي الثقيل والخفيف والمتوسط، الحدود للمشاركة في قتل الشعب السوري تحت أنظار حكومة النأي بالنفس، التي يقوم على رأسها شخص ينتمي إلى تيار المستقبل الموالي للسعودية.

المشكلة لم تبدأ مع حكومة تمّام سلام التي أغضب عجزها السعودية ودفعها إلى اتخاذ مواقف غير مسبوقة من لبنان. المشكلة تعود إلى فترة تسبق مرحلة حكومة سلام بكثير، حيث يسجل أن السعودية أبقت على دعمها للبنان دولة، وشعبا، وحكومة، من دون ربط هذه المساعدات بأيّ أفق سياسي واضح، ولا بمحاولة فكفكة البنية المقفلة التي تكرّس الحالة الإيرانية المسلحة في لبنان بقوة القانون أولا، وفكرة تجنب التأزيم والتصعيد ثانيا، التي كان من شأنها تحويل لبنان إلى منصة لإطلاق صواريخ التهجم على السعودية.

شكل سحب الهبة السعودية فاتحة لصحوة حميدة في السياسة السعودية تجاه لبنان، ومقدمة لتكوين مشروع دور سعودي جديد مبنيّ على منطق الحزم الذي أثبت قدرته على قلب الطاولة على إيران وطموحاتها التوسعية.

كان لسياسة المهادنة والصبر السعودية السابقة دور سلبيّ في إغراء إيران بالتغوّل عليها وعلى لبنان، وهو منطق يأتي الحزم السعودي المتوسع لتصحيحه، وتمكين دور السعودية في كافة الميادين التي تعتقد إيران أنها أحكمت قبضتها عليها.

سوريا من بلد عبور إلى سوق استهلاك لمخدرات حزب الله

❏ **دمشق** - أكّدت مصادر سورية مسؤولة أن الحرب السورية المستمرة منذ خمس سنوات حوّلت سوريا من ممر للمخدرات إلى بلد مستهلك لها، وأشارت إلى أن الشرائح المُستهلكة لهذه المادة هي المقاتلون وشريحة الشباب، ومصادرها المزارع اللبنانية في المناطق التابعة لحزب الله.

وقالت هذه المصادر لـ "العرب" "إن كمية المخدرات التي يتم كشفها ومصادرتها وهي بطريقها إلى الأسواق المحلية كبيرة جدا بالمقاييس السورية السابقة، وقد تمّت مصادرة مئات الكيلوغرامات بطريقها إلى الأسواق بعدما أن كانت سوريا في السابق ممرا لها فقط. وكشفت عن مصادرة الملايين من حبوب الكبتاغون المخدرة أيضا.

وقالت المصادر إن أكثر الشرائح المستهدفة هي الشباب من الجنسين، بالإضافة إلى الراشدين ممّن يتعرضون لضغوط الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب، فيما يصفه المراقبون بأنه واحد من أخطر النتائج التي أفرزتها الحرب على الصعيد الاجتماعي.

ونبّهت من أن الكميات التي لا تستطيع السلطات كشفها أكبر بعشرات الأضعاف من تلك التي يتم كشفها، وقالت "لا تستطيع السلطات المعنية التدخل في غالبية الحالات، فالمجموعات التي تقوم بهذه التجارة هي مجموعات مسلّحة مسؤولة عن حفظ الأمن في مناطق هذه التجارة، ولا تستطيع السلطات التدخل لأن سلطة تلك المجموعات أكبر من سلطة الشرطة التقليدية". وهذه الظاهرة ليست جديدة في سوريا، التي كانت تعرف بأنها بلد عبور، حيث يتم تهريب المخدرات من لبنان إلى دول الخليج عبر سوريا، مع بعض الاستهلاك المحلي غير المنظور كظاهرة.

وتقول الأخصائية الاجتماعية في معهد المعالجة من المخدرات فاتن علي "لا حاجة للسؤال عمّن يروّج المخدرات في سوريا كيف ولماذا، فسوريا جارة للبنان ولبعلبك ومزارعها خصوصا، ولا تقصر المافيات في أداء دورها التخريبي في صفوف الشباب بالأساس".

وفي سياق معرفة مصادر هذه المادة، قال ق. فياض، وهو محام يدافع عن المتورّطين بتعاطي المخدرات لـ"العرب": معرفة المناطق التي تنتشر فيها هذه المادة ونوعية التجار الذين يروّجون لها نشيران إلى أنها تأتي من لبنان بشكل أساسي، وهي تستقر في مناطق يسيطر عليها حزب الله، وبعضها يمر عبر مناطق تسيطر عليها جماعات المعارضة المسلحة ليصل إلى المستهلك النهائي في الكثير من المناطق.

> المخدرات تأتي من لبنان بشكل أساسي وتستقر في مناطق يسيطر عليها حزب الله وبعضها يمر عبر مناطق تسيطر عليها بعض فصائل المعارضة

وألقت الولايات المتحدة القبض على عدة خلايا تابعة لحزب لله اللبناني تتعامل بتجارة المخدرات الدولية لتأمين عائدات مالية للحزب الذي يموّل بها عمليات تسلحه وقتاله في سوريا والتي أرسل إليها الآلاف من المقاتلين لدعم نظام الأسد.

من جهته قال عبادة الحاجة، وهو مقاتل في الجيش الحر جنوب العاصمة دمشق، "يحاول ضباط من النظام إغراق المنطقة بالحشيشة والحبوب المخدرة، ويجدون من يعاونهم من الفصائل المسلحة، حيث المكاسب المالية الكبيرة جدا تُغري بعضهم لإجراء اتفاقيات مصالحة وهدنة لتحويل العمل العسكري ضد النظام لتجارة ممنوعات رابحة جدا، ويحاول بعض المقاتلين تبرير الأمر بانقطاع المساعدات المالية لهم ما يدفعهم للتورط بهذه التجارة".

وتنتشر ظاهرة تعاطي المخدرات بين مقاتلي ميليشيات النظام، ويقول مواطنون إن هؤلاء باتوا يتجولون علنا في شوارع العاصمة دمشق وهم في قمة تعاطيهم، ويتسببون بمشاكل للسكان، لكن لا أحد يتدخل بسبب سطوتهم العسكرية.

وبعد السنة الثانية من الحرب، انفلتت غالبية الحدود السورية، مع العراق وتركيا والأردن، فيما تسيطر ميليشيات حزب الله اللبناني على طول الحدود بين سوريا ولبنان. وكانت تقارير صحافية تحدثت عن ازدياد حالات تعاطي المخدرات بين المسلحين من أطراف النزاع، فيما يقبع بالمرتبة الثانية للاستهلاك الشبان الذين يعانون من الاكتئاب بكثرة نتيجة الأحداث في بلدهم.

وقف النار.. غطاء لحرب على السوريين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ ليس الاتفاق الروسي ـ الأميركي في شأن "وقف الأعمال العدائية" في سوريا سوى غطاء لمتابعة الحرب التي يتعرّض لها الشعب السوري منذ قرّر قبل خمس سنوات استعادة بعض من كرامته.

عندما يسمح الاتفاق بالاستمرار في شنّ الهجمات على "داعش" و"النصرة"، متجاهلا النظام الذي يذبح شعبه والميليشيات المذهبية اللبنانية والعراقية والأفغانية والخبراء الإيرانيين، معنى ذلك بكلّ بساطة أنّ الإدارة الأميركية قرّرت السماح لروسيا وإيران والميليشيات التابعة للنظام بمتابعة هجماتها على السوريين. فمن يعرف ولو قليل القليل عن الوضع السوري، يعرف أوّلا أنّ روسيا وإيران وقوّات النظام لم تهاجم "داعش" يوما. على العكس من ذلك، هناك تواطؤ دائم بين "داعش" من جهة وكلّ من روسيا والنظام وإيران وما لديهما من ميليشيات مذهبية من جهة أخرى.

مفهوم الموقف الروسي. هناك رغبة في المساومة على رأس بشار الأسد، في نهاية المطاف، من أجل قبض ثمن معروف مرتبط أساسا بمنع مرور الغاز الخليجي في الأراضي السورية وتحقيق مآرب أخرى. مفهوم أيضا الموقف الإيراني الذي يعتبر سوريا في غاية الأهمّية بالنسبة إلى المشروع التوسّعي الذي ينادي به كبار المسؤولين في إيران، وعلى رأسهم "المرشد" علي خامنئي.

بالنسبة إلى إيران، لا خيار آخر سوى الدفاع عن النظام العلوي القائم في سوريا، كونه ضمانه لأن تكون سوريا جسرا إلى لبنان وإلى "حزب الله" بالتحديد. إلى إشعار آخر، يشكّل "حزب الله" الذي وضع يده على مفاصل الدولة اللبنانية الاستثمار الأهمّ لإيران منذ العام 1982، تاريخ تأسيس الحزب الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، عناصره لبنانية. تحوّل هذا الحزب إلى أفضل أداة إيرانية توظّف في خدمة مشروع يستهدف مناطق عربية عدّة من لبنان والعراق، إلى اليمن، مرورا بالبحرين، على سبيل المثال وليس الحصر.

ما ليس مفهوما هو تلك السذاجة الأميركية التي قد لا تكون سذاجة بمقدار ما أنّها سياسة واضحة تقوم على ترك المنطقة لروسيا وإيران، غير مدركة أنّه لا يمكن شطب العرب بتلك السهولة من المعادلة الإقليمية، إضافة إلى أنّه لا يمكن البحث في مستقبل سوريا من دون مقعد تركي إلى طاولة المفاوضات. لا يمكن تجاهل العرب بأيّ شكل عند البحث في المستقبل السوري، كما لا يمكن تجاوز تركيا والاكتفاء بإلهائها بالورقة الكردية عن طريق تجييش قسم من الأكراد ضدّها.

ما الذي تريده الإدارة الأميركية؟ لا وجود لجواب واضح إلى اليوم باستثناء أن باراك أوباما يبدو مصرّا على تفتيت سوريا. فالاتفاق الأميركي ـ الروسي الذي أعلن عنه أخيرا ليس سوى وسيلة لضمان استمرار الحرب التي يتعرّض لها الشعب السوري إلى ما لا نهاية. لو لم يكن الأمر كذلك، لما ميّزت واشنطن بين إرهابيّ وإرهابيّ آخر ولما اختزلت أصلا كلّ ملفات الشرق الأوسط وأزماته بالملف النووي الإيراني، ولما تغاضت عن التدخل العسكري الروسي الذي لا هدف له سوى ابقاء نظام انتهى منذ سنوات عدة في الواجهة تمهيدا لليوم الذي يستخدم فيه بشّار الأسد ورقة في لعبة باتت تتجاوز حدود سوريا.

من الآن إلى حين انتهاء ولاية باراك أوباما، بعد نحو عشرة أشهر، لا يمكن توقّع شيء من الجانب الأميركي باستثناء التظاهر بأنّ هناك تحرّكا من أجل احتواء الأزمة السورية بدل وضع حدّ لها.

مثل هذا التحرّك يصبّ في اتجاه واحد يتمثّل في الانتهاء من سوريا التي عرفناها عبر تحويلها مناطق نفوذ لثلاثة أطراف على الأقل هي روسيا وإيران وتركيا، وذلك بالتفاهم مع إسرائيل طبعا.

ليس بعيدا اليوم الذي ستجد فيه تركيا نفسها مضطرة إلى التدخل المباشر، أو غير المباشر، لضمان منطقة نفوذ لها في الشمال السوري. لا تستطيع تركيا ترك الأكراد يتحرّكون في تلك المنطقة مستفيدين من التدخل العسكري الروسي. مثل هذا التحرّك الكردي يشكّل تهديدا مباشرا للأمن التركي. سيكون مستقبل رجب طيّب أردوغان وحزبه مطروحا في حال بقي الوضع على ما هو عليه في الشمال السوري.

منذ تناسى باراك أوباما في آب ـ أغسطس من العام 2013 أن هناك خطّا أحمر رسمه للنظام السوري وتغاضى عن لجوء النظام إلى السلاح الكيميائي، حصلت نقطة تحوّل. قبل أوباما في الواقع تسليم سوريا إلى روسيا وإيران. استمع إلى ما قال له فلاديمير بوتين وقبل الاكتفاء بأن يتخلى النظام عن الكمية الباقية من مخزونه الكيميائي.

كان لا بدّ من التذكير بهذه المرحلة للتأكّد من أن ما يجري حاليا هو في سياق سياسة أميركية تقوم على الاستسلام لروسيا وإيران. من نتائج هذه السياسة النظر بعين واحدة إلى ما يتعرّض له الشعب السوري.

مثل هذه السياسة التي تقوم في جانب منها على التنسيق العسكري الروسي ـ الإسرائيلي تتجاهل كلّيا الدواعش الشيعية وتركّز فقط على "داعش" السنّي وتوابع هذا التنظيم.

الشيء الوحيد الأكيد حتّى الآن أن ثمّة رغبة أميركية وروسية وإيرانية في إيجاد حواضن لـ"داعش" في كلّ المناطق السورية وفي كلّ منطقة فيها أكثرية سنّية في العراق. هل هذا ما تريده أميركا في الشرق الأوسط؟ هل هذا ما يسعى إليه باراك أوباما الذي ليس معروفا، إلى اليوم، لماذا قرّر رؤية كلّ الألوان باستثناء اللون الأحمر الذي كان لون الخط الذي رسمه للنظام السوري؟

من حسن الحظ أن هناك في الجانب العربي من يعرف تماما أن ليس في الإمكان الاتكال على الولايات المتحدة أو الرهان عليها في أيّ شأن هذه الأيّام وأن لا ضير من إبقاء خط التواصل مع موسكو مفتوحا. الدليل على ذلك الاتصال الأخير بين الملك سلمان بن عبدالعزيز وبوتين الساعي إلى المساومة على رأس بشار الأسد، في نهاية المطاف، من أجل قبض ثمن معروف مرتبط أساسا بمنع مرور الغاز الخليجي في الأراضي السورية وتحقيق مآرب أخرى. مفهوم أيضا الموقف الإيراني الذي يعتبر سوريا في غاية الأهمّية بالنسبة إلى المشروع التوسّعي الذي ينادي به كبار المسؤولين في إيران، وعلى رأسهم "المرشد" علي خامنئي.

> الشيء الوحيد والأكيد حتى الآن أن ثمة رغبة أميركية وروسية وإيرانية في ايجاد حواضن لـ«داعش» في كل المناطق السورية وفي كل منطقة فيها أكثرية سنية في العراق

فشل يغطي على الإنجازات

هذه الأيام إلى تفادي مواجهة مع المملكة. فالكلام الروسي عن أن موازنة البلد ووضعه الاقتصادي لن يتأثرا بهبوط أسعار النفط والغاز كلام لا يمكن لأيّ عاقل أن يصدّقه.

لم يعد بعيدا اليوم الذي تقتنع فيه روسيا أن ليس أمامها سوى الدخول في مساومة مع الجانب العربي، أقلّه إذا كانت مهتمّة برفع أسعار النفط والغاز. ستكتشف روسيا أن الإرهاب ليس "داعش" وحده. هناك دواعش أخرى في سوريا وغير سوريا. الإرهاب ليس حكرا على أهل السنّة في المنطقة. هناك إرهاب مرتبط ببعض المجموعات الكردية، على حد تعبير أردوغان. وهناك ميليشيات شيعية تمارس كل أنواع الإرهاب في سوريا والعراق وفي أماكن أخرى.

متى يعالج الاتفاق الأميركي ـ الروسي هذا الواقع، ويتوقف عن النظر إلى سوريا من زاوية واحدة، سيكون في الإمكان عندئذ القول إنّ وقف النار قابل للحياة. سيكون في الإمكان القول أيضا إن هناك رغبة واضحة في معالجة الأزمة السورية من كل الجوانب بدل الاكتفاء باستيعابها والتغاضي عن الحرب التي يتعرّض لها الشعب السوري.

العراقيون وقد تعبوا: الصراع ليس سياسيا بل يستهدف قلب مذهبهم الديني

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ كيف يجد السني العراقي طريقا غير داعش وغير البعث وغير الإخوان؟ العقل السني العراقي مضغوط بقوة. مطلوب منه مسبقا أن يكون ضد إيران، ومسبقا يطلبون منه أن يكون ضد داعش، ومسبقا يطلبون منه أن يكون ضد البعث، "اجتثاث البعث"، ومسبقا يطلبون منه أن يكون ضد الإخوان المسلمين فهم على قوائم الإرهاب في الدول العربية أيضا. ماذا بقي للوجدان السني؟ إن السياسيين يطلبون منك أن لا تكون أحدا من هذه الأشياء، ولا يقترحون عليك منهجا بديلا، ويريدون منك أن تقاوم وتستمر ولا تستسلم، وتتبنى معاناة موجودة على الأرض.

إن آلام السنة وحدها تكفي، ضياعهم وتمزّقهم وغموض مصيرهم، فكيف إذا أضفنا لذلك الفراغ الوجداني، والحرب العالمية الثقافية على هويتهم. كيف يرتُبون أفكارهم وهم ممنوعون من كل طريق. لهذا في لحظة من اللحظات فكرت بأن هذا كله وهم، فإذا قيادات السنة تفكر بخدعة ومكر، لماذا الفرد يقع ضحية الإيمان بفكرة؟ ما هي المشكلة في التشيع؟ ربما العراق لم يعد بإمكانه أن يكون من مذهبين متصارعين؟ ما هي المشكلة بإيران؟ لماذا يحارب السني العربي الفرس والإيرانيين؟ السني العراقي يولد عدوا للإيرانيين.

الصحوات وشيوخ العشائر يركضون الآن في الرمادي يفجّرون البيوت ويصادرون الأموال والحلال ويهجّرون الأسر بحجة أن ولدهم داعشي. هذا العنف الدائر والكر والفر على السنة دمّر عقولهم، غدا يعود داعش ويفجر بيوت هؤلاء ويقطع رؤوس عوائلهم، وهكذا تدور الأمور.

كان السيد الأبيض في أميركا يضع على العبيد عبدا منهم لإدارة شؤونهم. وهذا العبد يكون أكثر عنصرية وقسوة من الأبيض. والسيد الشيعي حين يضع علينا عبدا سنيا فعليه أن يعلم بأن هذا العبد سيكون أقسى من كل الشيعة. لا نريد شيوخ عشائر رجاء، ولا نريد مسؤولين من السنة، نريد أن يكون جميع المسؤولين من الشيعة.

الناس تذهب إلى العمل والمهن المدنية وتدفع الضرائب. ألا ترون بوضوح أننا لا نصلح عقليا لشيء. لا نصلح بأن نكون مع داعش، ولا نصلح بأن نكون ضد داعش. لا نصلح بأن نكون مع إيران، ولا نصلح بأن نكون ضد إيران. ولا نصلح حتى أن نكون مع أميركا، ولا نصلح أن نكون ضد أميركا. وهذا مصير المرتزقة في النهاية، تتضارب عليهم الأدوار والهويات.

حتى الادعاء بأن الإيرانيين هم الذين يحرّضون العراقيين على الاحتراب غير دقيق. لولا الفارسي السيستاني لكان رد الشيعة العرب على البعثيين وداعش أكثر قسوة ربما. وتاريخ العراق شاهد بمشاهد قاسية لم تتدخل فيها إيران.

عام 1988 قام السيد علي حسن المجيد بقيادة حملة الأنفال ضد الأكراد، وكان وزير الدفاع السابق سلطان هاشم القائد العسكري لتلك الحملة المشينة حيث قام بتدمير 2000 قرية كردية، وإجبار قرابة نصف مليون كردي على الإقامة في قرى أقامتها الحكومة العراقية أشبه بالإقامة الجبرية، واعتقال حوالي 182 ألف كردي جرى إعدام عدد كبير منهم ودفنهم في قبور جماعية.

وفي بداية هجوم البغدادي على أربيل حين شارفت قوات تنظيم الدولة الإسلامية في زحفها على المدينة، وأصبحت على بعد 30 كلم منها صرّح بعض الدواعش بأنه كان في نيتهم تكرار عمليات الأنفال. إن نصف السنة يمجّد صدام حسين، ونصفهم الآخر يمجّد البغدادي. لهذا لا نلوم إخواننا في المذهب من الأكراد إذا تحالفوا مع الشيعة، ووجدوا فيهم طرفا أكثر مدعاة للثقة.

فقد خسرنا إخواننا في العروبة من الشيعة، وخسرنا إخواننا في المذهب من السنة. يكفي أن الجنرال قاسم سليماني هو الذي شارك بحماية كردستان بعد زيارة السيد مسعود البارزاني لطهران عام 2004. ولا نعترف لا بحملة أنفال ولا حلبجة من الجرائم التي ارتكبتها الحكومة البعثية السابقة بحق إخوتنا الأكراد. ليس عندنا تلك الشجاعة ولا نشعر بالخجل، كما نسمي المقابر الجماعية للشيعة التي شملت حتى الرضع بـ "المزابل الجماعية".

وها هو داعش نفس الشيء، لا نعترف بأيّ مسؤولية عنها، وكما قلنا بأن حلبجة جريمة إيرانية، نقول اليوم بأن داعش إيراني بكل صلافة. هل الموصل داعشية أم شيراز؟ هل المتعاطفون مع داعش في القصيم أم في النجف؟

لقد سبق للشريف حسين في فترة يأس أن كتب للدوائر البريطانية يتهم عبدالعزيز آل سعود بأنه "شيوعي" فقط لتحريض البريطانيين ضد غريمه. فالشيوعية كانت مثل داعش "شر مطلق". الشيعة ليسوا دواعش، والخميني يختلف عن البغدادي فكرة وأسلوبا. داعش ظهرت كواحدة من تفسيرات الإسلام السني. هذه مشكلتنا وعلينا القبول بالحقيقة.

وحتى في استرقاق وبيع وشراء الإيزيديات لا نكترث حقا للأمر. كل ما يهمنا التفسير الفقهي ومعنى الحديث في هذا الشأن. لا يخطر ببالنا ماذا سنفعل لو تم استرقاق نساء الموصل المسلمات وبيعهن وشراؤهن غدا؟ وعلى أيّ أساس يتم تخيير المسيحي بين الرحيل ودفع الجزية والإسلام؟ وعلى أيّ أساس تتم مصادرة أموالهم؟ هذه ثقافة لا يمكننا التنصل منها بالقول ها نحن نشرب "عرق" ولا علاقة لنا بداعش، سوف يتم ضربنا بالذلة والمسكنة حتى يهون علينا أمرنا. قتلتنا محنة القيم وأزمة القيادة وعدم احترام الثقافة، وقتلنا شيوخ القبائل المرتزقة.

ثم كيف أن إيران تحرضها على العنف؟ انظروا إلى ردة فعل الحكومة العراقية مقارنة بردة فعل الحكومة السورية. انظروا إلى الشيعي العربي العلماني الذي هجّر عشرة ملايين وقتل نصف مليون وضرب شعبه أربع مرات بالسلاح الكيمياوي، وأجبر الناس تحت التعذيب بترديد "لا إله إلا بشار الأسد" لأنه ببساطة شيعي عربي علماني لا سلطة للفارسي السيستاني عليه. كل ما تستطيع إيران فعله في الصراع هو دعم الشيعة العرب، وليست مسؤولة عن أخلاقهم. بدليل لا يوجد عنف مشابه للعنف العربي في إيران على الإطلاق.

حصيلة أكاذيبنا لقرن كامل كانت نتيجتها الدولة الإسلامية داعش. الطائرات التي تقصف الخليفة الآن تُحلق فوقها القهقهات. فكيف يمكن حل مشكلة كهذه بالطائرات؟ حين حلّق الطيران الملكي الإيراني وصار يقصف مقرات الثورة الإسلامية ضحك الخميني وهو ينظر من النافذة وقال لهم هذه الطائرات الحديثة ستحط على الأرض في النهاية. فإلى متى هذا التحليق في السماء، ربما هو مجرد هروب من الحقيقة والواقع.

يجب أن نعترف بوجود أخطاء وتناقضات. كيف نجلب أطباء نفسيين يعالجون الناس على أساس أن هناك خللا في فهمهم للدين يجعلهم متطرفين؟ الناس مساكين، لقد قيل لهم إن الجهاد في أفغانستان فضيلة ولا يجوز احتلال دولة مسلمة من دولة كافرة. 35 ألف سعودي تطوعوا في الثمانينات، غير الخيرين المؤمنين الذي تبرعوا بنصف أموالهم في سبيل الله. ثم جاء احتلال العراق وبعدها احتلال سوريا من قبل روسيا نفسها دون أن يكون هناك أيّ مشكلة.

المهم أن العراقيين قد تعبوا واكتشفوا أن الصراع ليس سياسيا بل يستهدف قلب مذهبهم الديني وهذا ليس مشكلة لحقن الدماء. فحتى المفتي السعودي لا يقول اليوم بأن الشيعة يذهبون إلى الجحيم مثلا، فلا فرق بين المذاهب، وإذا كانت هناك مصلحة وحقن دماء لا داعي للصراع المذهبي.

العراق فيه ضريح الحسين وعلي بن أبي طالب والحوزات الشيعية العلمية التي تضم مئات العلماء والمراجع وهناك دعم تاريخي من إيران. بالمقابل السنة ليس عندهم سوى مشعان وحميد الهايس والخنجر وداعش، ولا يوجد دعم عربي لهم. فما دام السفير السعودي في بغداد قال إنه سيعامل الجميع كعرب ولا يفرّق بين المذاهب فلماذا لا ننجو بأنفسنا، ونبقى عربا، أليست السعودية تحب العرب بغض النظر عن المذهب؟ المهم ننجو من تهمة الإرهاب ومن الصراع والتدافع المذهبي السياسي، وتنتهي هذه القصة الدموية العبثية.

المستقبل يبدو لنا شديد السواد. والقول بوجود أمل بعد داعش في العراق موهوم، فنحن لا نرى سوى مدن محطمة وشعوب ذليلة تشتم بعضها البعض في صلاة الجمعة وتقرف من رائحة الهزيمة.

كان المالكي يهدد ويتوعد وقد قتل وعزل وهجّر وسجن وعذب من السنة الكثيرين. فانتزع البغدادي الموصل وسقط المالكي فورا. كان ذلك أول مكسب سياسي "سني". تحققه الدولة الإسلامية، واليوم يقولون إن القضاء على داعش يجب أن يكون مشروطا بتقديم حزمة من المكاسب السياسية والثقافية والاقتصادية لسنّة العراق. هذا معناه أن الخليفة البغدادي بمثابة المسيح "متُّ كي يؤكل الخبزُ باسم/ كي يذكروني مع الموسم"، ستكون كركرات الأطفال في المستقبل مَدينة لبابا أبو بكر البغدادي.

ستلمحه العجائز في ليالي الشتاء تحت الغيوم، وعيونهن غارقة بالدمع والامتنان لبابا أبو بكر ورفاقه الانتحاريين المحبّين لأهل السنة، الذين أجبروا بوحشيتهم ودمائهم القوى العظمى على تغيير سياستها ومنح الناس المزيد من السلطة والثروة والسعادة.

هذا لن يحدث أبدا، لا أعتقد بوجود أيّ مكافأة لشعب يحتضن الإرهاب. المنطق يقول العكس هو الصحيح، وعلينا تقديم نصائح لسنة العراق بأن التاريخ حافل بأحداث من هذا النوع. المصريون غيروا دينهم أربع مرات من الفرعونية إلى اليوم، وغيروا مذهبهم من الشيعة الفاطمية إلى السنة، والإيرانيون كذلك غيروا مذهبهم على يد الشاه إسماعيل من السنة إلى الشيعة. وكل ذلك لأسباب مشابهة متعلقة بطلب الأمان والمصالح والاستقرار. خصوصا وأن نصف سنة العراق "لا يدينيون" فالتدين في العراق "شيعي" أساسا بسبب المدارس الدينية والمزارات المقدسة.

بوجود شبهة الإرهاب وتركة حزب البعث العراقي وجرائمه والضغط الدولي ونتيجة لعدم وجود دولة تجرؤ على مناصرة السنة علنا، أرى بأنه آن الأوان لهم بالتفكير جديا في هذه الورقة، رغم أنني أعلم بأن الآلاف من السنة في بغداد قد اقتنعوا بالتشيع، وهذا سبب هدوء العاصمة الأمني رغم وجود داعش.

> علينا تقديم نصائح لسنة العراق بأن التاريخ حافل بأحداث من هذا النوع. المصريون غيروا دينهم أربع مرات من الفرعونية إلى اليوم، وغيروا مذهبهم من الشيعة الفاطمية إلى السنة، والإيرانيون كذلك غيروا مذهبهم على يد الشاه إسماعيل من السنة إلى الشيعة. وكل ذلك لأسباب مشابهة متعلقة بطلب الأمان والمصالح والاستقرار

لا تحارب الإسلام السياسي في مصر ثم تبتسم لحزب الله

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❑ كان الخبر التالي مثار جدل مكتوم خلال الأيام الماضية، قيام وفد ممّا يسمى بحزب الله بزيارة مصر للاجتماع بمسؤولين أمنيين وتقديم العزاء في الصحافي الراحل محمد حسنين هيكل. تألف الوفد من ثلاث شخصيات: محمد عفيف (مسؤول العلاقات الإعلامية في الحزب الإلهي) والنائب علي المقداد ومسؤول العلاقات العربية حسن عزالدين.

وجزئية العزاء ليست مثار جدل، فهنا تحضر زاوية إنسانية لا بد من احترامها وتقديرها للسلطات المصرية، لكن المحزن والمؤلم هو تشريع وجود الميليشيا الإرهابية باستقبالها من رجال المخابرات الحربية "للتشاور والتنسيق".

كنت أتمنى صدور نفي لهذه الجزئية من طرف الحزب الإلهي أو من الطرف المصري، لكن ما جرى هو العكس، هناك صمت تام في مصر وهناك ارتياح عارم في أوساط الحزب الإلهي من صوره بعض التصريحات على غرار: علاقتنا بمصر مفتوحة، صفحة جديدة في العلاقات مع مصر، هناك تطابق في الرؤى في ملفات الإرهاب وسوريا.

حسنا، فلنتذكر ما فعله حزب الله بمصر، عام 2011، في خضم ثورة يناير، هرّب من السجن سامي شهاب، عنصر حزب الله المدان قضائيا بالتخطيط لهجمات وأعمال إرهابية داخل الأراضي المصرية مستهدفة المواطنين والسياح عبر تفجيرات انتحارية وسيارات ملغّمة وعبوات ناسفة في سيناء خصوصا، وفي اعترافات شهاب للسلطات المصرية التي بثها الإعلام المصري قال نصا "العمليات كلها كانت تستهدف الوضع الداخلي في مصر ولا علاقة لها بمساعدة التنظيمات الفلسطينية في غزة"، وعلى إثر كل ذلك حكم القضاء المصري بسجن شهاب و27 آخرين 15 سنة عام 2009، وللأسف تمكّن شهاب من الهرب عام 2011 وإلى الآن لم تطالب السلطات المصرية باستعادته إلى سجونها.

> لمن قد يقول إن العلاقة بين القاهرة وحزب الله مصلحة مصرية خالصة نسأل: هل يعقل أن يكون العالم كله على خطأ ويكون الحزب الإلهي وبعض المسؤولين على صواب

نحن نعطي مثلا واحدا فقط لما فعله حزب الله مصريا، وبإمكان أصدقائنا من الصحافيين والمثقفين المصريين العودة بشريط الذكريات إلى ما قبل ثورة 25 يناير، هناك أرطال من التصريحات الإلهية المسيئة لمصر والمتطاولة على رموزها وتاريخها.

بعض أصدقائنا في مصر، قد يفسر هذا النقد على أنه مساس بالسيادة المصرية، وهذا غير صحيح مطلقا، فالعلاقات الثنائية من صميم مفهوم السيادة عبر مبدأ "المعاملة بالمثل"، بعد ثورة 30 يونيو، دعما لمصر، قطعت السعودية كل علاقة مع جماعة الإخوان المسلمين، وتخندقت مع السلطات المصرية مصنفة الجماعة تنظيما إرهابيا، وهو إجراء صحيح وسليم، لم تبال المملكة بعلاقتها التاريخية مع الجماعة التي تعود إلى زمن التصادم الفيصلي الناصري، ولم تبال بوجود شريحة سعودية في المملكة لها انحيازاتها مع الإخوان، بل ذهبت المملكة إلى ما هو أبعد، فرضت على قطر ترحيل أغلب اللاجئين الإخوان وإيقاف حملاتها الإعلامية ضد مصر فيما يعرف بمبادرة الملك عبدالله التي استقبل بموجبها الرئيس المصري مبعوثا لأمير قطر حضر بمعية رئيس الديوان الملكي الشيخ خالد التويجري.

لذلك ليس من المنطق أن يكون استقبال قطر للإخوان غير خاضع لمقياس السيادة القطرية بل هو عمل معاد لمصر، لكننا في الوقت نفسه نعتبر التلاقي المصري-الإلهي من صميم السيادة المصرية ولا نريد تصنيفه عملا معاديا للخليج، خصوصا وأننا نتحدث عن حزب مصنّف كتنظيم إرهابي محظور في مجلس التعاون الخليجي، وهذا التصنيف ليس من باب النكاية، في البحرين ضبطت غير خلية إرهابية تابعة للحزب الإلهي، وفي عام 2013 أوقفت خلايا تجسس وإرهاب في الكويت وفي السعودية، وقبل أسابيع في الإمارات تحاكم خلية حزب الله بتهم التخابر والإساءة للدولة ومؤسساتها، ولا ننس قضية خلية العبدلي الإرهابية التي أصدر القضاء الكويتي أحكامه المبرمة في حقها قبل نحو شهر، ولن أتحدث عن تفجير الخبر في المملكة عام 1996، ولن أتحدث عن تورط قيادات حزبية -وفق حكم قضائي- في محاولة اغتيال أمير الكويت عام 1983 واختطاف طائرة كويتية عام 1988.

جاء الاستقبال المصري لحزب الله في التوقيت الأسوأ، اكتشاف السلطات اليمنية لخلية من حزب الله تدرّب يمنيين لاستهداف المملكة داخل حدودها، بيان من وزارة الداخلية عن تورّط حزب الله في تهريب المخدرات إلى المملكة، بدء محاكمة خلايا تجسس وإرهاب تابعة لإيران ولحزبها الإلهي تستهدف المملكة، توريط الحزب الإلهي للحكومة اللبنانية في شق الإجماع العربي، وليس آخرا استعداد دول الخليج لدخول سوريا من أجل محاربة داعش وحزب الله وبشار الأسد، ورغم الاختلاف في وجهات النظر حول النقطة الأخيرة، لكن دول الخليج احترمت سيادة مصر.

فلنفترض أننا في المملكة والخليج كذبة ومتحاملون، الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وضعا عقوبات وضوابط مصرفية على لبنان بعد اكتشاف شبكات لتبييض الأموال وتمويل الإرهاب تابعة للحزب الإلهي تعمل في أوروبا وفي الأميركيتين، ولا بأس هنا بالتذكير ببعض الأخبار التي تداولها الإعلام على استحياء خلال سنوات مضت، وهي القبض على شبكات اتجار وتهريب المخدرات تابعة لما يسمّى بحزب الله، في يونيو 2005 بالإكوادور، في أغسطس 2008 بكولومبيا، في أبريل 2009 بهولندا، في أكتوبر 2009 بألمانيا، وفي يناير 2014 في أستراليا (وهناك شبكة أخرى أوقفت وأدينت بتبييض الأموال)، وهذا غيض من فيض لا يستثني غينيا بيساو والمكسيك والأرجنتين والولايات المتحدة. بالله عليكم كيف تجتمع المقاومة مع المخدرات وكيف يجتمع الله مع المخدرات في حزب واحد!

ولمن قد يقول إن العلاقة المصرية الإلهية مصلحة مصرية خالصة نسأل: هل يعقل أن يكون العالم كله على خطأ ويكون الحزب الإلهي وبعض المسؤولين على صواب؟ حزب الله متمدد في دول أربع، لبنان وسوريا والعراق واليمن، وما دخل بلدا جديدة إلا أصبحت على صورة ما سبقها من بلاد، والدليل على ذلك الحكم القضائي الصادر في مصر في قضية سامي شهاب المعروفة باسم "خلية حزب الله".

في ظل صراع السلطة المصرية مع الإخوان تم إعلان الحرب على الإسلام السياسي، وهو إجراء حكيم، لكن لا يعقل أن نعتبر الإسلام السياسي السلفي أو السني شيطانا رجيما ونعتبر الإسلام السياسي الشيعي من ملائكة الرحمة، مع العلم أن الإسلام السياسي هو إسلام سياسي وليس سنيا أو شيعيا، والانحياز ضمن هذه الثنائية هو دعم إرهاب على حساب إرهاب، وليس حربا على الإرهاب لمصلحة الوسطية والاعتدال، والدليل على ذلك أن أدبيات سيد قطب "الإخواني/السني" تعد مرجعا معتمدا ضمن أدبيات حزب الله وحزب الدعوة والثورة الإيرانية "الشيعية" إلى تاريخه، من الأساس كيف تزعم أنك تحارب الإسلام السياسي وتبتسم لحزب اسمه "حزب الله"؟ وكيف للمثقف المصري المنحاز إلى التنوير أن يبتسم لحزب لم يرشح أيّ امرأة لمقاعد النيابة أو الوزارة ولا يعترف بحدود دولته معرّفا نفسه بحزب ولاية الفقيه ووكيل الثورة الإسلامية تماما كجماعة الإخوان التي لا تعترف بالوطن.

بعد ثورة 30 يونيو، استهدفت جماعة الإخوان وميليشيات الدواعش الجيش المصري ومسؤولين ومواطنين وسياحا، حزب الله فعل كل ذلك في لبنان نفسها، من 2005 إلى 2013 تشير أصابع الاتهام إلى حزب الله في قضايا اغتيال ساسة ثورة الأرز بداية برفيق الحريري وليس انتهاء بمحمد شطح، والحزب الإلهي يرفض المثول، بقوة السلاح، أمام القضاء سواء في المحكمة الدولية أو في القضاء اللبناني كقضية محاولة الاغتيال الفاشلة للنائب والوزير بطرس حرب، اغتيال عنصر الجيش اللبناني الملازم الطيار سامر حنا عام 2008 إضافة إلى احتلال بيروت وترويع الجبل في نفس العام ممّا أسفر عن مقتل 100 مواطن لبناني لا بواكي لهم، والآن تعاني الدولة اللبنانية من شلل كامل بتعطيل الحكومة والبرلمان وفراغ كرسي الرئاسة بسبب غطرسة السلاح غير الشرعي، والحديث عن جرائم حزب الله في لبنان بحاجة إلى مجلدات، فكيف يثق المصريون في ميليشيا تمارس الإرهاب ضد وطنها وضد العرب؟ قد يأتي من يقول إن الحزب يحارب إسرائيل، لكن حماس أيضا تحارب إسرائيل مع أنها تمارس الإرهاب في سيناء، فلماذا يريد البعض اقتصار الحديث على جرائم حماس وحسنة حزب الله، إن صحت، في سياق واحد؟

> لا يعقل أن نعتبر الإسلام السياسي السلفي أو السني شيطانا رجيما ونعتبر الإسلام السياسي الشيعي من ملائكة الرحمة، مع العلم أن الإسلام السياسي هو إسلام سياسي وليس سنيا أو شيعيا

قال مسؤول مصري رفيع لمفكر لبناني قبل أشهر إنه معجب بحزب الله لأنه يحارب داعش، فطلب المفكر المعروف من المسؤول الذي تصله تقارير أمنية واسعة أن يسمي جبهة واحدة فقط اشتبك فيها الحزب مع الدواعش لبنانيا أو سوريا، وهنا سكت المسؤول لأنه لم يجد جوابا، حزب الله وأشباهه كالحرس الثوري لا يقلون إرهابا ووحشية عن داعش والقاعدة، بل ربما أسوأ، فالحزب الإلهي يرفع شعار الحرب على الإرهاب لكنه حقيقة يستهدف السنة طائفيا وعنصريا، وليس أدل على ذلك أنه كلما دخل منطقة تعاظمت شوكة الإرهاب فيها بعد تهجير السنّة أو قتلهم، ما أسوأ حظ السنة، فهم مستهدفون من الإرهابين السلفي والشيعي على حد سواء. ما زلت مؤملا أن تقوم السلطات المصرية بإصدار توضيح قاطع وصارم لما جرى، إنني شخصيا أفهم صدور الكذب من حزب الله، لكن يصعب عليّ وعلى أمثالي من محبّي مصر تلقّي مثل هذه الضربة من القاهرة، قال الأستاذ هيكل قبل رحيله إن الحكم في مصر بعد ثورة 30 يونيو يعاني من غياب الرؤية. حفظ الله مصر ولطف بالمصريين ورحم الأستاذ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السيسي لن يوقّع على أحكام إعدام قادة الجماعة

سعدالدين إبراهيم: التفاهم بين واشنطن والإخوان لن يدوم طويلا

يتوقّع سعدالدين إبراهيم، أستاذ الاجتماع السياسي ورئيس مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في مصر، أن يؤدي مشروع القانون الأميركي باعتبار الجماعة تنظيما إرهابيا إلى تفكيكها وانخراط كوادرها في التنظيمات المتطرفة.

محسن عوض الله

❑ **القاهرة** – يرى سعدالدين إبراهيم، أستاذ علم الاجتماع السياسي ورئيس مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في مصر، أن العلاقات بين الإخوان والإدارة الأميركية قد تدخل مرحلة جديدة من التوتر خلال الفترة المقبلة، على خلفية مشروع القانون الذي أعدّته اللجنة القضائية بالكونغرس ويوصي باعتبار الجماعة تنظيما إرهابيا.

وقال إبراهيم، في حوار مع "العرب"، إن القانون في حال إقراره من مجلس النواب الأميركي، كما هو متوقع، سيمثّل ضربة جديدة للجماعة، وسيزيد الانشقاقات داخلها، ويدفع بكثير من كوادرها نحو التنظيمات المتطرفة.

وكانت اللجنة القضائية بالكونغرس الأميركي، ذات الغالبية الجمهورية، قد وافقت بـ17 صوتا مقابل 10 على مشروع قانون مقدم من "ماريو دياز بالارت" النائب الجمهوري عن ولاية فلوريدا باعتبار الجماعة تهديدا عالميا، بحسب وصفه.

ومع أن القانون لم يعرض حتى الآن على الجلسة العامة لمجلس النواب، إلا أن إبراهيم قال إنه من المنتظر أن يحصل على موافقة الكونغرس، لأن هناك "شبه توافق بين الحزبين الرئيسيين على مضمونه لما تحظى به اللجنة القضائية المختصة بشؤون الإرهاب من مصداقية لدى الشارع الأميركي ودوائر صنع القرار".

> مشروع القانون الأميركي باعتبار الجماعة تنظيما إرهابيا، في حال إقراره من مجلس النواب الأميركي، سيمثل ضربة جديدة للجماعة وسيزيد الانشقاقات داخلها

وإقرار القانون الجديد، في حال تمت المصادقة عليه، سيكون له تبعات على العلاقات بين واشنطن وجماعة الإخوان من جهة، وعلى مستقبل الجماعة نفسها وتنظيمها الدولي من جهة أخرى، وعلى شكل علاقتها بالنظام المصري من جهة ثالثة، وهو ما انعكس في تهديدات مسؤولين من الصف الثاني بالجماعة للحكومة الأميركية.

وقد حذّر قطب العربي القيادي الإخواني المقيم في تركيا، من أن تصنيف الإخوان كجماعة إرهابية سيدفع الكثير من شبابها للحاق بجماعات مسلحة ولن تكون الجماعة قادرة على لجمهم، ما يشكل خطرا على السلام العالمي وعلى المصالح الأميركية نفسها.

من الوفاق إلى العداء

سعدالدين إبراهيم، الذي يشتهر في أوساط السياسة المصرية بأنه "عرّاب العلاقة بين الإخوان وواشنطن" منذ نجاحه عام 2003 في ترتيب لقاء بين دبلوماسيين غربيين ووفد من الجماعة بمقر النادي السويسري بالجيزة القريبة من القاهرة، يؤيد فكرة أن مجرد فكرة إقرار قانون أميركي يصنف جماعة الأخوان تنظيما إرهابيا سيحوّل علاقة التفاهم الحالية بين الإخوان وواشنطن إلى عداء معلن.

ومبررات ابراهيم لهذا التحول في العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين والولايات المتحدة هي أن القانون سوف يضيّق الخناق على الإخوان ويحجّم أنشطتهم بالخارج، خاصة أنه يأتي بعد قرارات مشابهة من عدة دول أوروبية، الأمر الذي يضع التنظيم الدولي للجماعة في مأزق كبير. ولو تمت بالفعل المصادقة على القانون، فيجعل مستقبلها بالكامل على المحك؛ فأي شخص على صلة بالجماعة سيمنع من دخول الولايات المتحدة، وأعضاء الجماعة المقيمون في أميركا والذين يقدمون الدعم المادي للتنظيم سيواجهون المحاكمة بموجب قانون العقوبات الجنائية الاتحادية.

وستقوم وزارة المالية الأميركية بمطالبة المؤسسات التي تمتلكها الولايات المتحدة بمصادرة أيّ أصول تابعة لجماعة الإخوان لمنع أيّ معاملات مالية تشمل هذه الأصول.

إجمالا فإن القانون، كما يرى إبراهيم، سيعمّق أزمات الجماعة ويزيد حجم الانشقاقات داخلها، وقد يؤدي إلى انخراط عناصر جديدة من شبابها في صفوف جماعات العنف والإرهاب بشكل رسمي.

ومن المتوقع أن الموقف الأميركي من الإخوان سوف يضاعف من قوة موقف الحكومة المصرية ويقدم دعما معنويا كبيرا لنظام السيسي في حربه المستمرة منذ نحو عامين ونصف العام ضد الجماعة والإرهاب الذي تسببه، لكن المفاجأة أن إبراهيم يرجّح ألا يستفيد النظام المصري من ذلك، وإنما على العكس رجّح أن تنتهي حالة الاحتقان المتبادل بين الطرفين، وتتحقق المصالحة بعد سنوات قليلة.

وتوقع أستاذ علم الاجتماع السياسي ألا يوقّع السيسي على أحكام الإعدام الصادرة بحق عشرات من قيادات الإخوان وقد يلجأ لإطلاق مبادرة صلح شاملة، لكن في العام الأخير من حكمه .

الحديث عن جماعات الإسلام السياسي وامتداداتها المتطرفة والإرهابية، قاد لسؤال سعدالدين إبراهيم عن رؤيته لتنظيم داعش والخطر الذي يمثله، ومستقبله في أيّ ترسيم سياسي قادم للمنطقة، فردّ بأن تنظيم داعش سوف يختفي خلال حوالي عامين، لكن ذلك لا يعني القضاء على الإرهاب، وإنما ظهور تنظيمات جديدة لأن فكرة المظلومية التي تعتبر المصدر الأساسي لنشوء جماعات الإرهاب تنتشر في الكثير من دول العالم، حيث أن الشعور بها يقود إلى الاحتجاج ثم العنف ومنه إلى ممارسة الإرهاب المنظم.

واعتبر إبراهيم جماعة الإخوان تنظيما أقوى بكثير من داعش، خاصة أنه منتشر في أكثر من 50 دولة، ويتمتع بنفوذ سياسي وشعبي كبير، لكن داعش يبقى أكثر توحشا من أيّ تنظيم آخر.

الانتخابات الأميركية

حول رؤيته للانتخابات الرئاسية الأميركية أكد سعدالدين إبراهيم أن هيلاري كلينتون، مرشحة الحزب الديمقراطي تعتبر الأوفر حظا، دون تجاهل حظوظ دونالد ترامب الذي يسعى للترشح عن الحزب الجمهور.

الرئيس عبدالفتاح السيسي سيطلق مبادرة للمصالحة مع جماعة الإخوان المسلمين في العام الأخير من حكمه

وحذّر من أن وصول ترامب للسلطة سيعني سياسة أميركية أكثر عنفا في التعامل مع قضايا الشرق الأوسط، مذكّرا بأن التدخل العسكري الأميركي في المنطقة وقع في عهد رئيسين جمهوريين مثلما حدث في عهد جورج بوش الأب، وبوش الابن خلال حرب الخليج الأولى وحرب العراق.

وحول رؤيته للصراع المذهبي بالمنطقة أكد رئيس مركز ابن خلدون أن الخلافات الحالية بين طهران وبعض العواصم العربية لا يمكن أن تصل لمرحلة التدخلات والمواجهات العسكرية. وقلل من أهمية قرار البرلمان الأوروبي بفرض حظر على بيع الأسلحة للسعودية، مشيرا إلى أن كل دولة بالاتحاد الأوروبي لها سياستها المستقلة والقرار استرشادي غير ملزم.

وختم أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأميركية في القاهرة حواره معلنا عن قيادته لمبادرة شعبية لإنهاء التوتر بين مصر وتركيا متوقعا أن تشهد العلاقات بين البلدين تحسنا خلال الفترة المقبلة، في ظل رغبة مثقفي البلدين في إنهاء التوتر، كما توقع أن تشهد العلاقات بين القاهرة والدوحة تحسّنا في المدى المنظور، بعد أن طلبت الدوحة من عدد من قيادات الإخوان مغادرة أراضيها.

عرّاب السياسة الخارجية الأميركية وتعقيدات الشرق الأوسط

دنيس روس لـ«العرب»:
إيران تخرب بنية دول المنطقة والحرب على الإرهاب خاسرة دون حلفائنا السنة

كندة قنبر

❑ **واشنطن** – هو عرّاب السياسة الخارجية الأميركية ومهندسها لعقود من الزمن. كان قائداً ومفاوضاً طيلة أكثر من اثني عشر عاما لأصعب الصراعات. اتّهم بأنه محامي الشيطان، ولهذا الشيطان جنسيتان، إسرائيلية تارة وفلسطينية تارة أخرى. تنقل بين عدد من المواقع في الحكومات الأميركية، الجمهورية منها والديمقراطية، ليكون أحدثها منصب المساعد الخاص للرئيس باراك أوباما ورئيس مجلس الأمن القومي للمنطقة الوسطى والمستشار الخاص لوزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلينتون، إنه السفير دنيس روس.

مؤخراً أصدر روس كتابه "محكومة بالنجاح"، وهو كتاب يتناول العلاقات الإسرائيلية ـ الأميركية من زمن الرئيس ترومان إلى الرئيس أوباما. نشر هذا الكتاب في أكثر الأوقات حساسية وتوتّراً بين البلدين. إذ تشهد تلك العلاقات انحداراً كبيراً، خاصة على الصعيد الشخصي بين الرئيس الأميركي أوباما ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو.

محادثة هاتفية كارثية

تحدّث روس في كتابه عن محادثة هاتفية جرت بين الرئيسين وكانت مدتها تسعون دقيقة، جرت بعد الإعلان عن الاتفاق المؤقت بين واشنطن وطهران حول ملفّها النووي بفترة وجيزة. وصف روس المحادثة بأنها كانت من أصعب المحادثات وأكثرها كارثية. فقد شابها الكثير من التوتر والصدام. وَقال إن مستشارة الأمن القومي سوزان رايس قالت لرئيس رابطة مكافحة التشهير أيب فوكسمان إن نتنياهو استخدم فيها كل الكلام القاسي والعنصري ضد الرئيس أوباما.

في وقت لاحق وضّح السفير روس وعبر وسائل الإعلام بأنه لا يعتقد بأن نتنياهو عنصري. وقال روس إنه التقىٰ مع نتنياهو بعد المحادثة بوقت قليل، واصفاً وجه الأخير آنذاك بأنه كان دون معالم أو تعبيرات. قال نتنياهو لروس لحظتها إن هذا الاتفاق النووي الإيراني "خطأ تاريخي".

أوباما ونتنياهو وإيران

في لقاء "العرب" مع روس تحدث عن العلاقات بين واشنطن وتل أبيب والخلاف بين الرئيس أوباما ورئيس الوزراء نتنياهو. قال روس لـ"العرب" إن العلاقات الإسرائيلية – الأميركية لم تتضرر بشكل جذري. ولكن هناك انخفاض في شعبية أوباما لدى الجمهور الإسرائيلي. وأن الداخل الإسرائيلي بدأ يقتنع بأن أوباما لا يمكن الاعتماد عليه.

وأكد روس على ذلك حين قال "لقد انخفض مستوى الثقة بأوباما. والآن يسود اعتقاد بأن الإدارة الاميركية ساذجة في ما يخص التهديدات التي تحيط بالشرق الأوسط".

وأوضح روس أن وجهة نظر أوباما تخالف تلك التصورات فهو يعتقد بأنه "صديق مقرب لإسرائيل. وأنه ما يزال ملتزماً حيال أمنها، وهذا ما دفعه إلىٰ إبرام خطة عمل شاملة ومشتركة مع إيران. منطلقا من أن هذا الاتفاق يصب في مصلحة إسرائيل وأمنها، كما يتصور أوباما".

يصف روس ما يدور برأس نتنياهو بالقول "يشعر نتنياهو أن الاتفاق الأميركي مع الإيرانيين أشبه بالطعنة في الظهر". ويضيف "أدارت الولايات المتحدة القضية النووية الإيرانية في القنوات الخلفية، مبعدة حليفتها إسرائيل عن التفاصيل. ففوجئت تل أبيب بتوصل واشنطن وطهران إلىٰ أول اتفاق مؤقت. ثم بإبرام الاتفاق الأوّلي". ويعتقد روس أن "أوباما كان علىٰ قناعة راسخة بأن إسرائيل ستهاجم البنية التحتية النووية الإيرانية في وقت ما، وأنها ستقود واشنطن إلىٰ حرب جديدة في المنطقة. لذلك اتخذ قراره منفرداً بحماية إسرائيل، وحماية أميركا معاً من حرب شرسة متوقعة".

لكن روس يؤكد علىٰ أنه لا وجود لأيّ دليل حتىٰ هذه اللحظة علىٰ تغير سلوك إيران في المنطقة بعد توقيع الاتفاق، كما كان أوباما يروّج. كما أن طهران حسب روس "مازالت تدعم الجماعات الإرهابية، كحزب الله والميليشيات الشيعية الأخرى. و خطابها العدائي ضد أميركا ازداد شراسة علىٰ لسان المرشد العام خامنئي، وفي الحملات الانتخابية الحالية".

كما أوضح روس لـ"العرب" أن إيران "تلعب اليوم دورا مخرّبا في العراق. وتمنع رئيس الوزراء العبادي من تسليح القبائل السنية لمحاربة داعش، بالإضافة إلىٰ اعتقالها مواطنين أميركيين. وما يبدو حتىٰ الآن هو أن حجة واشنطن بأن هذا الاتفاق سيغيّر من طبيعة إيران وسيقوم علىٰ تقوية التيار الإصلاحي فيها غير واقعية بالمرة. بل علىٰ العكس من ذلك نلاحظ أن التيار المتشدّد ما زال هو المسيطر هناك".

سوريا واستراتيجية أوباما

دخلت الأزمة السورية منعطفاً جديداً بعد التدخل العسكري الروسي الذي غيّر ميزان اللعبة ليس لصالح الأسد و حسب، ولكن علىٰ حساب اللاعبين الإقليميين أيضا. حيث وافقت روسيا علىٰ مبادئ مؤتمر فيينا، والتي من مقرراتها وقف إطلاق النار. ولكن السؤال هنا؛ هل لدى روسيا نية حقيقة في تطبيق وقف إطلاق النار؟ بخصوص هذا الأمر يرى السفير دنيس روس أن الرئيس بوتين يهدف إلىٰ إظهار أن روسيا هي صاحبة اليد العليا في سوريا وفي منطقة الشرق الأوسط وليس أميركا.

ويضيف قائلا إنه "ما من شك أن المشهد علىٰ الساحة السورية معقد وصعب للغاية، وخاصة بعد التدخل الروسي عسكريا، ولكن واشنطن ما زالت تأمل في الحل السياسي الذي سيؤدي إلىٰ تخفيف معاناة الشعب السوري". ومن وجهة نظره فإن هدف واشنطن هدف معقول وسام. ولكن السؤال اليوم؛ هل تصلح الأدوات التي تستعملها الادارة الحالية للوصول إلىٰ حل سياسي فعّال في هذا الملف؟

في أعقاب شهر نوفمبر وبعد قرار مجلس الأمن رقم 2254 قامت موسكو بتكثيف قصفها للشمال السوري في منطقة حلب والمنطقة الجنوبية (درعا)، ويصف روس هذا الأمر قائلا "ما يلاحظ هو أن روسيا مازالت تواصل عملها العسكري ودعمها لقوات النظام والميليشيات الشيعية مثل حزب الله، حتىٰ بعد اتفاق ميونخ. بينما بقيت واشنطن تسعىٰ إلىٰ تحقيق تقدم ما علىٰ الصعيد الإنساني".

من وجهة نظر روس تبدو روسيا غير جادة في وقف معاناة الشعب السوري، لأن التجربة الطويلة مع الروس، كما يقول، توضح أنهم مستعدون للمضي مع واشنطن فقط حتىٰ الوصول إلىٰ تحقيق أهدافهم الاستراتيجية.

ويتوقع روس أن تشهد الفترة القادمة وقفاً لإطلاق النار وإدخالاً للمساعدات الإنسانية. وهو ما اعتبره أمراً هاماً وجيداً لتخفيف معاناة السوريين. لكن السؤال الذي يسأله روس يصبّ في التالي؛ هل وقف إطلاق النار هذا سيكون من ضمن خطة كاملة للتوصل إلىٰ حل للأزمة؟ في الوقت الذي يؤكد فيه أنه لا يرى أيّ تغير جذري في استراتيجية روسيا في سوريا وأن وقف إطلاق النار سيكون مؤقتاً.

ويعتقد روس أن إدارة أوباما ليست مستعدة لاستخدام نفوذها الحقيقي علىٰ روسيا. وهي لن تسمح بتسليح المعارضة ولن تقدم علىٰ إقامة مناطق آمنة، ويقول روس "هذا الأمر واضح للرئيس بوتين، لذلك فهو يبني استراتيجيته علىٰ هذا الأساس. متعمداً إرسال رسالة واضحة لواشنطن ولجميع القوى الإقليمية في المنطقة، مفادها أنه هو القوة الوحيدة والفاعلة في المنطقة والتي ستصوغ النتائج القادمة في سوريا".

تبدو أولوية واشنطن محاربة تنظيم داعش في المنطقة، وليس الإطاحة بنظام بشار الأسد، وذلك من خلال أملها في أن الجهود الدبلوماسية في النهاية ستثمر عن انضمام الروس إلىٰ الأميركيين والتوصل إلىٰ توحيد للرؤية الدولية حول سوريا.

لكن المشكلة كما يعتقد روس "تكمن في تعريف داعش من وجهة نظر الروس. فموسكو تنظر إلىٰ جميع القوى التي تحارب نظام الأسد علىٰ أساس أنها داعش. ورغم معرفة واشنطن بأن روسيا تقوم بقصف القوى المدعومة من قبلها ومن قبل تركيا والسعودية، إلاّ أن إدارة أوباما قررت عدم فعل شيء خوفاً من استدراجها إلىٰ مستنقع حرب في سوريا".

ولا يرى روس أن الجهود لعقد مفاوضات سياسية حول سوريا مجدية. لأنه لا يؤمن بأن السياسة الروسية ستتغير. بينما يقول إن واشنطن تعتقد أن روسيا قد تورّطت بالفعل في المستنقع السوري وأن الروس سوف يدركون هذا عاجلا أم آجلا.

أما عن التنسيق الروسي الإسرائيلي في سوريا فقد أكد السفير روس أن تل أبيب لا تشارك الروس رؤيتهم حول سوريا لأن هدف موسكو في سوريا هو الحفاظ علىٰ الأسد، وهذا يتسبب بتعزيز سلطة حزب الله في سوريا ولبنان، ولكن ما أكده هو وجود تنسيق متفق عليه وذلك بضرب النظام في حال قام بتزويد حزب الله بأسلحة نوعية.

الطريقة الوحيدة في إنجاح الحل السياسي في سوريا، كما يقول روس هي "أن تفهم موسكو جدية موقف واشنطن في تسليح المعارضة السورية كخطوة أولىٰ. وكذلك إقامة ملاذ آمن في الشمال كخطوة ثانية. رغم كل التعقيدات والصعوبات التي تواجه هذه الخطوة، في حال لم تصغ روسيا لطلب الولايات المتحدة".

أميركا وحلفاؤها العرب

خطة إدارة أوباما لمحاربة الإرهاب خطة محدودة علىٰ مستوى تحقيق النتائج. ولكن من وجهة نظر البيت الأبيض فإنها قد تنجح إلىٰ حدّ ما، وذلك عن طريق خسارة المدن التي يسيطر عليها تنظيم داعش في كل من سوريا والعراق. وبالرغم من أن داعش يقوم بإعادة تموضع في ليبيا، فإن القضية من وجهة نظر روس، ليست في خسارة داعش للأراضي والمدن، ولكن في القوى التي ستحل مكان داعش، إذ يقول "في حال سقطت مدينة الموصل في العراق أو مدينة الرقة في سوريا، ما هي القوى التي ستأخذ مكان داعش وخاصة أننا نفتقر إلىٰ الشركاء السنة علىٰ الأرض؟".

التوتر الذي يخيم علىٰ أجواء العلاقات بين واشنطن والرياض وأنقرة، والتي تعدّ من كبريات القوى السنية في المنطقة، يجعل من استراتيجية أوباما في محاربة داعش صعبة التنفيذ. فالسياسة الأميركية الحالية حسب روس هي سياسة "التدرّج"، وهي تهدف إلىٰ احتواء الأزمة ومصمّمة علىٰ أساس التعامل مع النكسات، وهي محدودة النتائج، كما يقول، وأكبر مثال علىٰ ذلك هو أنه عندما تحرّرت مدينة الرمادي في العراق، فشلت الاستراتيجية في إعادة السكان إليها، وفشلت في إعادة إعمار المدينة. كما أنها فشلت أيضا في مسح وتطهير المدينة من الألغام.

من وجهة نظر الإدارة الأميركية، فإن داعش يدّعي أن لديه تفويضاً إلهياً، وبالتالي فإن خسارة الأراضي والمدن التي يسيطر عليها ستؤدي إلىٰ ضرب صورة داعش عند أنصاره، وبالتالي يخسر لوجيستيا ومعنوياً. ولكن لكي يهزم داعش، يقول روس، يجب أن تكون خطة واشنطن سياسية متكاملة ومستدامة تضمن تأهيل القوى التي ستحل مكان داعش.

المشهد عند داعش معتمد علىٰ الاستقطاب، بحسب روس، فهو يضع المسلمين بين خيارين، كما حصل في سوريا. ونرى أن هذا الأسلوب متبع أيضا من قبل النظام السوري، "إما الأسد أو داعش"، وأيضا نلاحظه عند الروس. لذلك لا يمكن وضع حد لهذا الاستقطاب، ولا يمكن إنهاء داعش إلا بشريك مسلم سني يشارك في إضعاف الحجة القائلة إن داعش ممثل السنة في المنطقة، وهذا أيضا ما تفتقر إليه إدارة أوباما.

الصراع وحل الدولتين

لا يرى روس كبير المفاوضين والمسؤول السابق عن محادثات السلام الإسرائيلية الفلسطينية أيّ حل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني سوى حلّ الدولتين. في مكتبه المطل على أهم شارع في واشنطن "الكي ستريت"، علقت على الحائط صورة لرجل عربي بكوفية فلسطينية ورجل يهودي يرتدي "الكيبا" وكأنه يريد أن يعكس لزواره الأمل في التوصل إلىٰ ذلك الحل المتعسر. قال روس لـ"العرب": إن لدى الطرفين حركتين وطنيتين، كل منهما تتمتع بهوية وطنية خاصة بها. ولا يمكن التوصل لإنهاء هذا الصراع إلا عن طريق حلّ الدولتين، لأن حلّ الدولة الواحدة سيعني الحرب، مشيرا إلىٰ أن هذا الجمود في المفاوضات لا يخدم أيّ طرف.

وفي سؤاله عن حياديته أثناء عمله التفاوضي، أجاب مبتسماً "رئيس الوزراء السابق إيهود باراك كان يقول لي أنت محامي ياسر عرفات، وعلى الجانب الآخر، اتهمت بأنني محامي إسرائيل". يبرر روس ذلك بأن عمل الوسيط إنما هو تلبية للاحتياجات لدى الطرفين، كي تتحقق إمكانية التوصل إلىٰ تقريب لوجهات النظر يمكن البناء عليها.

مستقبل الشرق

المنطقة كما يرى روس، تشهد تغيراً استراتيجياً كبيراً من ناحية الأوّليات، واليوم يتفق العرب والإسرائيليون في نظرتهم إلىٰ التهديدات التي تحيق بالمنطقة والمتمثلة في خطر النفوذ الإيراني والجماعات المتطرفة.

يبدو مستقبل منطقة الشرق الأوسط في عيني روس مستقبلاً تحفه المخاطر ويشوبه الكثير من الغموض، لأنّ الصراعات التي يشهدها الشرق الأوسط وخاصة في سوريا ستستمر لعقد من الزمن. صراعات لبسط النفوذ، بين قناعة إيران بأحقيتها في السيطرة علىٰ المنطقة، وبين ما يقابل تلك القناعة من مقاومة من الطرف العربي. وصف روس صراعات تدور بين الجماعات الإسلامية المتطرفة السنية والشيعية وتلك الصراعات بين القوى الإسلامية وغير الإسلامية. فكل واحد من تلك القوى يحاول تحديد هوية الشرق الأوسط. مضيفاً أن سوريا ليست القضية المحورية في هذا الصراع، بل تهديد بنية الدولة وخطورته الكبيرة علىٰ المنطقة وعلىٰ أميركا في حال تمّ تدميرها، وأن الجماعات الإسلامية السنية والشيعية تعمل علىٰ هدم بنية الدولة وهذا ليس من مصلحة أحد. لذا علىٰ الولايات المتحدة فهم حقيقة الخطر الذي يواجه المنطقة والعمل علىٰ إقامة علاقات مع شركائها في المنطقة لتستطيع إعادة الاستقرار ومحاربة الإرهاب.

> حرب واشنطن لا تحسم بخسارة داعش الأراضي والمدن، و لكن بالقوى التي ستحل مكان داعش. وفي حال سقطت الموصل في العراق أو الرقة في سوريا، فما هي القوى التي ستأخذ مكان داعش، خاصة وأننا نفتقر إلى الشركاء السنة على الأرض

● روس يرى أن مستوى الثقة بأوباما ينخفض في إسرائيل، وأن اعتقادا يسود الآن بأن الإدارة الأميركية ساذجة في ما يخص التهديدات التي تحيط بالشرق الأوسط.

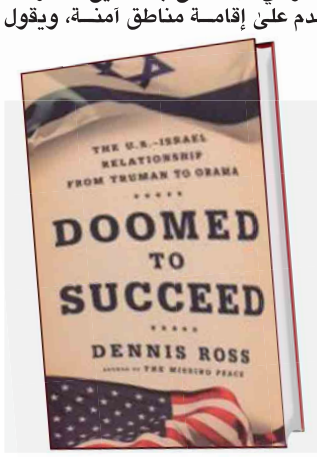

> كتابه «محكومة بالنجاح» يتناول فيه روس العلاقات الإسرائيلية ـ الأميركية من زمن الرئيس ترومان الى الرئيس أوباما. ويصدر في أكثر الأوقات توتراً بين واشنطن وتل أبيب. إذ تشهد تلك العلاقات انحداراً كبيراً، خاصة على الصعيد الشخصي بين أوباما ونتنياهو

طبيبة مصرية لا ترى فارقا بين جراح الجسد وجراح المواطنة

منى مينا
مقاتلة من أجل الإنسان حاربت ثنائية «الحكومة والإخوان»

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – تفاصيل كثيرة يمكن الوقوف أمامها عند الحديث عن شخصية منى مينا. طبيبة ناجحة ومناضلة نقابية ومدافعة عن حقوق الإنسان أينما أهدرت. وهبت حياتها لرسالتها المهنية والإنسانية لدرجة شغلتها في أوقات كثيرة عن التفكير في حياتها الشخصية. لكنّ القراءة في فكر ومسيرة هذه المرأة الاستثنائية، كفيلة بأن تقود صاحبها لإعادة اكتشاف الكثير من الحقائق حول فكرة النضال الوطني في مصر من زاويتين؛ فهي كسيدة تفوّقت على كثير من الرجال في هذا السياق، لتعود بالذاكرة الوطنية لأيام الكفاح ضد الاستعمار، التي شهدت ظهور عدد من القيادات النسائية المرموقة التي تركت بصمة واضحة في مسيرة النضال وعلى رأس هذه القيادات هدى شعراوي وصفية زغلول.

هي أيضا كمسيحية اختصرت عقودا طويلة من النزاع الطائفي السطحي الذي عاشته مصر منذ سبعينات القرن الماضي مع بزوغ نجم التنظيمات المتطرفة، لتعيد اللحمة الوطنية متكاملة للنضال المصري بعد عقود طويلة من الفرقة الشكلية.

بعد مواقفها الوطنية المشهود لها في العديد من الأحداث التي تلت ثورة 25 يناير 2011 عادت منى مينا لتبهر المصريين من جديد في هبّة الأطباء ضد ما تعرض له 3 من أبناء المهنة على أيدي عدد من أمناء الشرطة منذ أسابيع.

> مواقفها الوطنية المشهود لها في العديد من الأحداث التي تلت ثورة 25 يناير 2011 تعود مع مينا من جديد، لتبهر المصريين في هبة الأطباء ضد ما تعرض له 3 من أبناء المهنة على أيدي عدد من أمناء الشرطة منذ أسابيع

فقد دعت، ثم تقدمت صفوف الآلاف من الأطباء الحاضرين في مبنى نقابتهم القريب من مبنى البرلمان المصري، وميدان التحرير أيقونة الثورة المصرية، ليعلنوا لائحة طلبات صارمة تعيد للأطباء كرامتهم التي حاول البعض إهدارها، في وقفة لم تشهدها مصر منذ ثورة 30 يونيو 2013.

تعاملت مع إهانة الأطباء الثلاثة داخل مستشفى حيّ المطرية بشمال القاهرة على أنها مساس بكرامة الشعب كله، فأعلنت الدخول في تحد صريح مع وزارة الداخلية التي رأت في موقفَ أمين الشرطة من أطباء المستشفى عملاً فرديا غير مقصود.

انتصار مزدوج

عندما حاول أحمد عمادالدين وزير الصحة الحالي، تهدئة الأطباء وقطع الطريق على مزيد من الاحتجاجات، بطلب الجلوس مع العقل المدبر لانتفاضة "الدكاترة"، رفضت مينا الجلوس معه والتفاوض على حساب كرامة الأطباء، مشترطة أن يبدأ أيّ تفاوض بإحالة أمين الشرطة المعتدي إلى القضاء، ووقف التستر عليه من قبل وزارة الداخلية فرضخت الحكومة وأحالت البلاغ المقدم ضد أمين الشرطة إلى النيابة العامة.

خروج مينا منتصرة من هذه المعركة، أعادها أيقونة للشجاعة ضد أيّ تجاوز بحق الكرامة، وأطلق عليها المصريون على مواقع التواصل الاجتماعي العديد من الألقاب، منها "المرأة الحديدية"، و"سيدة مصر الأولى"، و"قديسة الأطباء".

بل إنها باتت مثالاً لغيرها من النقابات التي تبحث عن حقوق أبنائها ضد التجاوزات، لدرجة أن نقابة المعلمين بأعضائها البالغين مليونا و600 ألف معلم اتخذت من شجاعة مينا، بداية للانطلاق والمطالبة بمزيد من الحقوق ووقف التجاوزات ضد المعلمين أيّا كانت، لكنّ الفارق بين المعلمين والأطباء، أن هناك منى مينا واحدة فقط عند الأطباء، ولا مثيل لها عند المعلمين، حسبما ذكروا.

قناعات مينا بأن الحقوق الإنسانية لا ترتبط بمهنة ولا تتعلق بمعرفة مسبقة بصاحب الحق، جعلها لا تكلّ من البحث عن حقوق غيرها، حتى لو كان ذلك خارج حدود مهنة الطب، فتراها تدمع بشدة إذا وجدت ضعيفًا يبحث عن حقه، وشجاعة بشراسة عندما ترى وحوشًا تسعى لالتهام الضعفاء.

كان الهجوم الأميركي على العراق عام 2003 ومشاهد الضحايا التي رصدتها الفضائيات وعدسات المصورين بداية تركيز مينا في الدفاع عن حقوق الإنسان مهما كانت جنسيته أو دينه أو لونه. وقتها حاولت السفر للمساهمة في إنقاذ المرضى ومداواة الجرحى، وعندما وجدت الفكرة مستحيلة بعد وقف حركة الطيران بين القاهرة وبغداد، آثرت أن تساند أمهات العراق الباكيات على فقدان أطفالهن برسالة تضامن من القاهرة.

لم يكن كفاحها ضد تجاوزات الأمن قبل أيام لصون كرامةِ زملائها حالة استثنائية، بقدر ما كان موقفًا تكميليًا لمواقف سابقة، فليلة ضرب العراق رأت بعض رجال الأمن يعتدون بوحشية على سيدة في ميدان التحرير بالقاهرة، فاتجهت ناحيتهم مباشرة محاولة منعهم، فنالها بعض ما نال السيدة، حيث جرى الاعتداء عليها واعتقالها واقتيادها إلى قسم الشرطة.

هناك خلعت عباءة الشجاعة وارتدت ثوب الأم الطبيبة التي بكت بتوسل إلى مسؤولي الأمن، لتتمكن من مداواة جراح الشباب الذين وصلوا إلى القسم وبأجسادهم إصابات بالغة على يد رجال الأمن.

هكذا، اعتاد الجميع أن يجدوها حولهم، تدافع عن الحقوق، وتداوي الجراح، وتواجه المخطئ بشجاعة، حتى لو كان ذلك في مواجهة السلاح. فهي لا تخشى على نفسها وحياتها بقدر ما تخشى على الآخرين من بطش المعتدين، وكأنها تسعى إلى ترسيخ مبادئ جديدة في الفكر الإنساني من خلال رسائل ومواقف نبيلة جعلت منها طبيبة ثورة 25 يناير 2011 التي أطاحت بنظام حسني مبارك.

نزلت الطبيبة الإنسانة إلى ميدان التحرير، في أشرس مواجهة بين المتظاهرين وقوات الأمن ليلة 28 يناير، وهي ترتدي الرداء الأبيض، لتقديم الخدمات الطبية والإسعافات الأولية للمصابين بجميع انتماءاتهم من خلال مستشفى ميداني أقامته بمسجد عمر مكرم وسط الميدان، بعدما رفضت سيارات الإسعاف الدخول لنقل المصابين تحت وابل الرصاص والقنابل المسيلة للدموع، لكن شجاعة منى مينا كانت أقوى من رصاصات الأمن، وآثرت أن تداوي الجرحى تحت أصوات الخرطوش.

مع تزايد أعداد المصابين، خرجت إلى قائد قوات الأمن وهي ترفع الراية البيضاء، لطلب وقف إطلاق النار حتى يمكن لسيارات الإسعاف أن تدخل لنقل المصابين، لكن القائد طلب منها تسليم الجرحى الموجودين داخل المستشفى للأمن، لتردّ عليه بمنتهى الشجاعة قائلة عبارتها الشهيرة "على جثتي يخرج مصاب واحد من المستشفى.. اقتلوني لكن لا تعتقلوا مصابًا"، وهي العبارة التي كانت كافية لإقناع الضابط بعدم الاقتراب وإيقاف إطلاق النار في الثالثة صباحًا ليسمح للإسعاف بنقل المصابين للمستشفيات.

الواجب المقدس

إيمانها الشديد بأنّ المبادئ لا تتجزأ، وأن مهنة الطب حق وليست سلعة، جعل منها طبيبة إنسانة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وقدوة لكل أبناء مهنتها، ومن يتابعون مسيرتها في النضال ضد الأنظمة لتمكين المواطنين من حقوقهم.

يوم موقعة الجمل الشهيرة في الأول من فبراير 2011، حينما احتدمت المواجهة بين أنصار حسني مبارك والثوار المطالبين برحيله، وسقط المئات من المصابين من الجانبين، شاركت في علاجهم. ومن بينهم أشخاص كانوا من أنصار الرئيس السابق "المعتدين" على الرغم من كونها ضد نظام مبارك، وكانت من أكثر المطالبين برحيله عن الحكم، لكنها لم تستطع تجاهل واجبها المهني في علاج جريح يحتاج إسعافا، حتى لو كان التجاهل يحمل عنوانا براقا مثل أن المصاب من "أعداء الثورة".

المتظاهر الإخواني لديها لا يقل أهمية عندها عن الثوري المناضل لأجل حقوق شعبه، وتقديم الخدمة على أساس التوجه السياسي أو الحزبي جريمة لا تغتفر في قناعتها، إذ أن الديانات السماوية لم تفرّق بين البشر ومن ثم لا يحق أن يكون تقديم الخدمة العلاجية بناء على معايير تمييزية تحت أيّ مبرر.

لم تجد حرجًا في أن تضع يدها كمسيحية في يد المهندس المسلم سعيد أبوطالب، وتتزوج منه وتعيش معه تحت سقف واحد، وتركل أفكار التشدد عند البعض، بأن زواج المسيحية من المسلم لا يتفق مع المجتمع، ويكون مقدمة لفتنة طائفية في البلاد.

سمات متناقضة

حين وصفها آخرون بأنها تبحث عن مصالح شخصية مادية ومعنوية، ردت بأن أطباء مصر على استعداد لتقديم الخدمة مجانًا دون مقابل، شريطة أن يجدوا مستشفيات آدمية يقدمون من خلالها هذه الخدمة. وبالفعل عاندت وحصلت على موافقة الجمعية العمومية للأطباء بالعمل مجانًا في المستشفيات والعيادات الخاصة في الأيام الثلاثة الأولى من شهر مارس المقبل، ليؤكدوا للحكومة والنظام أنهم لا يسعون وراء مكاسب شخصية.

لم يعرف عن مينا أنها قدمت يومًا فروض الولاء والطاعة لأيّ حاكم كي تظل مرفوعة الرأس. بل إن زهدها وعزة نفسها في النضال ووقوفها قوية على الحياد دون أن تسجل موقفًا شخصيًا مع السلطة، بلغ حد رفضها كل الدعوات من جهات عدة، لكي تصطحب وفدًا من نقابة الأطباء للذهاب إلى مقر حملة عبدالفتاح السيسي، وقت ترشحه لرئاسة البلاد في مايو 2014، مثلما كانت تفعل الوفود المختلفة من النقابات وكبار رجال الأعمال والسياسيين لإظهار التأييد المطلق لمرشّح الجيش في الانتخابات.

وردّت بأن النقابة ليست للتسييس، ومن يرغب من المرشحين الاثنين، السيسي أو منافسه حمدين صباحي، في الجلوس مع الأطباء، عليه المجيء إليهم داخل مقر النقابة.

أخيراً فإن منى مينا تتمتع بسمات قد تبدو متناقضة مع بعضها البعض، تستخدم منها ما تشاء وفقًا لتقديراتها مع كل موقف أو قضية. فرغم صوتها الحاد، يطغى هدوؤها الغريب على كل شيء، يتحدث كل من تعاملوا معها عن ابتسامتها طوال الوقت، حتى عندما تواجه بشجاعة وتنتقد، تظل مبتسمة لا يعلو صوتها على الآخرين.

استطاعت مينا ورفاقها الأطباء، كسر المشهد الاستقطابي الذي طغى على السنوات القليلة الماضية، حين بدا المجتمع المصري مقسوماً بين الدولة والإخوان.

وتمكنت من القول إن هناك من يطالب بحقوق مدنية لا علاقة لها لا بمشاريع الإخوان ولا بتوجهات الحكم. مطالب للحياة، وهي عين السياسة، بعيداً عن الشعارات الفارغة.

ضد الحكومات

● منى مينا يذكر لها المصريون وقوفها الشرس ضد هيمنة جماعة الإخوان المسلمين على نقابة الأطباء ومنعهم من اختطافها.

❑ لا يخلو سجلّ منى مينا من انتقادات صريحة بالأدلة والبراهين ضدّ الحكومات والأنظمة المتعاقبة منذ عهد حسني مبارك حتى الآن، بعيدًا عن توجيه الاتهامات جزافا، عندما تطلب الحق تسلك هذا الطريق بعبارات راقية تخلو من التجريح، ولا تمانع من أن ترى في نفسها "الأم" التي تبحث لأبنائها من المصريين عن حقّهم في دوام الصحة، بغض النظر عن التفاصيل الفرعية التي تسكن حول هذا الحق.

المهمّ عندها ألا يخرج مريض من المستشفى دون أن ينال حقّه من الاهتمام والرعاية، لذلك لا تمانع في معاداة الحكومة والنّظام طالما أن الهدف هو المواطن البسيط، ولا تتردّد في فضح تجاوزات وزارة الصحة وتقصيرها الشديد في حق المواطن واللجوء بشكل مباشر إلى رئيس الدولة، عبر مقالات متتابعة في بعض الصحف، وأخرى عن طريق المؤتمرات والنّدوات التي تنظّمها تباعًا لكشف تجاوزات المستشفيات بحقّ المرضى.

من أطرف الاتهامات التي واجهتها حينما حاول بعض المزايدين من الإعلاميين ونواب البرلمان ترويج شائعة أن لها ميولا إخوانية وتعمل لصالح الجماعة لأجل إحراج النظام. وذلك ردا على نجاحها في حشد الأطباء ضد تجاوزات الشرطة، ولم يشعر هؤلاء بحمرة الخجل وهم يتجاهلون حقائق بسيطة للغاية أوّلها أنها مسيحية الديانة، والثانية أنها واحدة من أهم الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في كسر هيمنة الإخوان على نقابة الأطباء، قبل نحو عامين.

وهي تحلم فعلا بنقابة قومية مستقلة ترتقي بمهنة الطب، لكنها ردت بهدوئها المعهود دون تمجيد في شخصها أو الحديث عن نضالها ضد الإخوان، بأنها اتهامات لا تستحق الرد، وعندما قدّم ضدها 22 بلاغًا إلى النائب العام لاتهامها بإثارة الشغب والتحريض على الفوضى، قالت إنها مستعدة لاستكمال رسالتها من داخل السجن وتقديم الخدمة الطبية للسجناء.

رحلة الرقم والعدد في تاريخ العرب

الرقم العربي
غائب أم حاضر بين الحضارات؟

ملهم الملائكة

❑ **برلين** – أرقام العرب المتداولة اليوم في كل مكان ليست بالمرة أرقاما عربية، ولا أدري كيف علقت بالعالم العربي، بعد أن وضع الخوارزمي وبعده الرياضيون العرب أشكالا للترقيم هي التي انتهت بالترقيم الأوروبي العالمي الحديث. أما الصفر فيبقى رقما غائم الهوية.

لنبدأ من الصفر(.) النقطة التي تمثل الصفر المتداول في الأرقام العربية (الهندية)، رقم يبدو غامض الخواص. فهو منتزع بالقوة من لوحات هندية ربما وفدت إلى بغداد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. لكن أول تسجيل للصفر الهندي يعود إلى 876 م وهذا يتجاوز عصر المنصور بأكثر من قرن، فيما تذهب بعض المصادر إلى أنّ الصفر العربي يعود إلى 873 م. ولكن كتب التاريخ أغفلت الإشارة إلى أصول الأرقام، وهي اليوم مطبوعة على أوراق النقد العربية بلا استثناء.

العدد وليس الرقم

ولعل العودة إلى القرآن وهو أول كتاب عربي مكتوب، تكشف أنّ العرب لم يعرفوا الأرقام، بل عرفوا الأعداد (واحد، اثنان، ثلاثة.. الخ). وقد أثبتها القرآن بالتسلسل التالي: قل إنما هو إله "واحد" وإنني بريء مما تشركون. وقال الله لا تتخذوا إلهين "اثنين" إنما هو إله واحد. ولا تقولوا "ثلاثة" انتهوا خيرا لكم. فسيحوا في الأرض "أربعة" أشهر. ويقولون "خمسة" سادسهم كلبهم رجما بالغيب. إنّ ربكم الذي خلق السموات والأرض في "ستة" أيام. لها "سبعة" أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم. ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ "ثمانية". وكان في المدينة "تسعة" رهط يفسدون في الأرض. تلك "عشرة" كاملة.

لكنّ هذا الترتيب الجميل لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الصفر. سواء رسمناه نقطة أو جعلناه بيضويا. كما أنّ هذا النسق للأعداد، ليس فيه أيّ رسم للأرقام. والثابت أنّ العرب عرفت الأعداد وغابت عنها الأرقام.

> ريمون شكوري أستاذ الرياضيات بكلية العلوم في جامعة بغداد لثلاثة عقود يقول في كتابه «رحلة الصفر عبر الزمكان» إن الصفر هو اختراع ولد في بلاد الرافدين، اعتاد العراقيون القدماء (السومريون والبابليون والآشوريون)، أن يرمزوا بفراغ حين كتابته

العربية	0	1	2	3	4	5	6	7	8	9
عربية مشرقية	٠	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
سندية (فارسية وأوردو)	٠	١	٢	٣	۴	۵	۶	۷	۸	۹
دافانغاري (هندية)	०	१	२	३	४	५	६	७	८	९

وهكذا فإن مخطوطات المصاحف القديمة خلت من الترقيم بكافة أشكاله. ويذهب كثير من المتخصصين إلى أن ترقيم الآيات القرآنية كما نجدها بين أيدينا اليوم، جاء في مرحلة مجهولة، تعيدها بعض المراجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، بعد سقوط بغداد، ولكن هذا لم يثبت في نص معتمد. والذي يهمنا هنا أن الصفر كمفهوم لم تعرفه العرب إلا بعد عصر الخوارزمي.

لغز الصفر

كان ريمون شكوري، أستاذ الرياضيات بكلية العلوم في جامعة بغداد لثلاثة عقود، قد نشر كتابا أسماه "رحلة الصفر عبر الزمكان"، كشف فيه أنّ الصفر هو اختراع ولد في بلاد الرافدين. واعتاد العراقيون القدماء (السومريون والبابليون والآشوريون)، أن يرمزوا بفراغ حين كتابته.

مثلا كانوا إذا أرادوا كتابة (305) يكتبوه على هذه الصورة (5 3) أي ثلاثة + فراغ + خمسة، حيث الفراغ بين الخمسة والثلاثة كان يُمثل الصفر في حسابات ومفاهيم أبناء وادي الرافدين القدماء.

ويُعتقد أنّ النقطة (.) التي هي صفر متداول في العربية تسللت إلى هذه اللغة الجميلة من الصينية. فيما أرجعه آخرون إلى الهندية، ورده قليلون إلى المصرية. لكن عالم الرياضيات الخوارزمي الذي عاش في بغداد خلال القرن التاسع الميلادي في قصر المأمون، ونشط في بيت الحكمة ليضع قواعد الرياضيات والترقيم، أثناء ترجمته لكتاب "سند هند" لاحظ أنّ الهنود كانوا يستخدمون الأرقام 1 2 3 4 5 6 7 8 9. وبعدها يقومون بوضع ثقب أو نقطة لتحلّ محل الرقم العاشر، فوضع بدوره النقطة صفرا وجعل منه عدداً مهمّاً ذا قيمة في العمليات الحسابية.

لماذا يستحيل أن يكون الواحد فارسيا

الشكل أدناه يظهر مقارنة الأرقام في أربع لغات؛ الواحد كما نعرفه، خط منفرد في اللغات المعروفة ومرتبط بفكرة وحدة الإله، وهذا يتناقض مع مذهب التثنية الماغية "المجوسية" الذي شاع في بلاد فارس. رغم أنّ هذه الوحدة موجودة عندهم، في تسمية "يازدان" التي أطلقت على الله الواحد عندهم في عصر سبق ظهور ديانات التوحيد، لعصور سحيقة حيث لم تشع الماغية في كل أنحاء مملكة فارس.

تسللت الأرقام الحائرة من عراق العجم الذي يشمل غرب إيران المحاذي للعراق وصولا إلى المدائن جنوب بغداد، إلى عراق العرب وهو كل ما وقع على نهر دجلة وصولا إلى الضفة الأبعد من الفرات وعلى امتداد النهرين. وهكذا سمّي العراق أرض النهرين (حسب تاريخي الطبري والمسعودي). ولكن هذه سياحة غير ضرورية في الجغرافية المرتبطة بالتاريخ السياسي (ما بات يعرف اليوم بالجيوبولتيك) ولسنا بصددها، فلنعد إذن إلى الرقم اثنين، وبشكله المتداول في العربية. إنه رقم فارسي بلا شبهة، ومن فارس زحف شرقا إلى أقاليم أفغانستان وباكستان وبنغلاديش فظهر عندهم بشكله المعروف، كما ظهر عند العرب والتصق بترقيمهم.

الرقم ثلاثة بالترقيم الفارسي، بركزتيه العلويتين هو فارسي أردي، وأخذته العرب في عصور متأخرة. ورغم أن الخوارزمي هو الذي أدخل الترقيم إلى العربية (برسمه الهندي، ورسمه الذي زحف إلى أوروبا والقائم على تعدد الزوايا) إلا أن من غير الثابت أنه استخدم رموز الترقيم الفارسية. مع أن بعض المصادر تؤكد أنه أقرّ ترجمة الكتاب الهندي الشهير "سدهانتا" لمؤلفه براهما جوبتا الذي وضعه في حوالي عام 6هـ – 628م مستخدماً فيه الأرقام التسعة: 1 2 3 4 5 6 7 8 9 قبل أن يضيف العرب بعد ذلك الصفر. وهذه الترجمة كانت قد جرت في عصر المنصور.

أما الرقم أربعة بأشكاله المتعددة، العربية المشرقية والفارسية السندية فهو مظهر آخر لحيرة الرقم العربي. فالبعض يرجعه الى الحضارات الرافيدينية القديمة التي رسمته بشكله المعروف عند العرب اليوم، وآخرون أرجعوه إلى زوايا الخوارزمي وقالوا إنه أربعة خطوط أفقية قصيرة دمجت لتصبح ما هي عليه اليوم استسهالا لكتابتها.

الرقم خمسة، فارسي بالتأكيد، وفيه عقدة تعلوه تسللت إليه بشكل غامض من رسوم الحروف العبرية، فيما يعزوها الفرس إلى خطّ النستعليق الذي ميّز حرفهم عن العربية التي لم يملكوا غيرها حروفا ترسم كلماتهم، وهم في ذلك مثل الترك.

الرقم ستة له قصة سياحة غريبة، فقد وفد إلى العربية من الصينية واتخذ له مكانا في سلسلة الترقيم العربي المشرقي، أما كيف قطع كل هذه المسافة وصولا إلى العراق العباسي؟ فلا أحد يستطيع أن يجيب عن السؤال.

الرقم سبعة هو الآخر حائر، فهو خوارزمي الزوايا بشكله ولكن زاويته حادة واحدة مقلوبة إلى أعلى، وهو بذلك فارسي سِندي ومثله الرقم ثمانية.

فيما تتشابه التسعة في لغات عديدة ومنها العربية والعربية المشرقية والهندية الأفانغارية والفارسية، والفوارق التخطيطية بينها متقاربة وتتناول في الغالب اتجاه الدائرة في أقصى الرقم.

أما الصفر فيرسمه الفرس دائرة صغيرة مستديرة، فيما رسمته العرب كما أسلفنا بنقطة، وعدّه الأقدمون ثقبا (فراغا)، واعتبره الخوارزمي إهليلجا بيضويا.

ألفية الصكار

ولعل الأرقام الشائعة في العالم كله اليوم 1 2 3 4.. هي الأرقام العربية كما تكاد تجمع الدراسات الحديثة. وتعزز الانتشار في العصر الرقمي بشيوع وسائل الاتصال الحديثة وتصاغر العالم العولمي، إلى حد أن الأطفال في أقصى أرجاء المعمورة يتحاورون بالأرقام عبر العالم على هواتفهم المحمولة غير عابئين بخلافات البالغين وحساسياتهم القومية والتاريخية واللغوية.

وفي القرن العشرين وإبّان تنامي المد القومي، سنّت حكومة العراق في عهد الرئيس أحمد حسن البكر قانون استعادة وإحياء اللغة العربية، وتبنت مجلة آفاق عربية التي كانت رائدة في ترويجها للثقافة العربية نشر هذه الثقافة. وسنت الدولة قانونا يحتم على الجميع استخدام الأرقام الدولية 1 2 3 4.. برسمها الشائع، فباتت المكاتبات الرسمية تستخدم هذه الأرقام وتصفح الكتب – حتى المدرسية والأكاديمية منها– بهذه الأرقام، ثم نجح الفنان والخطاط العراقي محمد سعيد الصكار في أن يصنع ألفية عربية للكي بورد الخاص بالكومبيوتر، فبات الحرف العربي شائعا كما نراه اليوم في لغة الكومبيوتر.

لكن، ولسبب غير معلوم تضاءل الاهتمام باستعادة الرقم العربي، وعاد عراق صدام حسين لاستخدام الأرقام الهندية الفارسية رغم حرب السنوات الثماني مع إيران. ولعل من المناسب أن تهتم الجهات المختصة في العالم العربي اليوم باستعادة الرقم العربي ونشر استخدامه وتعليمه في مناهج الدرس، توحيدا لنهج الأرقام والتحاقا بركب العصر الرقمي الدولي ولغته، حيث الترقيم العربي الأوروبي هو الأوسع انتشارا في ثقافات وعلاقات ومعلومات واتصالات هذا العصر.

> الأرقام الشائعة في العالم كله اليوم 1 2 3 4... هي الأرقام العربية كما تكاد تجمع الدراسات الحديثة. عزز انتشارها العصر الرقمي بشيوع وسائل الاتصال الحديثة وتصاغر العالم العولمي

العدد العربي أم العدد العبري؟

المفارقة الغريبة هي أن العدد العربي، ويا للعجب، هو نفس العدد العبري بفروق لفظية بسيطة جدا ويشذّ عنه العددان ستة وعشرة فحسب:

واحِد، أَحَد: اَخات.
اثْنَان: شْتاين.
ثَلاثة: شلوش.
أربَعة: اَربه.
خَمسة: خَمش.
سِتّة: شَش (وهي فارسية بكل تأكيد وليسَت عبريَة، فلماذا خلت العبرية من الرقم 6).
سَبعة: شِوا.
ثَمانية: شَمُنه.
تِسعة: تِيشه.
عَشْرة: اَسَل (ويقال إنه وافد من الآرامية بهذا اللفظ).

بعد هذه السّياحة الرقمية العددية، ليس بوسع المرء إلا أن يسأل، إذا كانت الحضارات والأمم واللغات والثقافات ومراحل الوعي قد تداخلت وتماهت وتناغمت مع بعضها إلى هذا الحد، فلم اقتتلت الشعوب وأبادت بعضها؟ وكيف تلاشت حضارات وخلدت أخرى؟

● نقوش ترجع إلى ما قبل التاريخ حفرت على صخور في منطقة حائل السعودية وتظهر فيها تشكيلات الأرقام العربية بصورتها الأولى (تصوير محمد الشمري)

الباحث عادل سعيد البشتاوي:
الأرقام العربية وجدت قبل ميلاد المسيح

❑ التقطنا الآلاف من الصور لتشكيلات من الأصابع والأيدي أدّاها متطوعون عدّة لغرض استخدام بعضها في عملنا، ولم ننتبه إلى الوقع الساحر لهذه التشكيلات على العقل إلا بعد عرضها المتوالي على شاشات الكومبيوترات. وبطريقة وسبب ما، تهيأ لنا ونحن نقلّب النظر بين شكل وآخر أننا نقلب النظر في مشاهد الماضي البعيد.

ولم يكن عسيراً أن نتصوّر أبناء القبائل القديمة وبناتها وهم يعبّرون عن أرقام بعينها بأشكال معروفة تعرضها الأصابع والأيدي.

وكان من المدهش مراقبة أصابع اليد ترسم بالقلم الأرقام العربية المصنّوعة من الأصابع نفسها، كما كان مدهشاً التفكير بمؤلفين كتبوا بأقلامهم عن الرغبة في حلّ لغز أصل الأرقام العربية، ولم ينتبهوا إلى أن في أصابعهم التي كتبوا بها نفسها حل هذا اللغز.

ولا نعرف بالضبط لماذا استخدم الناسخون الدوائر والتنقيط وغيرها لترقيم الآيات الكريمة في النسخ الأقدم من المصاحف الباقية ولم يستخدموا الأرقام العربية، لكن يبدو أن أشكال بعض الحروف لم يكن يختلف بالقدر الكافي لتفريقه عن الأرقام كما في حال 1، 2، 5. وفي وقت لاحق أمكن تعديل أشكال الحروف العربية بشكل جعلها تختلف اختلافا كافياً عن أشكال الأرقام العربية بما منع الالتباس والخلط بين الحروف والأرقام.

ومع ذلك يمكن حتى في خط مثل الخط النسخي معاينة تشابه واضح بين أشكال بعض الحروف والأرقام كما في ‘ا و‘ه و ع التي يمكن أن يكون مصدرها الأرقام 1، 4، 5، إضافة بالطبع إلى الحرف ‘و وكان في الأبجدية النبطية نظير الرقم 9.

والحديث هنا عن زمن ما قبل الميلاد. قبل الخوارزمي وقبل أن يأخذ الفرس حروف لغتهم من حروف اللغة العربية.

ابنة الشرق التي روضت سريالية الغرب

فخر النساء زيد
رسمت من أجل أن تحب لا من أجل أن تفهم

فاروق يوسف

❑ **لندن** – لم ترث اللقب، بل اكتسبته عن طريق الزواج. الأميرة الأردنية التي بيعت لوحتها "انشطار الذرة وحياة النبات" عام 2013 مقابل 2.74 مليون دولار وهو أعلى سعر لعمل فني من الشرق الأوسط، لم تعش في عمّان بعد أن احتضنها البلاط الملكي إلا الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمرها الذي امتد طويلا.

كان قدرها سعيدا وعاشت حياتها بترف وهو ما جعلها تتماهى مع لقبها الأميري وتمارس حياتها كما لو أنها ولدت بذلك اللقب. وهبها الرسم قوة استثنائية فكانت تفعل ما تريد متوّجة بموهبتها. وهي موهبة صقلتها بالدرس، مستفيدة من تكوينها العائلي المنفتح على الفنون والأسفار التي أتيح لها القيام بها بحكم وظيفة زوجها الدبلوماسية.

لم تكتف بالعيش في أجواء البلاط الأردني بل أحاطت نفسها بعدد من المريدات اللواتي علمتهن الرسم وصار للبعض منهن في ما بعد دور مهم في الحياة التشكيلية الأردنية. يكفي أن نذكر هنا سهى شومان التي تدير واحدة من أهم المؤسسات العربية التي تعنى بالفنون وهي "دارة الفنون".

بين الترف والشظف

ابنة العائلة العثمانية عاشت سنواتها الأخيرة في كنف سليلي الرجل الذي قاد ثورة على السلطنة كان سببا في انتهاء نفوذها في العالم العربي. مفارقة حياتها تكمن في ذلك التناقض الذي سارت على حبله باسترخاء. لقد ولدت تلك المرأة عثمانية وماتت هاشمية عام 1991.

غير أنّها كانت دائما مخلصة لنزعتها السريالية التي هي مزيج حلمي بين التجريد الغربي الذي تعرّفت عليه في باريس وبين الوصفة العجيبة التي صنعتها إسطنبول من مواد مستعارة من الفنين البيزنطي والإسلامي.

لن يتردد تيت مودرن وهو يحضر لإقامة معرض استعادي لها أن يقدم فخر النساء باعتبارها أميرة أردنية، غير أن أحدا من القيمين على ذلك المعرض لن يرتكب خطأ إلحاقها بالفن العربي، كما تفعل بعض أسواق الفن في الخليج.

ولدت فخر النساء محمد شاكر عام 1901 في إسطنبول بتركيا العثمانية، لعائلة جمعت بين المكانة الاجتماعية بسبب قربها من السلطة والاهتمام بالفن والأدب. والدها كان دبلوماسيا شغف بالتصوير ودراسة التاريخ. أحد إخوتها كان وزيرا فيما كان الآخر كاتبا.

بعد أن تلقت تعليمها الأوّلي في مدرسة فرنسية بإسطنبول التحقت بأكاديمية رانسون في باريس، بعد أن كانت من أوائل النساء اللواتي درسن في أكاديمية الفنون الجميلة بإسطنبول. تزوّجت أول مرة عام 1920 من عزت مليح ديفريم وأنجبت منه الفنان نجاد ديفريم والمخرجة والممثلة شيرين ديفريم.

لم يدم زواجها طويلا إذ سرعان ما انفصلت لتتزوج في أثينا عام 1933 من الأمير زيد بن علي وهو شقيق ملك العراق فيصل الأول وقد كان يعمل في السلك الدبلوماسي وأنجبت منه الأمير رعد بن زيد.

أقامت أول معرض لرسومها عام 1944، ويعدّ ذلك المعرض بمثابة فتح تاريخي، إذ أنه كان المعرض الأوّل في إسطنبول الذي تقيمه امرأة وحدها. بعد ذلك المعرض دأبت الفنّانة على عرض رسومها في لندن وباريس وفي عام 1950 كانت إطلالتها المميزة في نيويورك. يومها عرضت عددا من لوحاتها التجريدية، كبيرة الحجم. وهو ما فتح الطريق أمامها لعرض أعمالها في مختلف أنحاء الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط.

حفلت نهاية الخمسينات بظروف شخصية بالغة الصعوبة. فبعد أن أسقط النظام الملكي في العراق عام 1958 غادر زوجها الأمير زيد مبنى السفارة العراقية في باريس إلى الأبد. ولم يعد هناك من مورد للعيش يتمكن الزوجان من خلاله من تغطية نفقات حياتهما، لكنهما استطاعا أن يتجاوزا المحنة. يومها استقرت فخر النساء في باريس لتحوّل مرسمها العامر باللوحات إلى صالون ثقافي يلتقي فيه الشعراء والكتاب والفنانون.

المقيمة بين غربيتها وشرقيتها

وبالرغم من أن زوجها قد توفي عام 1970 فإنها ظلت حريصة على أن تديم إقامتها في باريس، المدينة التي أحبّتها وعشقت لغتها وأجواءها وعرفت كل أنواع الشهرة والتكريس فيها. عام 1976 قررت أن تقيم وبشكل نهائي في العاصمة الأردنية لتؤسس مدرسة فنية لتدريس الفن هناك. كانت تلك المدرسة بمثابة البداية الجادة لتأسيس الجمعية الملكية للفنون الجميلة ـ المتحف الوطني الأردني الذي تترأسه الآن الأميرة وجدان.

مكّنتها حياتها وهي زوجة دبلوماسي ينتمي إلى العائلة المالكة من التجوّل في أوروبا. ما يقارب الثلاثة عقود قضتها فخر النساء وهي تتنقل بين المتاحف وصالات العرض الفني، فكانت خزانة متحفها الشخصي تكتظ بالصور التي تمثل مختلف المدارس الفنية التي كانت تضج بها المدن الأوروبية وبالأخص في ثلاثينات القرن الماضي. وهي الفترة التاريخية التي نهلت فيها مما شهده الفن الغربي من تحولات جذرية. فصارت بمثابة مرجعيّة لخيالها التصويري. فهل كانت فخر النساء في كل ما فعلته في مستقبل أيّامها ابنة مخلصة لتلك المرحلة؟

يمكنني أن أعتبر فخر النساء من الفنانات الذكيات في التعامل مع مرجعيّاتهن الفنية، هناك تكمن مصادر التأثير المباشر وغير المباشر. فالفنانة كانت شرقية في الغرب مثلما كانت غربية في الشرق.

كانت ماهرة في إخفاء مصادرها مستندة في ذلك إلى موهبة حقيقية وخيال جامح، هما نتاج نشأة فنية صارمة تعلمت من خلالها الرسم الأكاديمي الأوروبي وفنون الزخرفة الإسلامية على يد كبار الفنانين الأتراك والفرنسيين. وشغف لا حدود له بأصول ودوافع ونتاج التحول الذي شهدته أوروبا في عشرينات القرن الماضي وهو ما صنع قاعدة للحداثة الفنية في أوروبا.

كانت فخر النساء محظوظة إذ بدأت دراستها الفنية في باريس عام 1927 وكانت عاصمة النور تحصد نتاج التمرد السريالي الذي بدأ أدبيا على يد أندريه بريتون وحشد من رفاق مسيرته المتمردين لينتقل سريعا إلى الرسم على أيدي ماكس جاكوب وأندريه ماسون وسلفادور دالي.

وإذا ما كانت الفنّانة قد اطّلعت من خلال زياراتها المتكرّرة إلى برلين، وقد كانت تتطلع إلى مستقبل فني أخاذ قبل أن تسطو عليها النازية وعلى منجزات الفنّانين التعبيريين الألمان، فإنّ رسوم الروسي فاسيلي كاندنسكي التجريدية وحدها هي ما أثارت اهتمامها. لقد أعادتها تلك الرسوم إلى ما تعلّمته من درس التصوّف وحرّكت في خيالها جملا من المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي.

حررت العاطفة من قيود العقل

مزجت فخر النساء زيد بين تجريدية الروسي فاسيلي كاندنسكي وسريالية الفرنسي أندريه بريتون مدفوعة بولع الاثنين بقوّة ما هو روحي في الفن. وهو ولع حياتها الذي حاولت أن تبثه في الحياة الفنية الأردنية من خلال عدد من الفنانات اللواتي تتلمذن على يدها، وصارت لبعضهن في ما بعد مكانة فنية مميزة. لقد أسرتها فكرة الروحي في الفن فصارت تبشّر بها من منطلق كونها تمثل اللحظة الشفافة التي يلتقي فيها الغرب بالشرق.

وكما أرى، فإن فخر النساء كانت استثناء من جهة قدرتها على اللعب بتقنيات الفن الغربي بخيال شرقي، يغلب عليه ميل الفنانين المسلمين إلى الرؤيا الإشراقية التي تنطوي عليها الصورة.

كانت يدها تسيل أنغاما ولم يكن ما يُرى مؤكدا. فلوحاتها لا تزال تثرثر بذلك الكلام المبهم الذي يذهب إلى القلب من غير أن يمر بالعقل. فلم ترسم فخر النساء زيد من أجل أن تفهم بل من أجل أن تحبّ.

> فخر النساء لم تكتف بالعيش في أجواء البلاط الأردني بل أحاطت نفسها بعدد من المريدات اللواتي علمتهن الرسم وصار للبعض منهن في ما بعد دور مهم في الحياة التشكيلية الأردنية. وكانت من بينهن سهى شومان التي تدير «دارة الفنون» وهي واحدة من أهم المؤسسات العربية التي تعنى بالفنون

> الرسم يهبها قوة استثنائية لتفعل ما تريد متوجة بموهبتها. وهي موهبة صقلتها بالدرس، مستفيدة من تكوينها العائلي المنفتح على الفنون والأسفار التي أتيح لها القيام بها بحكم وظيفة زوجها الدبلوماسية

دع الثقافة وشاهد التلفزيون

الهروب من مواجهة الحقيقة

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق مقيم في لندن

❏ نقف في حيرة من الثقافة السمعية/البصرية أو الثقافة التلفزيونية تحديدا. ثمة موقف عدائي متأصل لدى المثقفين، ومنهم الأدباء، من هذه الثقافة. لا ينكرون انتشارها وشعبيتها، ولكنهم لا يحبونها.

ثمة أسباب نفسية وتاريخية وعملية للموقف.

المثقف العادي يحب القلم والورق. هاتان واسطتان يستطيع التعامل معهما بسهولة. يقرأ من كتاب ورقي ويكتب على ورق. حتى في عصر الكمبيوتر، يصرّ أغلب الكتّاب على وضع كلمة "بقلم" أمام أسمائهم. الارتياح النفسي والاطمئنان والعلاقة الزمنية بهذه الأدوات البسيطة المؤثرة، تمنحه الثقة بأن مجال الخطأ قليل.

تاريخيا أيضا وجد المثقف نفسه بعيدا عن صنعة التلفزيون. التلفزيون بالنسبة إلى المثقف هو إعلام وترفيه، والعاملون في التلفزيون هم من أشباه السياسيين وأشباه الصحفيين وأشباه المثقفين. ما لهؤلاء ومهنة الثقافة والنقد؟ المثقف لا يحتاج إلى أكثر من كتابه وقلمه وأوراقه ومكتب في ركن منزو ليقدم منتوجه. التلفزيوني لا يتحرك إلا بفريق ويحتاج إلى أبنية وأستوديوهات وإضاءة وكاميرات وهرج ومرج لكي يقدم 5 دقائق على الشاشة.

الجانب العملي لا يقل أهمية. المثقف مثلا يحترم السينما لأنها تشبع الناظرين بصريا وسمعيا. السينما شيء فاخر منذ زمن الأسود والأبيض وصولا إلى عصر الألوان والعرض الواسع "سكوب". لكن التلفزيون ظلّ معنا لسنوات بشاشة صغيرة ونوعية صورة بائسة. وعلى مدى عقود، باءت بالفشل الكثير من المحاولات التقنية لتكبير الشاشة وتحسين نوعية الصورة فيها. ولم تمنح الألوان التي دخلت على التلفزيون تلك الصورة ثراء محسوسا، وأمعنت النوعيات الرديئة من أشرطة الفيديو المستنسخة في ترسيخ صورة التلفزيون كناقل غير أمين للصورة والصوت والإنتاج الفني. هل جرّبت أن تشاهد فيلما سينمائيا بانوراميا على شاشة تلفزيون 20 بوصة؟ ستحبط بالتأكيد وستختفي من أمامك الكثير من التفاصيل.

لكن التلفزيون فرض نفسه، بشعبيته أولا وبالتقنيات المتقدمة التي وفرها خلال العقدين الماضيين. هذا شيء لا يمكن للمثقفين تجاوزه. التلفزيون اليوم هو كتاب الجماهير، وشاشة التلفزيون البراقة التي تقدم الصورة الجميلة هي سينما البيت.

المثقف ينتظر أن يهتم القارئ بمطالعة رواية عظيمة مثل رواية "الحرب والسلام" لليو تولستوي. القارئ ينظر في خياراته، بين تمضية ست ساعات لمشاهدة ستّ حلقات من الإنتاج شبه السينمائي بتقنية رقمية وبتفاصيل أخّاذة وبين النظر إلى كتاب سميك من 1300 صفحة يتردد في مدّ اليد إليه ليبدأ بقراءته. المثقف ينتظر من القارئ أن يغوص بالرواية وأن يرسم في مخيلته تلك المناظر الربيعية الجميلة أو الدماء التي تسيل على الثلوج. القارئ يثق بقدرة طاقم تلفزيوني بروح سينمائية في أن يحوّل الرواية إلى سيناريو ومشاهد وحوارات توفر عليه الوقت والجهد الذهني. المثقف يريد للقارئ أن يقف عند الرواية ليفهم عصرها وروحها وأن ينغمس فيما تعنيه فكريا وثقافيا خصوصا في عصر كتابتها، عصر بدايات الرواية الحديثة. القارئ ينظر فيرى كمًا هائلا من الروايات التي تنزل الأسواق أسبوعيا ولن يجد الفرصة لقراءتها فيذهب مختارا إلى مشاهدتها على شاشة التلفزيون وهو مستلق على الكنبة آخر المساء.

يعترف المثقف بهزيمته ضمنيا لينسب الأمر إلى أن القارئ صار مشاهدا وأنه اعتاد التسلية والترفيه (أو حتى التفاعل الدرامي الباكي). ولكنه يسأل: ماذا عن ما بعد الترفيه والتسلية؟ نحن لا نقرأ روايات وقصصا فقط. ثمة مكتبات كاملة عن التاريخ والفن والعلوم والطبيعة والصحة. هذه كلها تدخل في إطار الثقافة العامة وأغلب ما تقدمه هذه الكتب غير مطروح بما يكفي من الدقة أو الوعي في الصحافة اليومية وفي المقالات العابرة.

يكتشف المثقف، على الأقل في الغرب، أن التلفزيون لا يقل اهتماما بما ليس تسلية وترفيها. البرامج الاستقصائية والعلمية والفكرية تجد طريقها من خلال نظرة متجددة إلى ما يسمّى بالوعي الشعبي بالأشياء. التلفزيون يستقطب حتى أشهر الكتّاب والعلماء والأطباء والمهتمين بالبيئة وعالم الحيوان لكي يعيدوا تقديم نتاجهم بصريا عبر التلفزيون. كم واحد منا سيقرأ كتابا عن القرود في أدغال الأمازون؟ لكن لا شك أن الكثير منا سيجد متعة كبيرة واهتماما لا بأس فيه بمتابعة برنامج يطارد تلك القردة بكاميرا عالية الدقة وبمايكروفونات تلتقط دبة النملة على الأرض.

هل هناك من يجادل بشعبية وعمق برامج محطة مثل ناشيونال جيوغرافيك التي تقدم برامج من عالمنا تهتم بالحيوان والطب وحوادث الطائرات والفضاء بنفس العمق والدقة التي يمكن أن نجدها في كتاب "أصم" تعريفي بالموضوعات؟

مثقفنا في حاجة أن يحسم حيرته. نحن نعيش في عصر جديد فيه فسحة ومجال لكل التنويعات على فكرة الوعي والاهتمام وفي المغزى من الثقافة. عقد الماضي يجب أن نتركها في الماضي.

* تخطيط: ساي سرحان

أمبرتو إيكو وفكرة الاختلاف

إدريس الكنبوري
كاتب من المغرب

❏ ارتبط اسم المفكر والروائي الإيطالي الكبير أمبرتو إيكو، الذي رحل نهاية الأسبوع الماضي، برواية "اسم الوردة" التي غطّت على جميع أعماله الأخرى، الروائية والفلسفية والأدبية. وبقدر ما غطت الرواية على إيكو في حياته، فقد عرّت بالمقابل على الأدب الإيطالي، ذلك أن الشهرة الواسعة التي نالتها شجعت بشكل كبير على إعادة ترجمة الأدب الإيطالي، بعد أن تجوهل لفترة معينة، ربما بسبب غياب الأدباء الكبار الذين أنجبتهم إيطاليا، أمثال إيتالو كالفينو.

غير أن إيكو كثيرا ما خلق الجدل في بلاده وخارجها، بسبب مواقفه السياسية والفكرية، خصوصا في ما يتعلق بنقده اللاذع لتكنولوجيا الاتصالات الحديثة، وشبكة الإنترنت. فقد عبّر طيلة حياته عن مواقف اعتبرها الكثيرون خارج المألوف بل ومحافظة، بالنسبة إلى رجل موسوعي من عيار إيكو شديد النقد للانغلاق الأيديولوجي والتطرف بشتى أنواعه؛ ومن بين تلك المواقف قوله بأن شبكات التواصل الاجتماعي "قد منحت الحق في التعبير للكثير من الأشخاص السفهاء الذين لم يكونوا يتكلمون في السابق سوى داخل الحانات بعد أن يتناولوا كأسا من الخمرة، لكن دون أن يشكّلوا إزعاجا للمجتمع؛ أما بعد شبكات التواصل الاجتماعي فقد أصبح لديهم نفس الحق في الكلام مثل أيّ شخص حاصل على جائزة نوبل. إنها غزوة السفهاء".

بجانب ذلك كان إيكو سليط اللسان تجاه السياسات الغربية وثقافة التمركز حول الذات لدى الرجل الأوروبي. ففي أعقاب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأميركية، وخروج عدد من المثقفين الغربيين ببيان حمل عنوان "لماذا يكرهوننا؟"، كتب إيكو سلسلة مقالات نشرت في مختلف الصحف العالمية، من بينها صحيفة "البايس" الأسبانية، ينتقد فيها النزعة الاستعمارية العريقة لدى أوروبا والغرب، ويعتبر أن ثقافة الرجل الأبيض التي سحقت الثقافات الأخرى المغايرة خلال العصور الوسطى، ما تزال تشكل خلفية ثقافية للعديد من الشعوب وتغذي نزعة العداء لكل ما هو غربي. ذلك أن الغرب يتحمل المسؤولية الأخلاقية والسياسية الأولى في إنجاب ثقافة الكراهية التي أصبحت تشكل عنصرا بنيويا في منظومة العلاقات بين الشعوب والثقافات؛ إذ حاول الإنسان الغربي جعل الحضارة الأوروبية والثقافة المسيحية الإمكانية الوحيدة المتاحة أمام الشعوب الأخرى، ومن هنا تلك النزعة التبشيرية التي رافقت نشر الثقافة الغربية في العالم، والتي يقارنها إيكو بالنزعة التبشيرية القديمة لدى حملة الصليب في العصور الماضية.

ويحرص إيكو على أن يبين بأن الأنثروبولوجيا الثقافية، التي ظهرت خلال نهايات القرن التاسع عشر، ومثلها نخبة من أعلام الفكر الغربي، هي التي عملت على زحزحة هذه القناعات الغربية. فقد أظهرت بأن العالم لا يتشكل من ثقافة أو حضارة وحيدة، بل من نسيج متعدد من الثقافات والخصوصيات؛ ومن خلال الأنثروبولوجيا الثقافية أدرك الغرب أن هناك حضارات موجودة تطالب بحقها في الاعتراف بها واحترامها وتقدير موقعها. بيد أن إيكو يخلص إلى نتيجة مفادها أن الأنثروبولوجيا الثقافية لم تنجح في تغيير العالم، لأن الغرب كان قد أرسى مجموعة من الآليات التي عمل من خلالها على شيطنة الآخرين وتقديم صورة مشوهة عنهم، على رأسها وسائل الإعلام والصناعة السينمائية ممثلة في نموذجها الهوليوودي.

تميز فكر إيكو بالانحياز إلى الاعتراف بالقيم الخاصة بكل ثقافة، وتثمين الاختلافات الثقافية والحضارية والدينية، ولذلك تعرض للنقد والهجوم في عدد من المحطات الحاسمة التي سجل فيها مواقفه. أحد هذه المواقف، الذي أثار عليه سخطا واسعا داخل إيطاليا وفي أوروبا، ما كتبه في شهر يونيو من العام 2015 حول حرية التعبير والرسوم الكاريكاتورية للرموز الدينية في الإسلام. وقد جاء ذلك المقال ردا على صديقه الرسام الأميركي آرت سبيغلمان، الذي رفضت صحيفة "نيو ستايتمان" البريطانية نشر رسم له للنبي محمد (ص)، فدخل في نزاع معها.

وكتب إيكو في ذلك المقال قائلا "إنني أعتبر صديقي آرت سبيغلمان نابغة، ورسمه المعنون 'الفأرة' (عن جرائم النازيين ضد اليهود) سيبقى واحدا من النصوص الأدبية الكبيرة عن الهولوكوست، رغم أنه رسم؛ لكنني هذه المرة غير متفق معه". وبعد أن يبدي موقفه الرافض للعملية الإرهابية التي أودت بطاقم جريدة "تشارلي إيبدو" الفرنسية، يتابع قائلا "إن أحد المبادئ الأخلاقية هي تجنب المساس بالحساسية الدينية للآخرين. لا ينبغي أن نحجم عن رسم محمد خوفا من العواقب، بل لأن ذلك يعتبر أمرا غير مؤدب، ومن باب أولى رسم السيدة العذراء، حتى وإن كان الكاثوليك يرفضون فكرة قتل الذين يقومون بذلك الفعل".

* تخطيط: ساي سرحان

> إيكو كثيرا ما خلق الجدل بسبب مواقفه السياسية والفكرية، خصوصا نقده اللاذع لتكنولوجيا الاتصالات الحديثة وشبكة الإنترنت. فمواقفه اعتبرها الكثيرون خارج المألوف بل ومحافظة، بالنسبة إلى رجل موسوعي شديد النقد للانغلاق الأيديولوجي

سؤال في المستقبل

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ يختلف مفهوم المستقبل لدى الوثني أو البوذي أو لمعتنقي الأديان السماوية، كما يختلف عن هؤلاء لدى العلماني الذي يفصل في فكره بين الرؤية الدينية للزمن والحقيقة العلمية للتقدم وتحت وطأة العدمية العالمية التي أوجدتها الحروب وصعود العنف والارهاب الديني، فإن النظرة للمستقبل تغيرت تماما شأنها شأن أيّ فكرة تخص الحياة البشرية.

كانت الحضارات القديمة تفكر بالمستقبل باعتباره زمن ما بعد الموت، بمعنى أنه مرتبط بالزوال، فلا ينتظر السومري أو البابلي (مستقبلا) كالذي ينتظره فرد يعيش في القرن الحادي والعشرين، كان المستقبل في الثقافة السومرية شأنا متعلقا بالمجهول الغامض واستخدموا معه مصطلحات تدل على المكان ليصفوا الزمان، فالماضي حسب وصفهم هو الذي "يقع بين عيني المرء" باعتباره معروفا بتفاصيله وأحداثه، بينما يوصف المستقبل بأنه "ما يقع وراء المرء" وليس بوسعه معرفته فامتزج مفهوما الزمان والمكان عندهم، الماضي متاح ومنه صنعت الذكريات وفيه حدثت الأحداث ومر عبره الملوك وقصص الحب والولادات والموت، فلا يرون الزمن كما ندركه ونعيشه، إنما يرونه مكانا ارتداديا يتجهون فيه من الأمام إلى الوراء ويختلف عنهم في ذلك الهنود الذين يرون مستقبل المرء في فكرة (الكارما) العاقبة التي يتحدد فيها مصير الانسان بناء على سلوكه في حياته فيتناسخ مرارا في هيئات حيوانية أو بشرية ليكفّر عن ذنوب حياته الأولى ويعود ذات مستقبل إنسانا صالحا.

غير هؤلاء وأولئك اهتمت مجتمعات القرون الوسطى -وتحت تأثير الكنيسة- بفكرة المستقبل على أنها الأبدية والعيش المخلد، عيش الزمن خارج آلية الزمن العادي الخطي لأنهم مسكونون بفكرة النهاية فكرة زوال العالم وحدوث قيامة على نحو ما، فقام مفكرو ومنظرو تلك الحقب بالترويج لموضوعة الخلاص الفردي ومعتبرين التفكير بخلاص جماعي للعالم شأنا مستحيل التحقق، وما علينا لكي نعيش فترة انتظار النهاية إلا أن نسعى للخلاص الفردي وحسب، وأن نكون مسؤولين عن خلاصنا إزاء حتمية الزوال القادم.

بعد ذلك تقدمت المشهد الإنساني فكرةُ الحداثة التي تبرعمت في حقولها الاشتراكية اليوتوبية على يد شارل فوريه الفرنسي الذي سبق كارل ماركس وعاش بعد الثورة الفرنسية ومات قبل كومونة باريس الدامية وتخيل إمكانية صنع مستقبل فردوسي للإنسانية عن طريق المشتركات أو التعاونيات، ووضع تصورا طوباويا لمزرعة أو مشترك يقوم على أسس اقتصادية ويعيش فيه جمع من الناس يحققون نظاما اقتصاديا ليس عن طريق التنظير والوعظ الكنسي بل بتطبيقه حقيقة على الأرض، ولبث ينتظر أن يموّل مشروعه أحد أثرياء عصره لكنّ أحدا لم يحقق أمله ومات ولم يلمس ذلك المستقبل. وأتى ماركس بنظريته التي لوحت بآمال براقة تبشر بمستقبل سعيد للبشرية تتحكم الطبقة العاملة بها وتسيّر أمورها بدكتاتورية شمولية مستبدلة فكرة الخلاص الفردي بالخلاص الجمعي كشكل وحيد للمستقبل. ثم تسقط التجربة سقوطها المدوي وتظهر في التوتر التاريخي بعدها صراعات جديدة تدور بين الرؤى الدينية والتطور العلمي، فتعود العدمية إلى الظهور كنزعة تسود عالمنا نتيجة الصراعات العنيفة. وليعود التهديد بالفناء وإلغاء المستقبل تبشيرا هوليووديا بأفلام النهايات الفاجعة استنادا إلى شذرات من خرافة، وليندفع الإنسان لعيش الحاضر بكثافة مدفوعا بالعدمية طالما أمسى الفناء الوشيك مستقبل العالم الوحيد والفردوس جزاء يستحقه القتلة الانتحاريون وحدهم ممن سيحظون بالحور العين والغلمان، بينما يلاحقنا السؤال الجوهري: أين نقف؟ وهل نؤمن بمستقبل مختلف للبشرية؟

الحالم في مدرسة العزلة وريلكه مخفوقا بالحليب

جائزة «رابطة القلم» الأميركية للشعر المترجم 2016

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❏ دأبت "رابطة القلم PEN" في أميركا، ومنذ تأسيسها قبل نحو تسعين عامًا، على تعزيز الكتابة، وتمكين الأفراد، في شتى أماكنهم، وبصرف النظر عن هوياتهم العرقية والجنسية، من التعبير عن أفكارهم ووجهات نظرهم بكل حرية، وبدون سلطة أو رقيب، وجعل هذه الأفكار، والآداب المكتوبة، متاحة للجميع بطرائق يسهل الوصول إليها. ناهيك عن دفاعها المستمر، بوصفها فرعًا من "رابطة القلم الدولية"، عن الكتّاب ضدّ الأخطار التي قد تلحق بهم بسبب أعمالهم، كما تقيم مهرجان "أصوات من العالم"، وهو مهرجان يقام سنويًّا تستضيف فيه أصواتًا أدبية من شتى أصقاع الأرض للاحتفاء بحريّة الكتابة وحيويّة القوة العالمية للأدب.

كما دأبت في كل عام على تقديم جوائز أدبية، يبلغ قيمتها المادية نحو 150 ألف دولار، وفي فئات مختلفة: القَصّ والشعر وأدب الخيال العلمي وفن المقالة والكتابة الرياضية وأدب الأطفال والترجمة والدراما.

وأمّا جائزة الشعر المترجم لهذا العام، والتي تبلغ قيمتها المادية ثلاثة آلاف دولار، فتتنافس عليها، ضمن قائمة قصيرة أعلنت هذا الشهر، خمسة مجاميع شعرية "مدرسة العزلة" للشاعر البيروفي لويس هيرناندیس، ترجمها من الأسبانية أنطوني غيست؛ و"القصائد الأخيرة" للشاعر الصيني وانغ آن شه، ترجمها من الصينية ديفيد هنتن؛ و"مخفوق ريلكه" للشاعرة البرازيلية أنجيليكا فريتاس، ترجمتها عن البرتغالية هيلاري كابلان؛ و"احترقتُ في العيد" للشاعر الروسي آرسيني تاركوفسكي، ترجمها عن الروسية فيليب ميتريس وديميتري سورتسيف؛ و"القصائد الكاملة" للشاعرة اليابانية شيكا ساغاوا، ترجمها عن اليابانية ساواكو ناكاياسو.

لويس هيرناندیس: الحالم في مدرسة العزلة

وعلى الرغم من الحياة القصيرة التي عاشها الشاعر البيروفي لويس هيرناندیس، إلّا أنه قد نشر ثلاث مجموعات شعريّة وهو لمّا يجاوز الرابعة والعشرين بعد. مات وهو في السادسة والثلاثين، بعد صراع مرير مع الإدمان ومصحّات العلاج النفسي، ملقيًا نفسه على سكّة قطار مسرع. وإنه إن كان قد كفّ عن نشر الشعر، إلّا أنه لم يصمت عنه: ظل يكتب حتى آخر أيامه في دفاتر يوميّات ملئت بالقصائد والترجمات والأقوال والرسومات وقصاصات الجرائد. ومن هذه الدفاتر جمعت القصائد وتمت ترجمتها إلى الإنكليزية تحت عنوان: "مدرسة العزلة: قصائد مجموعة"، ونشرتها دار "سوان آيل برس.

ونعثر في صفحات هذه المجموعة الصغيرة (76 صفحة) على صور عميقة تستحضر ماضيا بعيدا وأصواتا تتناوب عليها المسرات والحب والشهوة والحزن والعزلة والكآبة والأحلام. يصف الشاعر الأميركي ريجينالد غيبنز قصائد المجموعة بأنها تخلق نبرة لغة عمل كتب في التوّ واللحظة كي يصون أجزاء من تلك اللحظة ويحفظها من أجل لحظة أطول، "فالعيش مصنوع من الزجاج".

"أنا لا أذكرُ عينيكِ/ بل ما أبصرتْ عيناك فقط"، يقول في إحدى قصائده. ونقرأ في واحدة أخرى "يستلقي قلبي/ مغمورًا في أمواج بحر/ مجهول:/ في بحر/ سريٍّ/ ولسوف تشعرون بالأسى/ نحويٍّ/ وحدها العاطفة تدومُ/ وليس الشعر".

أنجيليكا فريتاس: سجائر وبيرة ومخفوق ريلكه بالحليب

هذا هو الديوان الأول للشاعرة البرازيلية أنجيليكا فريتاس. وقد اختارت له عنوانًا لافتًا "مخفوق ريلكه، أو ريلكه شيك"، على وزن "ميلك شيك، أو مخفوق الحليب مع الفاكهة أو الشوكولاتة". ريلكه الذي في العنوان هو الشاعر الألماني ماريا راينر ريلكه، وأمّا الإشارة إلى الخفق أو الخضّ فهي إلى اللغة الشعرية ذاتها: أن يفتك الشاعر باللغة كوحش ضار يقتات على دمها ولحمها.

وليس ريلكه هو الشاعر الوحيد الذي تخضه الشاعرة في قصائد هذه المجموعة، بل نعثر أيضًا على وليام شكسبير ووليام بْليك وجوزيف برودسكي وغيرترود ستاين وعزرا باوند وماريان مور.

" أَعِدَّ لي مخفوق ريلكه/ معَ الحُبِّ وحليب الأوفالتين/ وحينَ أحظى بليلة سهاد/ ولا شيءَ يضيءُ/ أطلبُ مخفوقَ رَيلكه/ والتهمُ بْليك محمّصًا".

ليالي فريتاس ليال ضارية من وحدة ووجع في القلب "فحين لا تكونُ ثمّةَ سجائر/ ولا بيرة لائقة/ أطلبُ مخفوق ريلكه/ وأبلعُ بْليك محمّصًا/ وأرقصُ كدرويشة".

وانغ آن شه: قصائد أخيرة في غابة المعبد

كان وانغ آن شه (1021–1086) واحدًا من أعظم شعراء سلالة سنغ، وأكثر رجال السياسة إثارة للجدل في الحقبة التي عاش فيها. لم يبدأ آن شه كتابة الشعر إلّا بعد اعتزاله السياسة. راح يمارس بوذية الزنّ ويطوف الجبال التي تحيط بمنزله، ويكتب قصائد صافية صنعت مجده الشعري.

معظم قصائد آن شه قصائد قصيرة لا تتجاوز الأربعة أبيات. قصائد متبصّرة عن مرور الوقت والرحيلات والأنهار والأشجار والجبال والسدم والخلاء البوذي.

ففي قصيدة له بعنوان "خمس صفصافات"، نرى ضجر الشاعر المطلق وقد صار في حضن الطبيعة لازورد أخضر في أبدية خضراء: "خمسُ صفصافات ومنزلٌ أيكة تُوت،/ ملاذٌ من القشّ تحتَّ ثلاث حوراتٍ بيضاء:/ طائفًا بينها،/ أيها الضجَرُ المُطَلَّقُ،/ أرى فجأةً لازوردَ أخضَرَ في لازوردٍ أخضر!".

ونرى الشاعر، في قصيدة "مطر الربيع وهو يشرب بجرعات كبيرة كأسًا من سديم الشفق الذي هو "سديمٌ قارصٌ يخفي ألوانَ الربيع و"طلٌ/ واجمٌ يسقمُ بهاءَ الأشياء". ونعثر عليه في قصيدة أخرى وهو على قمة الجبل ناظرًا إلى جدار المعبد وقد صار الضيف والمضيف معًا.

ونراه أيضًا يرعى الغيوم في ليلة قمراء في نهر حول الجبل. وفي قصيدة له بعنوان "نشيد"، نراه يغلق كتابه في غرفة يضيئها الفجر وينام قرب الشلال المتحدّر البارد كأنه الجبل والغابة على حدّ سواء.

آرسيني تاركوفسكي: تجليات الذات الجوانية

ولد آرسيني أليكساندروفيتش تاركوفسكي في أوكرانيا سنة 1907 ثم انتقل إلى موسكو في العام 1923، للعمل في الصحافة. تحققت شهرته في ثلاثينات القرن العشرين بوصفه مترجمًا حاذقًا للشعر التركماني والأرميني والعربيّ. "قبل الثلج"، كان عنوان الديوان الأول لتاركوفسكي والذي ظهر في العام 1962، حين كان يبلغ من العمر 55 عامًا. شاعت شهرته على نحو أوسع حين عمد ولده، المخرج الشهير أندريه تاركوفسكي، إلى تضمين بعض قصائده في أفلامه. مات في العام 1989، قبل ستة شهور من سقوط جدار برلين.

تاركوفسكي الشاعر يحتضن ابنه الذي سيكون واحدا من أعظم سينمائيي العالم

وعن صعوبة ترجمة أشعار تاركوفسكي، يقول الشاعر الروسي إيليا كامينسكي "كيف يستطيع المرء ترجمة أعمال الكلاسيكي الروسي آرسيني تاركوفسكي؟ تخيّل محاولة ترجمة وليام بتلر ييتس: البلاغة البديعة الباذخة، والعاطفة المتوترة، ونغميّة اللغة المحليّة، والخلفية التاريخية المعقدة، والمعادلة القديمة للشاعر ضدّ الدولة، ونبرة غنائيات الحب الرقيقة، كلّها وقد تداخلت في بعضها البعض على نحو بديع، مما يجعلها عصية على النقل".

ولكنه، رغم ذلك، لا يقف ضدّ المحاولة: محاولة ترجمة الشعر الكلاسيكي بكل معماره الخاص من لغته الأم إلى أيّ لغة أخرى، بل ويثني على الترجمة التي أنجزها فيليب ميتريس وديمتري سورتسيف لأشعار تاركوفسكي لأن الترجمة قد أنجزت بشغف، وبذائقة جمالية عالية، وبإصغاء عميق يشبه الصلاة، ولتمتعهما بآذان شعراء حقيقيّين. وكانت الترجمة، نتيجة لذلك، تشبه "غزالاً يحدّق في وجهك مباشرة قبل أن يركض".

ويصف الشاعر الأميركي، المولود في موسكو، مايكل دومانيس تاركوفسكي بالشاعر الذي "يخلق تجليّات جوانيّة بهيّة من سعادة بسيطة وحزن خالص، من انتصارات الذات الفردانية على الوقائع الوحشية للحياة اليومية في زمن الحرب وروسيا الشيوعيّة".

يقول تاركوفسكي في إحدى قصائده "إنني أكوّمُ صفوفًا من هياكل الحطب/ كي أذيبَ وهيجكَ الثلجيّ،/ كاملاً، يا نهري". ونسمع يتوجع في قصيدة أخرى "تحتَ نيرِ الحظّ السيء،/ صرتُ عاجزًا، هشًّا، وعنيدًا./ لأنَّ آخرَ مرّة تكلمّتَ فيها عن الشهوة./ ليستَ شهوةً. إنها الحزنُ الذي يعذّبنا".

تشيكا ساواغا: قصائد الثمار المجروحة

ساواغا هو الاسم الأدبي، والذي يعني "الضفة الشمالية"، للشاعرة آيكو كاواساكي المولودة بهوكايدو سنة1911، والتي تعدّ من أوائل الشاعرات الحداثيات في اليابان. بدأت الدراسة لتصبح معلمة لغة إنكليزية، ولكنها سرعان ما ارتحلت إلى طوكيو، وهي في عمر السابعة عشرة، لتلتحق بأخيها الذي بدأ اسمه يلمع في الدوائر الأدبية هناك. نشرت قصيدتها الأولى "الحصان الأزرق" في العام 1930. تأثّرت بالشعر السوريالي، كما ترجمت أعمالًا لجيمس جويس وفرجينيا وولف وآخرين. ماتت بسرطان المعدة وهي في الخامسة والعشرين.

قصائد تشيكا ساواغا قصيرة عن الأحلام التي هي ثمار مجروحة وعن القمر الذي يبزغ من بيضة مكسورة، وعن الوردة التي تتفتح في الصدر لا مرئية، وعن الكلمات البيضاء، وعن الأسماك الزرقاء والطيور الوردية التي تطير محلقة في الرأس. وعن الأشياء التي تضيع ولا تعود، وعن الليل الحرّاق الذي يمدّ لسانه الطويل فتزحف ألسنة اللهيب على بطونها فوق الأرض. وعن الصبايا اللواتي يجمعن على أطراف أصابعهنّ شفة الموجة التي ترنّ في طوق أجوف. وعن الشرائط المعلقة في الهواء "ضِجَّ الهواءُ بالضحك خارجَ نافذتي/ وفي ظل ذلك اللسان الملوّن/ تهبُّ أوراقُ الأشجار محتشدةً/ لستّ قادرةً على التفكير/ هل ثمةَ أحدٌ هناك/ أمدُّ يدي في العتمة فلا/ أجدُ سوى ريحِ شعرٍ مديدة".

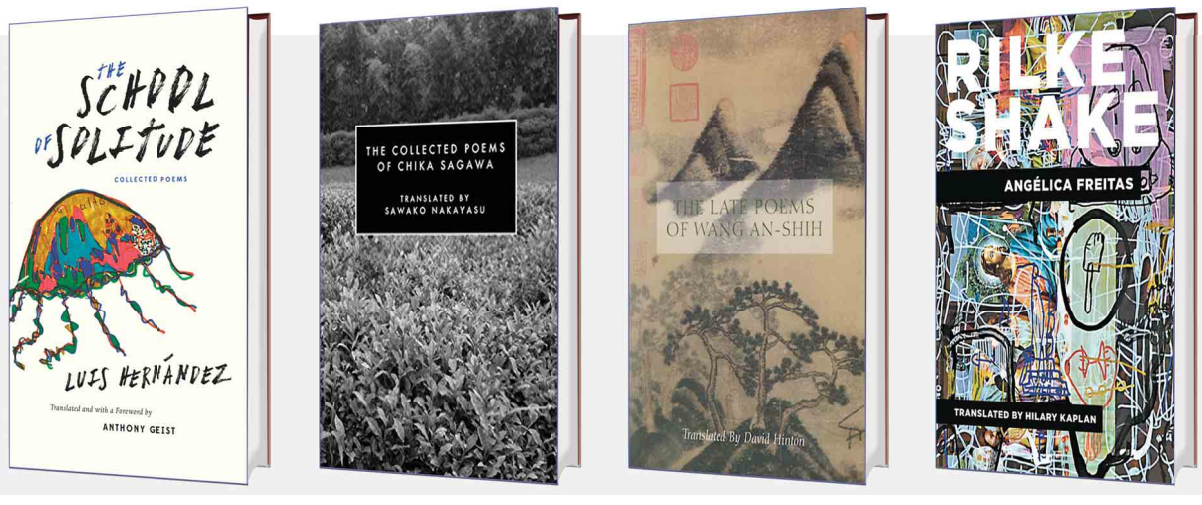

> يصف الشاعر الأميركي، المولود في موسكو، مايكل دومانيس تاركوفسكي بالشاعر الذي «يخلق تجليات جوانية بهية من سعادة بسيطة وحزن خالص، من انتصارات الذات الفردانية على الوقائع الوحشية للحياة اليومية في زمن الحرب وروسيا الشيوعية»

الشعر ينقذ العالم

حسام جيفي
شاعر من سوريا

❏ "شطح الولد". قلت في نفسي وأنا أقلّب سؤالاً، "هل بإمكان الشعر أن ينقذ العالم؟". هل بإمكانه حقاً؟ سؤال مائع. ولكنه يبقى سؤالا. له وزنه الفلسفي، وقلة قليلة ممّن يهتم بتدويره، لم أعتقد، صدقاً، أنّي واحد منهم. أرّقني السؤال أشهرا عدة، وأعترف أنّي لم أهتم بقراءة من حاول التنطع للإجابة عنه. كما لن يهمهم أن يقرؤوا إرهاصاتي هذه. لأعزّي نفسي، وأخفف من إحراجي البادي، قلت لصديق بصوت عال: إن قيمة السؤال يكمن أحيانًا بما يرفعُ إلى السطح من أشنيات. يصبح التفكير محض تحريك. دوّر بمغرفتك الكبيرة بحيرة المياه الراكدة هذه، و"تفرّج، يا معلم". ولكن كيف أتاني سؤال كهذا؟

عندما دعتني جامعة دوك الأميركية في يناير 2016 لأشارك بندوة حول وضع اللاجئين في العالم العربي، دعتني "كشاعر"، وهو الأمر الذي لم أعتده من قبل. اعتدت أن أدعى "كطبيب"، وبالأخص كطبيب نفسي. يعني؛ أن أتوقع أسئلة حول "التداخلات" و"العلاج" و"الشفاء"، وعوامل الخطر، ومحفّزات الصمود في النفس البشرية، إلى آخره. أدواتي (الطبنفسية) أعرفها، اختبرتها، غيّرت بها -أو يحلو لي أن أتخيّل أنّي- حيوات بشر كثيرين. بالمقابل، أدواتي الشعرية لا أراها مجدية. ومعالم تأثيرها -إن كان لها أي تأثير- تتبدى كخيط يلف قماش كفن ضحية واحدة، في مجزرة من آلاف مؤلفة. ضئيل، تافه، غير مهم.

عجز على كرسي مدولب يجرّه شاعر. ما الذي يمكن للشعر أن يقدّمه للعالم اليوم، ولمَ ذهبت بجعبة تكاد تكون فارغة؟ ورطة حقيقية. قبل أن يحين موعد قراءتي لبعض القصائد، سمعت قصصاً ألفتها، كطبيب، عن قهر إنساني مزمن. عن معاناة مركبة، وموت بطيء. عن هشام الطفل والشاهد الوحيد على مصرع أبيه ذبحاً، والذي أراد في العيد بندقية كلاشينكوف بدل الدمية. وعن أمّه فاطمة التي دفنت زوجها ونصف أولادها في حلب ونزحت مع النصف الآخر، وماتزال تحاول التأقلم مع عالمها الجديد. عن وعن الكثير من المآسي البشرية. فعلاً أحسست بتفاهة ما أملك تقديمه في تلك اللحظة. ماذا سأقول بعد كل هذا؟ هل حقاً يغيّر الشعر شيئاً؟

سؤال ملغوم، خبيث، وأكثر تعقيداً مما يبدو على السطح. حاولت أن أستجمع أفكاري وأفضّل تسريبة معينة تقنعني بجدوى وقيمة ما سأقوم بفعله. حسنا، ليس المقصود بالـ"تغيير" هو تغيير الوقائع وتبديل ما حصل من نزف نفسي، إنما -ربما- تغيير تجربة فاطمة الانفعالية تجاه ما حصل. "دعني أشرح..."، طلبت من صديقي الذي كان يستمع لهذياني بكل أدب وصبر ونحن ننتظر الحافلة التي ستقلّنا إلى المطار. "تخيّل، هذه الأم التي فقدت أطفالها ونزحت، وهي تعيش يومياً مع موجات من الأفكار السوداء، تلوم الذات، والآخرين، وتوجّه غضبها على كل شيء. أفكارها تمسك بيد المشاعر وتجرّها جرّاً إلى الوعي. لم تسنح الفرصة لفاطمة كي تعالج ذهنياً ما مرّ بها وبعائلتها. عَبَرَت هي وبعض من تبقى معها إلى برّ الأمان. حدوداً، من قرى وبشر وبلاد. كانت حتى هذه اللحظة تسير "أوتوماتيكيا" مدفوعة بغريزة البقاء. الآن يمكن لحياتها النفسية أن تتجه في محاور مختلفة ومتباينة. هل تجد حيّزاً آمناً لتحاول فيه استيعاب ما حصل، وتلبسه معنى ما؟ هل تجد من يأخذ بيدها لخلق هذا المعنى الجديد؟ قد يكون المعنى المخلوق غير مناسب أول الأمر. فضفاضاً عليها ربما. عباءة واسعة، متهدّلة، تخفي أكثر ممّا تظهر. مع الوقت، تعدّل فاطمة من مقاسات المعنى وتطرّزه بالألوان، والكتابات الحبرية. قلت مستطرداً "هذه التجربة الخاصة في حيّز آمن هو حتماً ما يستطيع الشعر تقديمه". أن تمسك بورقة أو أن تفتح الموبايل أو جهاز اللابتوب، تأخذ خطوة نحو الوراء، تنظر إلى داخلها، تراقب وتدوّن ما ترى. بلا فلاتر، بلا أحكام. أن تنقل انعكاساتها الداخلية على الورق، هو الكتابة وهو الشعر. بأيّ شكل أو نوع كان. ربما ستحتاج فاطمة لمن يمسك يدها بالتجربة ويساعدها ويشجعها على الكتابة، ولكن النتيجة واحدة. إذا استطاعت أن تطلق ذاك الصوت الذي بداخلها. أن تصغي إليه بتمعّن. أن ترسمه على الورق. تشريح النفس، هو الشعر. أن ترمّم عجينة الذات اللدنة. تخلق جذعاً، تخلق طرفاً، تربّي إلهاً. هو الشعر. أوليست هذه إحدى خصائص العلاج النفسي أيضاً؟

الشعر والشام والحب والثورة

مكاشفة مع يوسف بزي في بيروت

آراء الجرماني
كاتبة من سوريا

❏ قلب بيروت الذي لا يسلم إلا للكلمة والجدل، لا يعرف المهادنة ويفتح فمه ويجاهر، القلب ذاته، قلب كلمة يوسف بزي، تماهى مع كلمته حتى بات هو وهي كأنهما واحد.. لقد أنستني سنوات القتل والتدمير في سوريا ومن ثم اللجوء إلى بلاد لا تعرف صفة لي إلا كوني لاجئاً، أنستني أن هناك قلوباً تفتح وتقول أهلاً وسهلاً أيتها السورية.. في بيروت كان لقائي به ولأول مرة، حيث بدأت جلسة حوار طويل، حوار خرج من يد اللحظة ودخل عين الماضي وألم الحاضر وأطال الجلوس في حضرة الشعر!

الخروج من المشهد

يركن يوسف الشعرَ في وجدانه المعطوب، ومن ثم يجاهر بأن ثورات الربيع العربي هي أول حدث سياسي تاريخي خال من الشعر، فيقضي سنوات بعد صدور ديوانه "بلا مغفرة" (2004)، في حيرة من الشعر، يقول "ربما كان الشعر نفسه ضاق ذرعاً مني، هارباً ومراوغاً إن لم يكن مستعصياً عليَّ، وغالباً ما رافق محاولاتي القبض عليه ألم في المعدة، بالمعنى الفيزيولوجي للكلمة، هكذا، غدت الكتابة فجأة بلا متعة ولا ثقة!".

لا يرجع بزي حاله مع الكتابة إلى تبدد الموهبة أو نضوب الخيال، بل إلى يقينه أن ثمة معضلة تنمو كفجوة هائلة بين المتغير الثقافي-السياسي وحال اللغة الشعرية العربية، بل ثمة صدع يتعمق بين مشروع "الحداثة" العربية، في نسقها الأدبي والفني، وتحولات الواقع العنيفة، وبالغة السرعة والاتساع، في الزمن وفي السياسة والاقتصاد والمجتمع والتكنولوجيا والأفكار والحساسيات.. حتى بدا رحم هذه "الحداثة" بلا خصوبة. وما يأتي به شعراؤها صار بالنسبة إليّ استمصالاً لـ"أرشيف" الشعر، وأقرب إلى التوليف والاصطناع والتكرار والرطانة. كان الكثير من الشعراء قد صمتوا في تلك الفترة أيضاً، ومنهم من توارى نهائياً عن المشهد الثقافي، وبعضهم اتجه إلى فن الرواية مثلاً.

يراجع بزي اندفاعته للشعر منذ أواخر الثمانينات وحتى مطالع القرن الجديد فيرى أنها اندفاعة استمدت زخمها من طاقة الإيمان الراسخ بأنه وآخرين من جيله في لبنان والعالم العربي، اقترحوا قصيدة أكثر قرباً من لغة الواقع، وأنهم يحوذون على قدرة تجديد وعصرنة، ويقترحون جماليات جديدة تعبّر عن "الآن" والـ"هنا"، ويتمردون على إرث الرواد وما بعدهم.. إلخ، وغالباً ما تلبّست هذه "الادعاءات" وغيرها عند شعراء "الحداثة" مظاهر نرجسية متضخمة، كان لها أثرها الفاضح والمشين عند معظم الشعراء. ينعت كل ما قد قاله سابقاً "وهذا سبب إضافي لأن أنفر من صورة الشاعر العربي، الطاووسية والجوفاء، صورة كاريكاتورية وكئيبة، خصصت لها في 'بلا مغفرة' أكثر من قصيدة ضد الشاعرية وضد الشاعر، كاقتراح لشعر مضاد".

الموقف الأخلاقي

يمرّ يوسف في مرحلة شعرية مغايرة تنبعث بصفتها مفرزاً مرحلياً بين عامي 2004 و2005، فيقول "تلاقى سخطي من البلادة الثقافية وحيرتي بالشعر وشكوكي بما سمّي 'الحداثة'.. مع غضبي السياسي ويقيني الذي استمدّيته من عنف التحولات، منذ لحظة 11 سبتمبر النيويوركية إلى لحظة سقوط الطاغية صدام حسين. كنت أذهب هذه المرة إلى شعرية سياسية، أو إلى السياسة بمعناها الميتافيزيقي، أي سوق الواقع المرفوض إلى المرتجى الحلمي والفانتازي: عالم عربي خال من الطغيان، عالم عربي يحلو الانتماء إليه والعيش فيه. وكان ذلك أيضاً في لحظة بروز المناوشات الأولى لمعركة مصيرية تحدث في لبنان. كان نظام الاحتلال السوري على وشك القضاء على ما تبقى من 'ديموقراطية' في لبنان، وكنا نشعر أن تقاليد الحريات العامة والخاصة باتت مهددة بالتبدد، مع اشتداد وطأة هذا النظام على الحياة السياسية والثقافية.

بهذا المعنى، تورطت بما يسمى 'الشأن العام'، متيقناً أن لا شرعية للفعل الثقافي من دون موقف سياسي وأخلاقي، بل لا فاعلية للسياسة إن لم تحمل خطاباً ثقافياً وأخلاقياً. وكان هذا التورط بديهياً طالما أن عملي اليومي هو الكتابة الصحافية، وأشارك في إصدار ملحق 'نوافذ' الثقافي، الذي كان في علاقة عضوية وحميمة بمزاج المدينة والبلد".

يخبرنا عن تلك المرحلة المفصلية واللحظة اللبنانية المنتظرة "خلال تلك السنة، انفجر لبنان في أول انتفاضة مدنية، سلمية وعفوية، في العالم العربي، ضد نظام الاحتلال السوري. أخيراً، أتت اللحظة التي انتظرناها منذ سقوط جدار برلين عام 1989، لحظة سنراها أولاً في 'الثورات الملونة'، 'ثورة الوشاح الملون' الصربية التي أطاحت بميلوسوفيتش (2000)، ثم 'الثورة الوردية' في جورجيا (2003)، تبعتها 'الثورة البرتقالية' في أوكرانيا (2004)، وبعدها 'ثورة الأقحوان' في قرغيزيا (2005)، إلى 'ثورة الأرز' في لبنان (2005). كانت الانتفاضة اللبنانية ثمرة جهد ثقافي لصوغ 'رأي عام' نشط، بقدر ما كانت تتويجاً لـ'مراجعات' سياسية، أتاحت نشوء معارضة وطنية، تتجاوز إرث انقسامات الحروب الملبننة والأهلية. ترافقت مع الثورة الناقصة في لبنان، بدايات الحراك المدني المصري، وبروز معارضة سورية جديدة، بعد الانقضاض على 'ربيع دمشق' الأول. وفي كل الأحوال، بدا أن العالم العربي يتجه نحو تغيّرات عميقة لا رجوع عنها. تغيّرات تصيب المنظومة الثقافية، التي عليها تقوم الأنظمة السياسية الحاكمة منذ نصف قرن على الأقل.

ثم أتى 'الربيع العربي' بعد سنوات قليلة عاصفاً وجذرياً، ليس ضد طغاة أفراد وحسب، لكن ضد تاريخ كامل من الفشل الذريع لمشروع 'الحداثة العربية'، التي أراها مشروعاً شاعرياً، كما كل أيديولوجيا توتاليتارية وفاشية. كانت باختصار ثورات ضد الشاعرية (لا الشعر)، وضد الكذب وضد الفجور".

تجسيد رمزي للكارثة

"في فم الغراب" ديوان يوسف بزي الأخير، حيث لا قطعة جبن ولا ثعلب يقول يوسف "لا علاقة للغراب هنا بقصة جان دو لا فونتين، ولا بقصص كليلة ودمنة ولا بغراب إدغار آلان بو. ربما يصحّ القول إنه غراب سينمائي، هو استعارة بصرية ورمزية من صورته ودوره التعبيري في تاريخ الأفلام. والأكيد أنه غراب هذه اللحظة، نذير الشؤم والخراب والموت. ولم أقل 'في منقار الغراب'، تعمدت استخدام كلمة فم، كإحالة للبشر، كأنسنة لصورة الغراب، تجسيد رمزي للكارثة. السواد والنعيق (أو النعيب) فوق جغرافيتنا وحيواتنا. وإني أستغرب كيف يُطلب من أحد سكان المشرق العربي، أو الشرق الأوسط المنكوب، وهو بكامل شقاء وعيه أن يكتب بلغة وردية أو سكّرية. كنت ولا أزال في كل كتبي الشعرية مسكوناً بالسوداوية والعنف والقسوة، بقدر حرقتي ولوعتي للحب والهناءة والدعة. غالباً ما أجد نفسي في الكتابة بين رقّة جناح الفراشة، بالغة الهشاشة وسريعة الاحتراق، ورقّة الشفرة بالغة الحدة والعنف والقسوة. الرقّة مميتة في الحالتين".

المئة سنة الأولى

يقولها بزي ويضحك طويلاً أجيبه: بسيطة بقي 95 عاماً فقط، وتفرج! ثم أردف: هل خاب أمل يوسف بزي بالثورات بعدَ أن رأى حجم التدمير والحروب الأهلية؟ لماذا لم نتعلم من الحرب اللبنانية؟ الظروف المنتجة للاستبداد؟ حالة وعي الشعوب مثلاً؟ فيحاول شاعرنا أن يصف مزاجه من الثورات وانطباعه القديم الجديد فيقول "بوصفي متشائماً دائماً، أرى التفاؤل سذاجة واليأس غباءً، أردد باستمرار: المئة سنة الأولى هي الصعبة. ورغم الاحتفاء، المفعم بالروح الكرنفالية، بالثورات العربية، إلا أنني وحسب ما تعلمته من تجربة 14 آذار 2005 بلبنان، لم أعتقد لحظة أن هذه الثورات هي مجرد مهرجان ابتهاجي، أو احتفال عمومي. لا ننسى أن الطابع الغنائي والكرنفالي لبدايات الثورات، صاحبته أيضاً المناوشات والصدامات الأولى لما سيصير لاحقاً ثورات مضادة. كان التهديد الدائم، المفتعل أو الحقيقي، بتحويل الثورة إلى حرب أهلية، ملازماً منذ الأيام الأولى للانتفاضات الشعبية كلها. وفي سوريا، كانت الدبابات -لا أقلّ من ذلك- بوجه التظاهرات المرتجفة. كنت مدركاً باستمرار للسيناريو الجزائري: إما جزمة ضابط المخابرات وإما سيف الإرهاب، هذا جزاء كل من يطالب بالحرية والكرامة والعدالة. والشعوب العربية كانت تعرف هذه 'اللعبة' الجهنمية للسلطة، وهي رغم ذلك قررت أن تكسر هذه الدائرة الابتزازية، ليست لأنها انتحارية بل ببساطة لأن الاستبداد تجاوز أيّ قدرة على الاحتمال. في الحالة السورية، ومنذ اليوم الأول، كنت مؤمناً أن النظام السوري لن يتوانى عن ارتكاب فظاعات لا حد لها دفاعاً عن نفسه"، فيخبرنا بسجاله مع بعض المثقفين السوريين مثلاً وإنكارهم، في الشهور الأولى قدرة النظام على فرض الحرب الشاملة، فكانوا يعرفون وحشيته، لكن غاب عنهم كما يقول بزي "ما استثمره النظام في التعبئة الطائفية، وفي استتباعه لفئات واسعة من المنتفعين والمرتبطين بديمومته، بظنّي، أن الموجة الأولى من الثورات والثورات المضادة قد مرت، وأمامنا موجات أخرى قد تكون أشد عنفاً وجذرية، وأشمل جغرافياً وأطول زمنياً، ستأتي بلا شك. نحن نشهد اليوم 'مراجعة' تاريخية في الدين والهويات والأخلاق والقيم والنظم السياسية.. إلخ، لن تبقي شيئاً ثابتاً أو قائماً، وستطال حتى أسس النظام الرأسمالي العالمي، شرقاً وغرباً".

الذاكرة والماضي

أحداث الثورات وأزمة الذاكرة الممتلئة بالتجارب تجعلنا نعاود قراءة ما كتب سابقاً من تجارب في الحرب اللبنانية مثلاً ومنها كتاب بزي "نظر إليّ ياسر عرفات وابتسم (يوميات مقاتل)" حيث يجابه الكاتب ذاته والعالم، ويلازم فعل المجابهة دائماً، فهو شخص لا يتواطأ مع الشاعرية، يدهشني هذا الإصرار على الاستمرار بالمجابهة، فهل هو نوع من جلد الذات أم التطهر، أم تعرية للماضي الحاضر؟

يذكرنا بإرهاصات إصداره لهذا الكتاب الذاكرة عام 2005، فيقول "إنه بالنسبة إليّ 'شهادة'، أقرب إلى 'الاعتراف' بمعناه الكاثوليكي. أردت أن أسرد، بلغة خالية من الأدب، فصلاً من سيرتي بين سن الرابعة عشرة والتاسعة عشرة (1981-1986). ست سنوات كاملة، قضيتها كمقاتل متفرغ للعمل العسكري، في ميليشيا أحد الأحزاب اللبنانية، أثناء الحروب الملبننة. بهذا المعنى، الكتاب ليس جلداً للذات، وأقل من تطهّر، وليس تعرية سوى لذاكرتي وحسب. أردته هكذا، تسجيلياً أو وثائقياً، خالياً من أيّ عواطف أو تأويل أو أيّ إسقاطات أدبية أو شعورية. منعت نفسي، قدر الإمكان، كرجل في سن الـ39 عاماً حين كتابته، أن يتدخل برواية المراهق- المقاتل الذي كنته. أردته كشهادة قابلة للقراءة لدى الشباب الذين لم يشهدوا زمن الحرب، ولم يتح لهم التعرف عليها، طالما أن الثقافة الرسمية والشعبية تعتنق مبدأ النسيان والصمت، كتواطؤ على طمس خطايا الجميع، وكخوف من أشباح الماضي. أردته أيضاً كوثيقة 'تاريخية' تمثل بحدود بيوغرافيتها تجربة جيل هو الأسوأ حظاً بين الأجيال. وبهذا المعنى، نعم، توسلت به تحدياً لسائد ثقافي عربي، يكبح الكتابة عن الاعتراف والكشف والفضح، ويغلّفها بالتشبيح والتورية والمخاتلة والتجريد والتعميم والتعمية والتدليس والكذب والصمت. فنحن أحوج ما نكون لفن السيرة والمذكّرات، كشرط أول لنستحق جدارة كتابة تاريخنا، وليكن لدينا حقاً ذاكرة تأخذنا إلى المستقبل وتحررنا من الماضي".

الموقف من الثورة السورية عمل أخلاقي

في سوريا لا ترف في الخيارات!

يوسف بزي الذي عاش وخاض تجربة القتال في الحرب الأهلية اللبنانية يجعلني أقترح عليه أن يفترض أن هناك أكثر من يوسف بزي يقفون الآن على جبهات القتال في سوريا، ومن ثم ما الذي يمكنه برأي يوسف أن يوقف المقاتل السوري ويعيده إلى المنزل كما حصل معه ومع أخيه يوماً ما؟ أم أن الأمر في سوريا مختلف؟ وما هو وجه الاختلاف؟

يحتار بزي في افتراض أيّ سوري سيأخذ أخاه إلى منزلهما، فيقول "من سيأخذ من؟ الجندي النظامي أم الثائر؟ لا أظن أن لديهما هكذا 'ترف'. لا أحد في سوريا قادر على 'خيانة' معسكره. في لبنان كان لدى الجميع حرية الخيار في الخروج من الحرب أو التورط فيها. كان قراراً شخصياً وإرادوياً وفردياً. كانت الحرب بين جماعات وطوائف، بالوكالة عن صراعات إقليمية ودولية وبالأصالة عن نفسها أيضاً، فيما الدولة ومؤسساتها هي الطرف الوحيد خارجها تقريباً. كانت المعضلة في لبنان هي استقواء الجميع على الدولة، وعلى فكرتها كنظام توافقي-دستوري، وديمقراطي إلى حد معقول وقابل للتطوير. كانت الدولة هي المخفر والدفاع المدني والإسعاف وخدمات المواطنين والمصالح اليومية والمعاملات والإدارات.. إلخ، وكانت في السياسة متفرجة وعاجزة عن لجم العنف الأهلي وضحيته في آن. فالنظام اللبناني ليس مفارقاً للإرادات المختلفة للجماعات، بل هو نتاج هذه الإرادات ونتاج تسوياتها ومنازعاتها.

هذا الأمر شديد الاختلاف عن سوريا، حيث أن النظام هو نتاج استيلاء عصبة وعائلة على السلطة، مارست طوال أربعين عاماً أشد السياسات القمعية وأكثرها وحشية وفتكاً وإذلالاً. وطبيعة الحرب فيها هي حملة قتل وتدمير ممنهجين، تقوم بها الدولة ضد عموم السكان، وعلى كامل الجغرافيا العمرانية. نحن هنا أمام عدوان وحشي لا يتورع عن استخدام الأسلحة الكيميائية وما يوازيها من جرائم حرب كالتجويع والإعدامات الجماعية، تقوم به دولة عسكريتارية ضد مواطنيها بالذات. الدولة السورية لم تعد تمثل الجماعات السورية وإراداتها، هي على الأرجح باتت قوة احتلال وغزو. في لبنان، كنا نتحارب ونعرف ضمنياً أننا سنعود في نهاية المطاف إلى السلم الذي تطالب به الدولة بالذات. أما في سوريا، فقد يكون من المستحيل العودة إلى ما قبل مارس 2011. باعتقادي، سوريا القديمة انتهت، والسوريون عبر حربهم هذه وعبر هول آلامهم وعذاباتهم الفائقة، سيذهبون إلى سوريا أخرى أو إلى هوية جديدة تماماً. لا الثائر لديه رغبة في الاستسلام ولا الجندي قادر على الانشقاق. مرحلة الالتباس في البداية انتهت منذ العام 2012".

مقولة الأزمة

في لقائي بيوسف بزي وبصفته رئيس تحرير ملحق نوافذ الذي أغلق مؤخراً كان لا بد من سؤاله إن كان إغلاق "نوافذ" هو أحد أوجه تحقق نبوءاته في جريدة المستقبل، حيث تنبأ في شباط 2015 في احتضار الصحافة الورقية، فكان أن باح بأنه منذ دخوله في العمل الصحافي قبل 27 عاماً، عايش مقولة "أزمة الصحافة الورقية" وأزماتها المالية الدائمة. يقول "ليس سراً أن صحيفة 'المستقبل' انطلقت بزخم مشروع الرئيس الراحل رفيق الحريري وسخائه، وبضمانة قوته الاقتصادية والتمويلية. هذه الحال بدأت بالتغير بعد اغتيال الحريري، لأسباب كثيرة موضوعية وذاتية. معظم الصحف اللبنانية تعتمد على 'الدعم' والتمويل من مصادر إقليمية لديها فائض مالي-نفطي، أو لديها طموحات وسياسات تتعدى حدودها الوطنية، تعتمد على المنظومة الإعلامية اللبنانية المحترفة، في الدعاية السياسية ودعاويها. وعندما تتعرض مصادر التمويل هذه إلى أزمة في ميزانياتها وسيولتها المالية، ينعكس هذا مباشرة على ميزانية الصحف وقدراتها المالية. هكذا، كل ما هو ملحق وفائض عن صفحات الجريدة الأساسية يصير غير مرغوب به". لكن يوسف بزي المنحاز دائماً إلى الإنسان والفعل الإبداعي ينحاز إلى فكرة أن الكتّاب والصحافيين والمثقفين ونتاجهم أهم بكثير من الصحيفة نفسها، لكن الشرط الاقتصادي يتغلب على مفهوم "القيمة"، أكانت هذه القيمة ملحقاً ثقافياً أو صفحة منوعات وتسلية.

> الشعوب العربية كانت تعرف هذه «اللعبة» الجهنمية للسلطة، وهي رغم ذلك قررت أن تكسر هذه الدائرة الابتزازية، ليست لأنها انتحارية بل ببساطة لأن الاستبداد تجاوز أي قدرة على الاحتمال. في الحالة السورية، ومنذ اليوم الأول، كنت مؤمناً أن النظام السوري لن يتوانى عن ارتكاب فظاعات لا حد لها دفاعاً عن نفسه

أفول عصر التنوير

صعود ما بعد الحداثة في الأدب العربي

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

❏ "هذه الدراسة التي تتعقب أفول عصر التنوير وصمود ما بعد الحداثة في تجربة الأدب العربي المعاصر هي بمثابة إعادة صياغة نقدية لمفهوم الخصوصية بمحمولها المعرفي والإثني، أي اختزال الجماعات والدول بمخيالها الطائفي والقبلي والإثني، وتحجيم أبعاد هويتها الأخرى، وهو مفهوم قد طفر ويطفر بنا على صعيد العالم العربي من حق الاختلاف إلى حق الانتحار".

منعطف ما بعد الحداثة

في عام 1971 أصدر إيهاب حسن، الناقد الأميركي المصري الأصل كتابا لافتا عنوانه "تقطيع أوصال أورفيوس: نحو أدب ما بعد حداثي".

مصطلح ما بعد الحداثة Postmodernism يعود بتاريخه إلى تلك الفترة بالذات. ولعل هذا الناقد هو أول من أطلق هذا المصطلح للدلالة على ما أسماه في كتاب لاحق "منعطف ما بعد الحداثة". هذا المنعطف يؤكد على تداخل مفهومي "الحداثة" و"ما بعدها". إذ ليس ثمة من قطع أو انقطاع بينهما، بل منعطف يؤذن بحدوث تغيير في مسار الحداثة نفسها.

وقد لجأ إيهاب حسن إلى الأسطورة اليونانية من أجل شرح المقصود من هذا التحول الذي طرأ على مفهوم الحداثة. واختار لذلك أسطورة أورفيوس على وجه التحديد. لماذا هذه الأسطورة بالذات؟ لأن دلالتها تشير إلى حالة التشظي. كانت الحداثة أو بالأحرى الأيديولوجيات أو الأفكار الشمولية التي تستظل بها، تدّعي أن لديها حلولا جاهزة لكل المشكلات، وأن التطور البشري يتسم بـ"الخطيّة" أي التحرك على شكل خط صاعد مستقيم في اتجاه التقدم، وبالتالي فإن الحداثة تملك مفاتيح الحقيقة المطلقة. ولكن نزعة ما بعد الحداثة تمثل في هذا السياق بالذات، حركة التحول من الحقيقة المطلقة إلى الحقيقة النسبية.

الحقيقة المطلقة تشظت على نحو يذكّر بجسد أورفيوس الذي تمزق إلى مزق وشظايا. ففي تلك الأسطورة يبرز أورفيوس باعتباره رمزا للشاعر ذي القدرات السحرية الخلاقة التي تمثل بعزفه على القيثارة وغنائه في مواجهة إغراء جنيات البحر من جهة، وصموده أمام رغبات الآلهة الجبارة من جهة أخرى.

يتزوج أورفيوس حورية خارقة الجمال تدعى "يوريدس" ولكنها سرعان ما تموت بعد إصابتها بلدغة أفعى. وهكذا ينطلق في رحلة إلى العالم السفلي بحثا عنها. وما أن تكتشف النسوة شدة إخلاصه لتلك الحبيبة وتعلقه بها حتى تجتاحهن الغيرة القاتلة فيمزقن جسده إربا إربا.

الشاعر والمأساة

أورفيوس المعاصر كما يراه إيهاب حسن رمز الفنان الذي يرضخ لمصيره المأساوي كمبدع مقطّع الأوصال، يمارس العزف على قيثارة بلا أوتار. لقد انهارت الحقائق الكلية ولم يعد ثمة من يقين بل شظايا مبعثرة تحوم في كل اتجاه.

ولكن نزعة ما بعد الحداثة هذه ليست ظاهرة أعقبت الحداثة كما يوحي المصطلح للوهلة الأولى، وإنّما هي متداخلة معها إلى الحد الذي يمكن معه القول إن كتّابا حداثيين من أمثال فرانز كافكا وجان جينيه وصمويل بيكيت وجيمس جويس، أعاد بعض النقاد تعريفهم مؤخرا وصاروا يوصفون باعتبارهم كتاب نزعة ما بعد الحداثة. هناك إذن مشكلة سياق تتعلّق بموقع كل من الحداثة وما بعدها من حيث التتابع الزمني. فالعمل الفني ما بعد الحداثي لا يعقب العمل الفني الحداثي بالضرورة. وبعبارة أخرى فإن صفة Post أو ما بعد ليست زمنية دائما وإنّما يمكن أن تكون كذلك أو لا تكون. وهذا مؤشّر يدل على شيء من الاضطراب في المصطلح. ولكن تطوّر السجال الذي دار ويدور بين النقاد هو الذي أسهم ويسهم في تحديث معناه بالتدريج.

ويمكن القول إن ما بعد الحداثة كفلسفة، تنطوي على نزعة تناهض فلسفة "التنوير" التي تعتبر عصب الحداثة من حيث تأكيد هذه الأخيرة على الدور المركزي للعقل وإمكان تحقيق المجتمع العقلاني المنشود.

وبالمقابل تعترف فلسفة ما بعد الحداثة أن ثمّة قوى قاهرة تتحكم بالمجتمع ولا يمكن السيطرة عليها. وبالتّالي فهي ترى أنه لا مجال للتفاؤل الذي تبديه الحداثة. بل إنّ رفض ما بعد الحداثة لوجود حقائق مطلقة، خلافا لموقف الحداثة، يمكن اعتباره نتيجة من نتائج التشظّي.

وأما في المجالين الثقافي والفنّي فإن نزعة ما بعد الحداثة توصف بكونها انتقائية eclectic. وهذه السمة تتجلى في اعتماد الأعمال الفنية ما بعد الحداثية على عناصر مستمدة من أجناس أدبية متعددة وتيارات وأساليب وتقنيات مستلّة من مصادر متباينة.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يشير إلى أن هذه النزعة بدأت في مجال الهندسة المعمارية في مطلع القرن الماضي فإن تداولها شاع في سبعينات ذلك القرن مع انحسار حد الحداثة وظهور ثقافة ما بعد الصناعة.

يمكن القول إذن إن نزعة ما بعد الحداثة استمرت في استخدام بعض تقنيات الحداثة التجريبية، ولكنّها أظهرت العداء تجاه سمات حداثة أسلوبية معيّنة كالحرص على صفاء الشكل وضرورة البعد عن الهجنة التي يسببها المزج بين مختلف الأجناس الأدبية.

ولعل أحد أبرز سمات النزعة ما بعد الحداثية الاعتراض على ما تدعوه بالسرديات العظمى Grand Narratives، أي محاولة تغيير السلوك البشري من خلال نظرية أو أيديولوجية واحدة كالماركسية أو علم النفس الفرويدي أو البنيوية.

وأما الفكرة المركزية التي تطرحها فتكمن في نفي وجود سردية (أي قصة لها بداية ونهاية) تزعم القدرة على امتلاك الحقيقة (على غرار تلك التي بشرت بها النزعات التي استظلت بالحداثة). وأساس هذه الفكرة هو الاعتقاد أن المجتمع المعاصر متشظ ومنقسم بفعل طغيان ثقافة استهلاك السلع التي توصف بالتفاهة، وتجعل فهم ذلك المجتمع كوحدة كلية أمرا متعذرا.

ولذلك يرى بعض الفلاسفة المعاصرين كالألماني يورغن هبرماس أن نزعة ما بعد الحداثة تتسم بالمحافظة، ويعلل ذلك الحكم بقوله "إنها لا تبدي مقاومة للأمر الواقع".

الوضع ما بعد الحداثي

ولا شك أن أحد أبرز منظّري ما بعد الحداثة هو الفيلسوف الفرنسي ليونار الذي يسأجل في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي" (1979) بالقول إن سرديات أشكال المعرفة سيطر عليها الخطاب العلمي الذي يضّحي بالغاية من أجل الوسيلة. وهو يعني بذلك أن البحث العلمي الذي يجد تمويلا ماديا أكبر هو الذي يصبح معترفا به. فكأن الوسيلة التي تمثل التمويل هي التي تفرض مشروعية الغاية واعتمادها كحقيقة ناجزة، كما تفعل بعض شركات الأدوية العالمية.

ثمة مفكر فرنسي آخر يمارس الفلسفة وعلم الاجتماع هو جان بودريلار، أطلق عليه بعض النقاد لقب كاهن ما بعد الحداثة، ولكنه يرفض هذه الصفة بقوله إنها تشير إلى وضع ثقافي "وضيع ورجعي ومنحط" لا يزعم تبنيه.

يعتبر بودريلار مفكرا ما بعد حداثي بامتياز. فقد قدم تحليلات تشكك بالرأسمالية المعاصرة وثقافة الاستهلاك وأجهزة الاتصال الجماهيري mass media. كما أن نقده لفكرة التقدم التاريخي في الماركسية والهيغلية، وحلول وهم الـSimulation أي الواقع الافتراضي الذي تعرضه شاشات الإنترنت، محل الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ بل الواقع نفسه، جعله أحد أبرز المتمرّدين على طغيان النزعة الاستهلاكية المسيطرة على الرأسمالية المعاصرة.

ففي ثقافة تعتمد على الاستهلاك بدلا من الإنتاج لم يعد معنى الأشياء يكمن في فائدتها بل حيازتها. كما أن الحاجة لم تعد نتيجة من نتائج الندرة، بل صارت علاقة افتراضية زائفة ومصممة بحيث يؤدي وجودها إلى حيازة أشياء وهمية لا تشبع حاجات المستهلك. وهكذا تصبح تجارة السلع وسيلة من وسائل السيطرة على المجتمع. والنتيجة أنه لم يعد ثمة مجتمع بل جماهير لا تكف عن الاستهلاك.

ثمة أطروحة نقدية لافتة لبودريلار كرّسها لتفنيد المفهوم الهيغلي/الماركسي المتعلق بنهاية التاريخ. ففي العام 1992 الذي صدرت خلاله الطبعة الأولى من كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" للمفكر الأميركي الهيغلي فرانسيس فوكوياما الذي أعلن عن "نهاية التاريخ" بعد انهيار الشيوعية والاتحاد السوفياتي وانتصار الرأسمالية، في ذلك العام ظهر كتاب "وهم النهاية" وفيه يلاحظ المفكر الفرنسي أن تسارع الحداثة المتمثل في تنامي قوة التكنولوجيا والاتصالات الكونية ووسائل الاتصال الجماهيري، قد أدى إلى ظهور ظاهرة الواقع الافتراضي الذي لم يعد بالإمكان تمييزه عن الواقع. وبهذا المعنى كتب بودريلار دراسته "حرب الخليج لم تقع" (1995)، وهي بحث يساجل فيه بالقول إن حرب (1991) ضد العراق كانت حربا مرسومة كواقع افتراضي، وأن نتيجتها كانت معروفة سلفا، فضلا عن أنها عرضت على التلفزيون لكي ترضي حاجة الطرفين المتنازعين لتبرير مشاهد ذلك الواقع. وهو يرى أن التاريخ يصل إلى نهايته فعلا (في العالم الافتراضي) ولكن ليس على النحو الذي أشار إليه هيغل وماركس. فبدلا من الوصول إلى أقصى مراحل التطور صار الجنس البشري يراوح مكانه.. أي في الزمن الحاضر.

ما هو التنوير؟

بادئ ذي بدء أشرنا إلى عداء نزعة ما بعد الحداثة تجاه عصر التنوير Enlightenment. هذه السمة تعد من أهم سمات تلك النزعة. فالحضارة الأوروبية الحديثة لم تكن حضارة مسيحية بقدر ما كانت نتاج عصر التنوير.

فما هي خصائص عصر التنوير؟..

التنوير ظاهرة ثقافية بدأت في أوروبا القرن السابع عشر. وهناك سجالات تعكس خلافات في الرأي حول ماهية هذا التنوير وما إذا كان مستمرا حتى الوقت الحاضر.

ثمة فلاسفة ينتمون إلى عصر التنوير كالفيلسوف ديكارت ادّعوا أن العقل هو الذي يجعلنا بشرا. وتبعا لذلك فإن من الممكن، بانتهاج طريقة معينة في التفكير الفلسفي، استخدام العقل من أجل التوصّل إلى معرفة معصومة عن الخطأ. فالعقل كوني وموضوعي ومستقل بذاته، وعندما يستخدم وفق منهج محدد يصبح تقدم العلم والمجتمع ممكنا.

وأما روسو فكان أقل إيمانا بدور العقل والعلم من ديكارت، غير أنه ظل مؤمنا بالتقدم السياسي. إذا سمحنا لاستقلال الأفراد العقلي بالتعبير عن نفسه، وتمكنّا من إقناعهم بإحلال حريتهم "المدنية" محل حريتهم "الطبيعية" صار التوصل إلى المجتمع السياسي الكامل أمرا ممكنا.

الفيلسوف الألماني كانط، أحد أعمدة عصر التنوير، استخدم إيمانه بالفكر العقلاني من أجل تعزيز المعتقدات الأخلاقية. وهو يرى أن بإمكان العقل العملي استنباط قوانين أخلاقية عالمية ومطلقة تكون صحيحة دائما وبالتالي ملزمة للجميع.

هذه الأفكار التي تعود إلى عصر التنوير منحت الأوروبيين الثقة بمستقبل التقدم العلمي والأخلاقي والسياسي. وقد استمر تأثيرها حتى القرن التاسع عشر، وظلت مطروحة لا تتعرض للمساءلة حتى ظهر الفيلسوف الألماني نيتشه الذي كتب يقول "في زاوية قصية من الكون كان هناك كوكب تمكنت الحيوانات الذكية التي تقطنه من اختراع المعرفة. لقد كانت تلك اللحظة إحدى أشد لحظات التاريخ الإنساني غطرسة وزيفا".

وفي رأي نيتشه إنه لا توجد سوى حقيقة "حقيقية" واحدة تتعلق بالإنسان والعالم هي "إرادة القوة" التي لا يمكن كبح جماحها. وبعبارة أخرى فإن البشر يصنعون الحقائق بإرادتهم المدعومة بالقوة التي تساعدهم على البقاء كجنس بشري. فالمعرفة والحقيقة أداتان مؤثرتان، مفهومان يشيران إلى قدرة البشر على الخلق والابتكار. ولهذا لا يمكن أن يكونا مفهومين موضوعين نظرا لأنهما مسخرتان دائما لخدمة مصلحة أو هدف بشري.

لم يطور نيتشه إبستيمولوجيا (نظرية معرفة) متماسكة، بل عبّر عن آرائه بطريقة فنية مليئة بالتشابيه والاستعارات. وهو يتفق مع الفيلسوف اليوناني هيراقليطس بأن الكون في صيرورة مستمرة، وأنه في حالة من الفوضى والتغير تجعل أيّ شعور بالاستقرار نشعر به هو ذاك الذي نصنعه بأنفسنا. فمعنى أن يعرف المرء هو "أن يفرض المقاييس على عمليات فوضوية تجعل العالم مفيدا لنا وتمنحنا الإحساس بالقوة والسيطرة".

وفي دراسة مهمة ظهرت في عام 1873 تحت عنوان "حول الحقيقة والزيف بالمعنى الفائض عن الأخلاق" يشير نيتشه إلى أن اللغة لا بد أن تكون استعارية (مجازية)، والدليل على ذلك أنها عاجزة عن وصف واقع العالم بدقة. كما أن مفاهيم "الحقيقة" و"المعرفة" مفاهيم استعارية كامنة في اللغة نفسها وبالتالي ليس بإمكانها إبلاغنا بشيء دقيق عن العالم.

وجهة النظر اللافتة هذه، حول العلاقة بين اللغة والعالم سبقت العديد من أقطاب القرن العشرين من أمثال فيتغنشتاين ودريدا.

لقد رأى نيتشه أن اللغة لاعب رئيسي في عملية خداع مستمرة للذات. فنحن نفكر بالكلمات وبالتالي نفترض على نحو آلي أن ثمة أشياء في الخارج تشير إليها. الكلمات مفيدة لنا نظرا لأننا نستطيع استعمالها من أجل تبسيط صورة الفوضى والتعقيدات المحيطة بنا، ولكن هذا كل ما تستطيع الكلمات أن تفعله.

هذا الشك بوجود الحقيقة المطلقة هو الذي جعل الباحثين في تاريخ الأفكار ينظرون إلى نيتشه باعتباره أول مفكر طرح الفكرة المركزية في منعطف ما بعد الحداثة الذي صار مصطلحه متداولا بدءا من سبعينات القرن الماضي.

الأدب العربي وما بعد الحداثة

قبل زمن غير بعيد دعيت للكلام عن الأدب العربي وعلاقته بما بعد الحداثة، فتذكرت حوارا جرى آنذاك بيني وبين أحد الأصدقاء حول الموضوع نفسه، اختصره بالقول: إذا كانت الحداثة إشكالية مفتوحة ذات طابع خلافي من حيث علاقتها بالأدب العربي، فكيف الأمر بما بعد الحداثة؟ كيف ننزلق في سجالاتنا الفكرية إلى ما بعد الحداثة ونحن نعيش مرحلة أفول عصر التنوير، مرحلة النكوص عن الحداثة نفسها؟..

> أورفيوس المعاصر كما يراه إيهاب حسن رمز الفنان الذي يرضخ لمصيره المأساوي كمبدع مقطع الأوصال، يمارس العزف على قيثارة بلا أوتار. لقد انهارت الحقائق الكلية ولم يعد ثمة من يقين بل شظايا مبعثرة تحوم في كل اتجاه

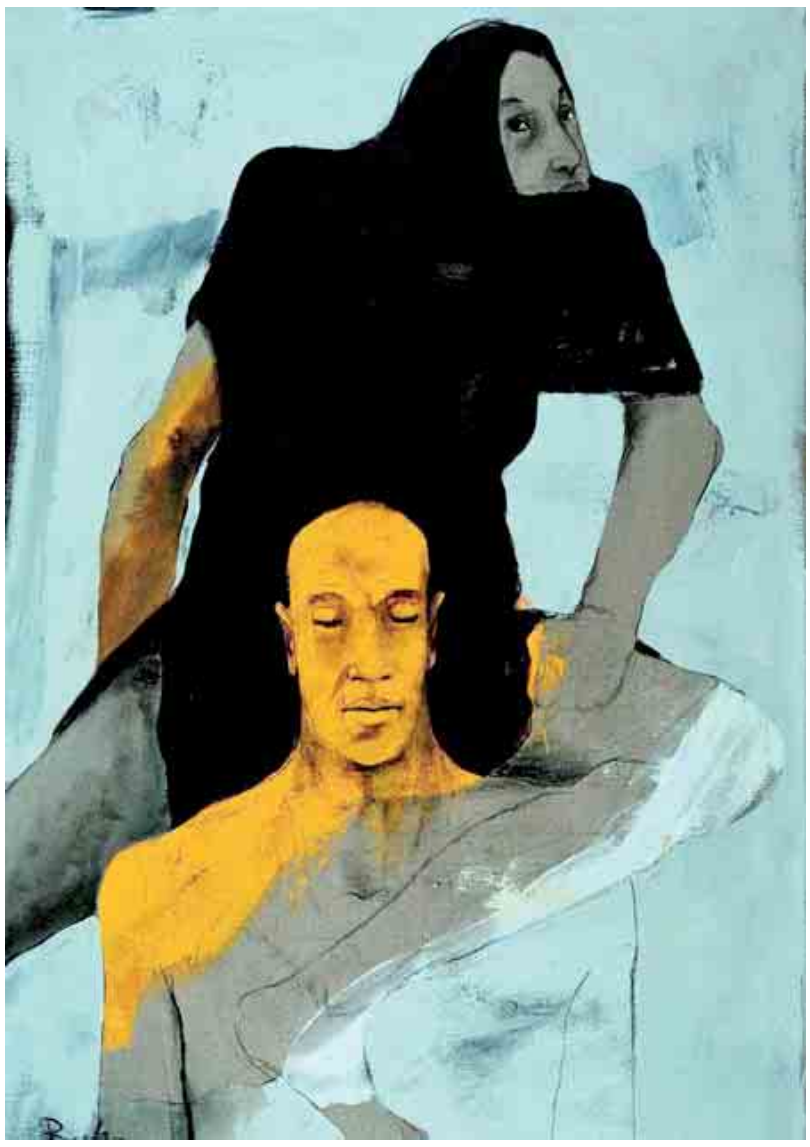

رسمة لبهرام حاجو

نذير نبعة صانع ألوان دمشق

جسّد بريشته أشهر الأساطير السومرية والتدمرية

توصل الفنان إلى صيغة جمالية للوحته نحتت نفسها من الأساطير السورية والعراقية القديمة

أوس داوود يعقوب
كاتب من فلسطين

❏ برحيل نذير نبعة (1938–2016) خسرت سوريا أحد أعمدة الفن التشكيلي السوري، وواحدا من أبرز مؤسسي الحداثة في التشكيل السوري، وأحد كبار رواد النهضة الفنية العربية الحديثة والمعاصرة.

وكانت دمشق قد ودعت الثلاثاء (22 من شهر فبراير الجاري)، التشكيلي السوري البارز عن عمر يناهز ثمانية وسبعين عامًا، وذلك إثر إصابته بنوبة قلبية نقل إثرها إلى مشفى "الطلياني" بدمشق، حيث وافته المنية هناك.

وكما كان الفنان المبدع نذير نبعة في مختلف مراحل تجربته يعيد اكتشاف الحياة، انطلاقاً من وفائه للإنسان والمكان فقد غادرنا إلى عالم آخر ليكتشف الجمال المطلق..

تتلمذ الفنان الراحل على يد الأساتذة الكبار محمود جلال وناظم الجعفري من سوريا، وعلى حسين بيكار وعبدالعزيز درويش وعبدالهادي الجزار وحامد ندى من مصر. وانعكس ولاؤه السياسي على أعماله الفنية، ففي العام 1967، إثر نكسة حزيران، أنجز مجموعةً من اللوحات عن "النابالم" الذي استخدمته قوات الاحتلال الصهيوني ضد المصريين، كما رسم الفدائي الفلسطيني أيضاً، "باعتباره الوحيد الذي كان يقاوم إسرائيل بعد انهزام الجيوش العربية". وعن هذه الفترة يقول نبعة في حوار صحافي نشر بالصحافة المحلية بدمشق قبل أيام، "كثيرون كانوا يظنون أنني فلسطيني؛ كون رسوماتي كانت بمثابة الناطق الرسمي بلسان الحراك الفلسطيني؛ فهزيمة حزيران كانت صفعة على وجوهنا جميعاً؛ جعلتنا جميعاً في حالة إحباط"، متابعاً "لكن كانت شخصية الفدائي هي من أنقذتنا من هذا الاكتئاب، فكنّا نشعر أن هذه الشخصية هي الوحيدة التي يمكن لها أن تدافع عن وجودنا عن مفهوم الوطن، ولذلك احتلت صورة الفدائي الجزء الكبير من لوحاتي في تلك الفترة، وكان معظمها على هيئة بوستر أو ملصقات، حيث نشأت صداقات وأخوّة بيني وبين الفدائيين".

وفي منتصف ستينات القرن الماضي انخرط نبعة في صفوف الثورة الفلسطينية، عضواً في حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وهو الذي صمّم شعارها المعروف (العاصفة)، كما أنجز عدداً كبيراً من الملصقات الثورية والسياسية في ذروة صعود الكفاح المسلح الفلسطيني.

النشأة الأولى

نشأ نبعة في أسرة بسيطة لأب يعمل فلاحاً وفي مهن عدة، بينما كانت والدته تعمل في تطريز الملابس، المهنة التي ستعلن ملامساته الأولى من خلال مساعدته لأمه؛ حيث كان الطفل الصغير يرسم على الثياب التي تخيطها والدته لنساء وفتيات القرية، لوحته الأولى التي يقول عنها ضاحكاً "كنت أرسم طيوراً وزخارف نباتية على تلك الأثواب، وكان منتهى سعادتي عندما تلبس فتاة من قريتي ذلك الثوب فأرى رسومي تطير على صدرها".

وتعود بداية دخوله عالم اللوحة إلى فترة دراسته في ثانوية التجهيز الأولى في دمشق؛ حيث كان الفنان ناظم الجعفري، أحد رواد الفن التشكيلي في سوريا، أستاذاً لمادة التربية الفنية.

هناك جهّز الجعفري، الذي عرف عنه صرامته وتفانيه في عمله كفنان ومدرّس، في الثانوية محترفاً نموذجياً لتعليم الرسم. تعرّف نبعة في هذا المكان إلى تقنيات الرسم بالألوان المائية، كما تعلّم تقنيات اللوحة من مزج اللون وتأسيس القماش، إضافة إلى تقنيات الفحم. يقول عن علاقته بمعلمه الأول في أحد الحوارات "كان الجعفري كريماً جداً، لكنه كان بالمقابل صارماً وجديّاً، وهذا ما علّمني الفن واحترام أصول العمل الفني، بأن نكون جديين في تعلمنا".

تمرد واستحضار

تخرج الفنان نذير نبعة في كلية الفنون الجميلة في القاهرة سنة 1964، وبعد عودته من القاهرة نُدب للتدريس في محافظة دير الزور (شمال سوريا)؛ كمدرّس للفن وهناك اكتشف حدود البادية الشامية الملوّنة حتى نهر الفرات الساحر؛ ممّا وفّر له فضاءً رحباً استحضر من خلاله التاريخ والحضارات السومرية التي كانت موجودة في تلك المنطقة، فتشكّلت أولى ملامح فنه المتمرد على القوالب التقليدية ذات الميول الانطباعية في كثير منها، وقد مهدت تصوراته التشكيلية -كما ذكر الناقد سامر إسماعيل- لمعرضه الأول عام 1965 في غاليري "محمود دعدوش-صالة الفن الحديث" بدمشق. هذا المعرض الذي احتوى عشرين لوحة؛ والذي أثار سجالاً عميقاً في المحترف التشكيلي لبلاده؛ لا سيما لوحاته "الحوت والقمر" ولوحة "الطلسم" و"كائنة مردوخ" و"سيزيف" و"العجاج".. يصفه التشكيلي السوري طلال معلا، بأنه كان (المعرض) "هزة قوية في الوسط التشكيلي السوري؛ إذ كُتب عنه الكثير من قبل النقاد وممّن يهتمون بالفن التشكيلي في تلك الفترة؛ انطلاقاً من أهمية هذا الفنان الجديد الذي قدّم صورةً مختلفة وبشكل تعبيري راقٍ عن الحالة الإنسانية في سوريا، مجسداً موقفه من التشكيل من جهة ومن القضايا التي تطرحها لوحاته، ولذلك يمكن القول إن نذير نبعة كان من مؤسسي الحداثة في التشكيل السوري".

في سنة 1971، تابع نبعة دراساته العليا في "مدرسة الفنون الجميلة" في باريس، وأنهاها في سنة 1974. وقد مثلت هذه الأعوام الثلاثة -على قلتها- محطّة بُعد طويلة بالنسبة إلى نبعة، فعاد إلى دمشق، التي أقام بها منذ أواسط السبعينات حتى وفاته اليوم.

«دمشقيات».. ذاكرة الجذور

دمشق، التي ظل مهجوساً بها، وكأنه يعانقها من خلال لوحاته؛ حيث أنجز مجموعةً بعنوان "الدمشقيات". وحين سئل في ندوة عن بدايات سيرته الإبداعية قال "معلمي الأول بستان جدتي (أم محمود) في إشارة إلى الفسحة الخضراء الكائنة يومذاك في قرية المزة (من ضواحي دمشق والتي صارت اليوم من أرقى الأحياء الحديثة بالمدينة)". ويضيف في موقع آخر "ذاكرة البستان هي الجذور التي صنعت المفاهيم والأشكال والرموز التي تراها اليوم في لوحاتي؛ فلو كان العمر شريط فيديو ورجعنا به إلى الوراء، ستكون فترة طفولتي هي من أجمل أيّام عمري؛ تلك الفترة قضيتها في بستان جدتي في المزة، القرية المشكلة من بيوت طينية وليس على ما تراه اليوم من إسمنت أكلها عن آخرها".

وقد تقلب نبعة في فنه بين أساليب عدة وأسّس "جماعة العشرة" التي ما لبثت أن انفرطت لكن ذاته كانت ملهمته في كل شيء. وعلى الرغم من توسّع رؤية الفنان وتطوّر أدواته، إلا أنه بقي مخلصاً لما هو محلي.

وقد شكّلت معالم العاصمة السورية وأشهرها نهر بردى وبساتينها المزدانة بأشجار الرمّان والجلّنار والتفّاح، إلى جانب الأساطير السومرية والتدمرية، وفنون وجداريات ما بين النهرين، ورسوم الفخار والخزف، فضاءات أعمال نبعة ومجاله الحيوي.

وبعد الاحتلال الأميركي للعاصمة العراقية بغداد، صارت المدينة هاجسه الأكبر في الرسم، الأمر الذي دفعه إلى إطلاق مجموعته "المدن المحروقة"، التي لم تقتصر على بغداد، بل امتدت إلى مدن أخرى تعرضت للدمار والموت.

الفنان في سطور

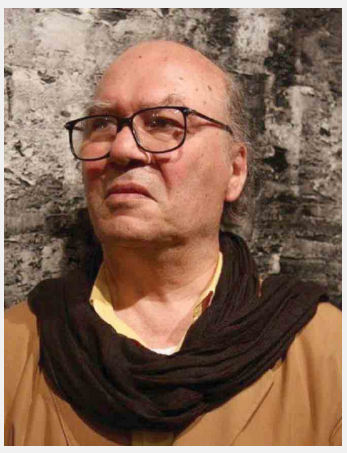

❏ ولد الفنان نذير نبعة في دمشق في 5 حزيران (يونيو) 1938، ونال الشهادة الثانوية فيها العام 1959 حيث كانت موهبته الفنية قد أعلنت عن نفسها بوضوح منذ مشاركته العام 1952 بلوحة مائية في المعرض السنوي، وهو لم يزل في الرابعة عشرة من عمره، فأوفد إلى القاهرة للدراسة في كلية الفنون الجميلة فيها بعد أن نجح في مسابقة للحصول على منحة مقدمة من وزارة التربية، وليتخرج عام 1964 بمشروع عن "عمال مقالع الحجارة"، نال عليه درجة الامتياز.

وفي القاهرة تعرف الفنان الراحل إلى الفنانة التشكيلية المصرية شلبية إبراهيم فتزوجا، وعادت معه إلى دمشق لتقيم فيها إلى جانبه حتى اليوم.

شكل نذير نبعة مع أسعد عرابي وخزيمة علواني وغياث الأخرس وغسان السباعي وعبد الحميد أرناؤوط، علاوة على رسام الأيقونات إلياس الزيات، شوطاً مهماً في مسيرة الفن التشكيلي السوري المعاصر. وتعكس لوحاته المقتناة من قبل وزارة الثقافة السورية، والمتحف الوطني بدمشق، والقصر الجمهوري، ومتحف دمّر، لغة فنية فريدة مثقلة بعناصر المكان والطبيعة، علاوة على رموز التاريخ والحضارات القديمة.

وهي -كما يقول الناقد محمد عمران- تصوّر عن المكان بصيغة تعبيرية حالمة، هي جرعة مكثفة من الجمال. ليست المهارة التقنية أو الدقة أو البلاغة في الرسم هي ما يشدّنا في لوحته وحسب، وإنما تلك الحالة السحرية التي تعكسها نظرات عازفة الناي المحلقة، وحضور الورود والرمّان؛ كأننا نفتح الباب أمام صورة متخيّلة لدمشق التي نحب.

سينما التاريخ والواقع والذاكرة الفلسطينية

ميشيل خليفي: مهموم بصورة الفلسطيني الآخر

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ برز اسم المخرج الفلسطيني ميشيل خليفي بقوة على الساحة السينمائية في العالم مع عرض فيلمه "الذاكرة الخصبة" في مهرجان قرطاج السينمائي عام 1980 حيث فاز بجائزة النقاد العرب، فقد كان الفيلم اكتشافا حقيقيا لموهبة مخرجه مواليد الناصرة عام 1950.

في شبابه المبكر عمل ميشيل لخمس سنوات في إصلاح السيارات، ثم غادر إلى ألمانيا عام 1970 وكان في العشرين من عمره، لكي يتدرب في مصانع فولكس فاغن، ولكنه عرّج أولا على ابن عمه في بلجيكا الذي أقنعه بالبقاء وكان وقتها مولعا بالفنون، ثم عثر على فرصة للالتحاق بمعهد الفنون في بروكسل، ، فدرس اللغة الفرنسية لمدة عام، ثم التحق بقسم المسرح والتلفزيون، وكانت الأطروحة التي حصل بها على الدرجة، تتناول "أشكال التعبير الثقافي في فلسطين"، ثم التحق بعد تخرجه عام 1975 بالعمل في التلفزيون البلجيكي لكي يخرج عددا من الأفلام التسجيلية التي صوّرها في فلسطين.

من بين هذه الأفلام فيلم "حدث في كامب ديفيد" الذي صوّره في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفيلم آخر عن المستعمرات الإسرائيلية في سيناء، وكانت أفلامه الأولى أفلاما "حدثية" كما يقول ميشيل في مقابلة أجريتها معه، أي ترتبط بالحدث السياسي المباشر. ويضيف أن هذه التجارب ساعدته في تطوير لغته السينمائية، وكذلك رؤيته وموقفه الفكري والفلسفي ونظرته للتاريخ، وأيضا إلى الذاكرة وكيف تولد الذكرى من الصورة.

الذاكرة الخصبة

تجربة ميشيل في أوّل أفلامه الطويلة "الذاكرة الخصبة" تصل التاريخ بالذاكرة. لكنه أساسا، فيلم عن الصمود الفلسطيني، عن التمسك بالأرض، من خلال قوة المرأة الفلسطينية وقدرتها على التمسك بأرضها وهويتها ودفاعها عن ثقافة شعبها، ومدّ يد الأمل للجميع، للأجيال القادمة. في الفيلم شخصيتان لامرأتين: المثقفة والكاتبة المستقلة والمدرّسة "سحر خليفة" من نابلس بالضفة الغربية المحتلة، التي تتخذ طريقا مستقلا في الحياة، لا تأبه بالتقاليد العتيقة، تنفصل عن زوجها، وتخوض وحدها رحلة العمل والكفاح من أجل تربية أبنائها، كما تعبّر يوميا عن التمسك بالتاريخ وبالهوية من خلال إشاعة الوعي الثقافي بين الذين تقوم بتعليمهم، وتتصدّى بكل قوة للاحتلال الإسرائيلي وتكشف مخططاته. أما الثانية فهي "رومية فرح" من الجليل التي أصبحت داخل إسرائيل، وهي سيّدة مسنّة خاضعة للتقاليد على نحو ما، لكنها تتمتع بقوة وصلابة مدهشتين، تتمسك بالأرض، تشمّمها، تعبّر عن ارتباطها بهويتها من خلال إيمانها بحق أحفادها في استرداد الأرض التي سلبت.

ينتقل الفيلم بين الشخصيتين في بلاغة بصرية آسرة، خاصة وهو يربط طوال الوقت، بين الإنسان والأرض، مؤكدا على أن قضية فلسطين قضية ترتبط بالأرض كما ترتبط بالهوية وبالتاريخ والتقاليد. إنه لا ينتقد ولا يدين، لكنه يدعم فكرة الوعي بدلا من النضال المسلح.

يقول ميشيل خليفي "صوّرت ما أحب: المرأة هي أساس الفيلم وتداعيات ذاكرتها هي التي ترسم التجربة الإنسانية الفلسطينية، في حين أنّ خطاب الرّجل مبنيّ على الهرمية الرّجولية بشكل سلطوي".

ميشيل مهموم بتقديم صورة أخرى مغايرة للفلسطيني التقليدي، أي المقاتل، الذي يذوب في الجماعة، ينكر ذاته من أجل القضية، يبدو دائما مثل البطل الإيجابي في أفلام "الواقعية الاشتراكية" السوفييتية، خاصة في الأفلام الفلسطينية التي ظهرت بعد 1967. وفي فيلمه التالي الكبير "عرس الجليل" (1987) يطمح خليفي إلى تقديم عمل سينمائي ملحمي، يبرز دور الثقافة والتقاليد الشعبية الفلسطينية، ويصوّر الصمود اليومي للإنسان الفلسطيني في مواجهة الاحتلال على مستوى شاعري رومانسي محمّل بالإسقاطات السياسية، ولكن من خلال التأكيد على الإنسان الفرد، همومه وتطلعاته، وفي الوقت نفسه، ينقد سلبياته وتمسّكه بالعادات البالية التي تقتل الروح وتجعل الدوران في الوضع الراهن سببا إضافيا للتفوّق الصهيوني.

يبدأ الفيلم بمختار قرية فلسطينية يتوجه إلى مقرّ الحاكم العسكري الإسرائيلي لكي يطلب منه رفع حالة حظر التجوال في القرية لمدة يوم واحد حتى يتسنّى له الاحتفال بزواج ابنه الأكبر. يوافق الحاكم الإسرائيلي شريطة أن تتم دعوته مع ضباطه لحضور الحفل. يرضخ المختار للطلب الغريب رغبة منه في إتمام زواج ابنه في احتفال كبير لم تر القرية مثيلا له من قبل، مما يثير اعتراضات الكثير من شباب البلدة، ثم يبدأ قسم منهم في الإعداد لشن هجوم مسلّح على الحاكم العسكري الإسرائيلي ورجاله.

وسط هذا الجو المشحون يبدأ الحفل ويستمر حتى الصباح، ويصوّر خليفي ما يدور في الداخل من مشاحنات وصراعات تعكس التناقضات الكامنة في المجتمع الفلسطيني: المختار في تعامله الخشن مع ابنه، رغبة الأب الأنانية التي تتناقض مع آراء شباب القرية الذين يرونها دعوة للأعداء، مقاطعة شقيق المختار الحفل بسبب حضور الإسرائيليين، هذا التوتر ينعكس على الابن ويؤدي الى عجزه عن القيام بواجب الزوج تجاه عروسه، وما يترتب على ذلك من تداعيات واتهامات وتشنّجات لها علاقة بالموروث المتخلّف في مجتمع ذكوري وانعكاسات ذلك على العلاقة بين الرجل والمرأة، والتشبث بحلول سلبية. ورغم ذلك يحرص ميشيل على إبراز الطابع الثقافي الفلسطيني الأصيل متمثلا في العادات والتقاليد الاحتفالية والأزياء والطقوس الخاصة باحتفالات العرس، وقدرة التراث الفلسطيني على ابتلاع الغريب القادم من الخارج.

ميشيل يجمع بوضوح في فيلمه بين القمع الجنسي والعجز عن الخروج من المأزق الفلسطيني، أي بين خضوع الفرد للتقاليد العتيقة في مجتمع بطريركي قمعي، وبين عجز حركة "الكفاح المسلّح" عن تحقيق الهدف المنشود، مشيرا إلى استحالة تحقق الهدف الثاني دون أن يتحقق الهدف الأول.

نشيد الحجر

وفي فيلم "نشيد الحجر" (1990) يمزج ميشيل التسجيلي بالروائي كعادته، فيصوّر رجلا وامرأة كانت تربطهما قبل 20 سنة علاقة حب، لكن الرجل قضى سنوات في سجون الاحتلال، بينما غادرت المرأة إلى بريطانيا. وهي تعود الآن للقيام بدراسة موثقة عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي كانت مشتعلة وقتها، وتلتقي بالرجل في القدس، حيث يسترجع كل منهما ذكريات الماضي، ومسؤولية كل منهما عمّا وقع من فراق.

يمتلئ الفيلم بمشاهد البساتين والأرض، ويتضمن مقابلات مع المشاركين في الانتفاضة وأُسَرِهِمْ، والجرحى الراقدين في المستشفيات، ويصوّر كيف يشعر الأب بفقدان ابنه، والأم بموت أبنائها، ورغم ذلك يصرون جميعا على الاستمرار في المقاومة، ويصور في مشاهد طويلة مباشرة قيام الجنود الإسرائيليين بهدم بيوت الفلسطينيين المشاركين في الانتفاضة، كاشفا عن فظائع العيش تحت الاحتلال، مؤكدا على فكرة استعادة الحب كمعادل للتماسك ومقاومة النسيان.

ميشيل خليفي.. البحث المعذب عن حقيقة ما وقع في فلسطين

الجواهر الثلاث

في عام 1995 فاجأ ميشيل خليفي عشاق أفلامه بفيلم روائي طويل هو الأكثر طموحا خلال مسيرته كلها. إنه "حكاية الجواهر الثلاث" الذي عرض في مهرجان كان السينمائي. وفيه يتابع خليفي بحث طفل فلسطيني (12 سنة) من جيل الانتفاضة عن هويته، بين الواقع والأسطورة والحلم. إنه يروي قصة حبّ بين "يوسف" ابن المخيمات في قطاع غزة، و"عايدة" الغجرية الهائمة على وجهها التي تتزعم مجموعة من الفتيات والصبية. الأحداث تقع في غزة وقت الانتفاضة، قبل عودة السلطة من الخارج بعد اتفاق أوسلو. ويصوّر الفيلم أجواء القلق والتوتر والعنف السائدة، وكيف تلقي بظلالها بقوة على الشخصيات من الأجيال المختلفة، كما يصور العلاقة بين جيل الأجداد (النكبة) وجيل الأحفاد (الانتفاضة).

جدة يوسف تمنحه قلادة حملتها معها من يافا عندما اضطرت لمغادرتها في الماضي، يقوم يوسف بدوره بإهدائها إلى حبيبته عايدة لكنها تكتشف فقدان جواهرها الثلاث، وتقول الجدة ليوسف إن الجواهر الثلاث موجودة في أميركا الجنوبية، فيقرّر يوسف السفر إلى هناك ويظل يبحث عن طريقة للخروج واستعادة الجواهر الثلاث.

إنه ذلك الحالم الذي يتعرف أيضا على تراث الأجداد ويظل هائما في تلك المنطقة التي تقع بين الواقع والحلم، في بناء أشبه بقصص الأطفال والحكايات العربية القديمة التي تمتلئ بالحكمة. وكما أن يوسف هو ابن الانتفاضة فإنه أيضا ابن ثقافته المكتسبة بالحكمة والفلسفة والإيمان الديني العميق دون تشدّد. وعندما يجعله خليفي يستفيق على الحقيقة، على ما يحدث حوله، ويدرك ضرورة اكتساب المعرفة والوعي من الواقع، دون أن ينبذ الخيال، فإنه يستعيده في المشهد الأخير، من الموت إلى الحياة، ويبقي عليه باعتباره رمزا لا يموت.

إنها رؤية شديدة الرونق والسحر والجمال، وفيها يلخّص ميشيل خليفي فلسفته الخاصة في علاقته بوطنه، بتاريخه، بماضيه وحاضره، ورغبته في أن يرث الجيل الجديد الخيال دون أن يغفل عن الواقع أو ينسلخ عنه.

زنديق

أما فيلم "زنديق" (2009) فهو أكثر أفلام خليفي تعبيرا عن سيرته الذاتية، فبطله يحمل اسم "ميم"، أي الحرف الأول من اسم ميشيل خليفي نفسه، وهو مخرج سينمائي يعود إلى بلده بعد سنوات طويلة قضاها في المهجر الأوروبي، إلى الناصرة في فلسطين لكي يفتش، باستخدام كاميرا الفيديو الرقمية الصغيرة، في الذاكرة الفلسطينية التي ترتبط بجيل النكبة، جيل 1948، بحثا في تاريخ تلك الكارثة التي ألقت ولاتزال تلقي، بظلالها القاسية على الواقع الفلسطيني بأسره.

يدور الفيلم كله في ليلة واحدة، يبحث خلالها البطل عن مأوى، أولا في كنف منزل أسرته، لكنه يتلقّى خبرا مفاده أن ابن شقيقه قَتَل رجلا، ويتعين عليه بالتالي، أن يهرب لكي لا يصبح هدفا للثأر من جانب أسرة القتيل، وهو ما يحدث بالفعل، فسرعان ما تحضر مجموعة من المسلحين يحاصرون منزل الأسرة بينما يتمكن "ميم" من الفرار بسيارته، ويظل يبحث بعد ذلك، عن مكان يؤويه، في فندق من فنادق المدينة، ولكن كل جهوده ومحاولاته تبوء بالفشل، فهم يتشككون فيه، كونه الغريب القادم من الخارج، الذي لا يعرفون ماذا يحمل معه من مشاكل لمدينة تعيش بالفعل في حالة رعب من داخلها ومن خارجها، ضمن واقع ينتشر فيه العنف والجريمة والثأر، واحتلال يخيّم على أطراف المدينة.

وعندما يحاول "ميم" العودة إلى منزل أسرته، يجد نفسه مطاردا مرة أخرى، من قبل الأشقياء الذين يحاولون النيل من حياته، فينتهي داخل سيارته، لكنه لا يصبح آمنا، فسرعان ما يجد نفسه محل شك من جانب عصابات تحتجز أطفالا قدموا من غزة تحت وطأة الظروف الحياتية الشاقة، بحثا عن أيّ عمل، فيقعون فريسة لتلك العصابات التي تستولي على أعضائهم الداخلية بعد إجراء عمليات جراحية لانتزاع تلك الأعضاء والمتاجرة بها.

أسلوب التداعي

يقوم بناء الفيلم على التداعيات الحرة، والانتقال بين الماضي والحاضر، وبين طبقات مختلفة، فهو ينتقل من الواقع الذي يبدو أقرب إلى عالم الأحلام والكوابيس، إلى استدعاء الذاكرة والتفتيش في داخلها، إلى محاولة العثور على حقيقة ما وقع في الماضي، من خلال كاميرا الفيديو التي تساهم أيضا، على نحو ما، في تكثيف إحساسنا باغتراب البطل عن واقعه: فالكاميرا تعزله تماما عن المحيط، ويصبح بحثه عن "الحقيقة" مرتبطا بإطار صغير هو إطار الصورة كما يراها من منظور الكاميرا.

❑ في «عرس الجليل» ينقب خليفي في الموروث ولكنه يعلي من شأن التراث

> في عام 1995 فاجأ ميشيل خليفي عشاق أفلامه بفيلم روائي طويل هو الأكثر طموحا خلال مسيرته كلها. إنه «حكاية الجواهر الثلاث» الذي عرض في مهرجان كان السينمائي. وفيه يتابع خليفي بحث طفل فلسطيني (12 سنة) من جيل الانتفاضة عن هويته، بين الواقع والأسطورة والحلم

وهو يسعى إلى دفع أقاربه: والدته وعمه وجيرانه، إلى الحديث عن الماضي، عمّا كان، وعمّا إذا كانوا مسؤولين، على نحو ما، عمّا حلّ من نكبة، أو عن تلك النظرة الأخرى، من الخارج، التي تحاسب أولئك الذين بقوا في الداخل الفلسطيني، بعد أن أصبح الوجود الإسرائيلي حقيقة خانقة، تساهم في زيادة "الاغتراب".

يقوم الفيلم على التلاعب بالزمن، وبالحدث، بحيث يستدرج المتفرج للولوج إلى "متاهة" لا تنتهي، فلقاءات البطل مع أمه تتداعى في مشاهد من نوع "الفلاش باك"، ويطرح "ميم" الكثير من التساؤلات التي لا يحصل أبدا على إجابات عنها: لماذا لم تقولوا لنا ماذا حدث؟

أين الخطأ فيما مررتم به في حياتكم؟ لماذا لم يطردوكم؟ لماذا بقيتم ولم تنزحوا مع النازحين؟ هل هناك عيب فيما حدث، أي في بقائكم؟

هذه اللحظات التي تعكس الشعور بالاغتراب، وتكثّف تمزّق الشخصية الرئيسية وحيرتها وشعورها الثقيل بالذنب، هي التي تجعل هذا الفيلم أحد أشجع الأفلام التي صنعها سينمائي فلسطيني في نقد الذات.

هذا "العذاب" الوجودي الذي يشيع في الفيلم طولا وعرضا، وهذا العالم المسدود دائما، هما ما يدفعان البطل إلى مزيد من التمرد والرفض للقيم العتيقة المستقرة. والتي يعتبر بعضها أيضا من "المقدس" أو "المسكوت عنه".

الأسطورة والتاريخ والتراث في «حكاية الجواهر الثلاث»

سياحة المغامرة في قمم الجبال العمانية

التسلق واقتفاء أثر الدروب القديمة رحلات لاكتشاف الطبيعة

من هنا مر العمانيون القدامى

تمثل مغامرات تسلق الجبال واقتفاء الدروب الجبلية فرصة لاستكشاف جماليات المخزون الجيولوجي الغني في سلطنة عمان ، حيث تمتاز السلاسل الجبلية من رأس مسندم في أقصى الشمال إلى رأس سمحان في أقصى الجنوب لمناظر طبيعية خلابة.

❑ **مسقط** – يقتفي السياح أثر الدروب القديمة التي خطا عليها الإنسان العماني قديما في تنقلاته وتجارته وحياته ومعيشته، يعتلي قمم الجبال حين لم تكن هناك عوائق تحول دون الوصول إلى أهدافه مختارا العودة تسلقا في بعض الأحيان، وتمتاز السلاسل الجبلية في سلطنة عمان من رأس مسندم في أقصى الشمال إلى رأس سمحان في أقصى الجنوب مليئة بالمسارات الجبلية القديمة التي خطها الإنسان العماني منذ القدم ولازالت تحافظ على ما تحويه من جماليات حاضرة لتحكي تفاصيل الذين مروا من هذه الدروب التي أصبحت مقصدا للسياح والمغامرين.

اتخذ العمانيون منذ القدم سلسلة الجبال الممتدة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال كسكن وملجأ يأوون إليه بماشيتهم وأيضا كدروب مختصرة بين القرى والمدن لقضاء شؤون حياتهم، كل هذا ترك أثره في تلك الجبال، لكنها أصبحت اليوم دروبا للسياحة والرياضة والمغامرة والاستكشاف من أجل التمتع بجمال البيئة.

وتصنّف المسارات الجبلية إلى نوعين منها المسارات الخاصة التي كان يرتادها الإنسان وهي الأكثر صعوبة لصلابة إنسان ذلك الزمان وبحثه عن أقصر المسافات للاتصال بين جهتين، أما النوع الثاني فهو مسارات الدواب أي التي كان يسلكها الإنسان حينما يتخذ من الدواب رفيقا لحمل الأمتعة، وهي الأسهل حيث أنها تمر بمسارات سهلة تستطيع أن تمرّ بها قوافل الحمير.

وتختلف هذه المسارات من مكان إلى آخر وذلك وفقاً لوعورة المنطقة الجبلية والمسافة التي تفصل بين نقطة البداية والنهاية، وأيضا من حيث فروقات الارتفاع، لذا يعد كل مسار رحلة مستقلة وكلما كان فرق الارتفاع أكبر كانت الصعوبة أكبر.

وقامت وزارة السياحة في سلطنة عمان بتوثيق المسارات الجبلية كمسارات سياحية وتهيئتها بالخرائط واللوائح والعلامات الدالة في بداية ونهاية كل مسار، وأيضا أبرز المعالم السياحية التي تمر بها هذه المسارات، وقد اشتغلت وزارة السياحة على 12 مسارا جبليا من أشهرها المسار الذي يمر بقرية "ساب بني خميس ومسارات تسمّى القنة وحيل سمد، ومسار من قرية وادي غول إلى الخطيم بوكلها في جبل شمس.

وينفرد جبل شمس الذي يرتفع إلى حوالي 3100 متر بتكوينات جيولوجية من أهمها وجود الفالق الصخري العظيم على جانب مسار الطريق الصاعد لقمته، والذي يعتبر ثاني أكبر فالق في العالم، وتنمو على الأجزاء المختلفة من الفالق الكثير من الأشجار البرية المختلفة مثل شجرة البوت والعلعلان والزيتون. وتعود تسميته لكون الشمس أول ما تشرق وآخر ما تغرب تُرى قريبة من قمته العالية.

وهناك مساران في الحجر الغربي والحجر الشرقي من وادي طيوي إلى وادي بني خالد وهو أطول مسار بطول 28 كيلومترا، وأيضا هناك مساران مشروعان في مسقط من حديقة ريام إلى سوق مطرح وأيضا في منطقة قنتب.

ويعتبر مسار جبل شمس الذي يمر بقرية ساب بني خميس من أشهر المسارات، نظرا لسهولة الوصول إليه، فمسافته معقولة وقصيرة وقد تستغرق الرحلة عبره 3 ساعات ونصف الساعة، ويمكن للسياح أن يسلكوه بصحبة أطفالهم، وفي نهايته يوجد مكان مخصص للتسلق لمن لا يرغب بالعودة من نفس المسار.

والباحثون عن المغامرة يختمون هذا المسار بالتسلق والذي يسمى "فيا فراتا" وهو عبارة عن مسار تسلق مجهز بكابل وما على السائح سوى إحضار أدواته الشخصية لمغامرة تسلق شيقة.

ولا بد من أخذ الاحتياطات بإعلام أحد الأصدقاء بموعد الذهاب والعودة من الرحلة والتأكد من أحوال الطقس قبل بداية الرحلة التي من المفضل أن تكون عند طلوع الفجر، إضافة إلى التزود بكميات كافية من الطعام والماء، وحبوب تعقيم المياه للتقليل من كمية المياه التي يجب حملها مع التزود بأكياس عازلة للماء وملابس جافة إضافية وهاتف يعمل بالأقمار الصناعية.

ويوجد في سلطنة عمان عدد من مواقع التسلق، فهناك ما هو ممهد من المسارات وهناك ما هو شديد الوعورة، فرياضة تسلق الجبال والمرتفعات من الرياضات التي تلقى إعجابا وممارسة من السياح الشغوفين بدراسة التكوينات الجبلية والألوان الزاهية للجبال والصخور مع الاستمتاع بمناظر الطبيعة وشلالات المياه وخريرها بين الصخور.

وتوجد في السلطنة بعض الأودية التي يتطلب عبورها الالتجاء إلى سباحة حينا أو التسلق في بعض الأحيان.. ومن بين تلك المواقع جبل المشط الذي يعتبر الأمثل للتسلق، حيث يملك واجهة صخرية لعلها الأضخم في شبه الجزيرة العربية. فواجهته الجنوبية الشرقية تمتد لحوالي 6 كيلومترات، وترتفع إلى 850 مترا، موفرة مسالك من جميع المستويات.

ومن أبرز الأماكن التي يمكن ممارسة تسلق الجبال فيها منطقة بندر الخيران التي تقع على بعد 30 إلى40 دقيقة بالقارب من مرسى بندر الروضة للقوارب في قلب مدينة مسقط.

وتنتشر حول مسقط العديد من المرتفعات التي يمكن تسلقها، سواء كانت للمبتدئين أو لمحترفي هذه الرياضة، كما تنتشر في بندر الخيران الكثير من الشعب المرجانية والتي تأوي إليها العديد من الأحياء والأسماك المتنوعة، ولا يكاد يخلو المكان من الغواصين، حيث أنه قد تم إحصاء أكثر من 22 موقعا للغوص بها، ولكل موقع سحره وجماله.

وتعتبر منطقة بندر الخيران من البيئات المميّزة جيولوجيا، حيث تشكل منطقة مصاطب للأودية وتشكل ساحلا صخريا تتخلله عدة جزر وخلجان رائعة، وتتميّز بوجود عدة أنواع من الصخور تكوّن الجبال المحيطة. وفي هذه المنطقة توجد ثلاثة أنواع من الصخور، فالجزيرة التي تقع في عرض البحر تتكوّن من صخور الحجر الجيري المتكوّن في العصر الثلاثي أي قبل ما يقارب 50 مليون سنة.

ويمكن ملاحظة الصخور القريبة والتي تكونت قبل ما يقارب 250 مليون سنة من الحجر الجيري الطيني ذي اللون الأصفر بتداخلات طبقية من الحجر الجيري الأسود، وخلف هذه السلسلة يمكن مشاهدة صخور الدولومايت التي تكونت خلال العصر الترياسي أي قبل ما يقارب 240 مليون سنة.

وقد تكونت هذه الصخور عبر الحقب الجيولوجية المختلفة في قاع المحيط وقد ظهرت على السطح بفعل حركة الصفائح التكتونية. وتتميز محافظة مسندم بالعديد من الارتفاعات الجبلية، ويتمتع الزائر بمشاهدة الجبال الصخرية والبيوت الصغيرة المطلة مباشرة على البحر.

وهناك أيضا العديد من الأودية مثل وادي بني عوف في محافظة جنوب الباطنة الذي يمتاز بطرقه الملتوية والمعلقة على الجبال، ووادي غول في محافظة الداخلية الذي يقع على ارتفاع 300 متر ويوفر فرصا مثالية للتسلق، بالإضافة إلى المسارات الجبلية الموجودة بتلك المنطقة، وأيضا نجد وادي تعب الذي يستدعي النزول لـ500 متر باستخدام الحبال، وكذلك وادي النخر عند القرية التي تحمل الاسم نفسه على ارتفاع حوالي 1000 متر.

وهناك وادي الحيل أحد الفروع الرئيسية لوادي العربيين الذي يبدأ وينتهي عند قرية السويح في رحلة قد تتطلب تسلق الجانب الأيمن للوادي فيما تكون السباحة أسهل في الجانب الأيسر، وأيضا هناك وادي الهجري الذي يضم نزلات تصل أقصاها إلى 120 مترا.

وأيضا هناك وادي الميح حيث يمكن بدء الرحلة الجيولوجية منه بدخوله من جهة الجنوب الغربي على طريق ولاية قريات، ومن ثم إنهاء الرحلة بالخروج من جهة قرية البستان في الشمال. وبالإمكان دمج هذه الرحلة مع مسار الخيران الجيولوجي لتشكل رحلة جيولوجية ليوم واحد. كما يمنح المسار الجيولوجي بولاية مطرح فرصة لاستكشاف الممشى الجبلي المطل على المناظر الخلابة لجبال الأوفيوليت التي تعانق بحر عمان.

وفي الجبل الأسود ووادي مجلاص يمكن استكشاف التراث الجيولوجي وجمال الطبيعة في الجزء الجنوبي الشرقي من العاصمة مسقط.

3100
متر ارتفاع جبل شمس المنفرد بتكوينات جيولوجية منها الفالق الصخري العظيم على مسار الطريق إلى قمته

> التجول وتسلق الجبال الممتدة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال يمثلان فرصة لاستكشاف جماليات التراث الجيولوجي الغني بالسلطنة واستكشاف جماليات التكوينات الصخرية وأنواع الأشجار والنباتات الجبلية المختلفة

من لم يعش المغامرة لا يعرف متعتها

■ أخبار سياحية

◄ دبي تستضيف معرضا عالميا للقوارب

■ سلطة مدينة دبي الملاحية تؤكد رعايتها ومشاركتها في مؤتمر الشرق الأوسط لليخوت 2016 الذي سينعقد يوم الاثنين 29 فبراير إيذانا بانطلاقة فعاليات معرض دبي العالمي للقوارب بوصفه الحدث الأكبر من نوعه المتخصص في مجال الترفيه البحري في المنطقة.

وستتمحور دورة العام من "مؤتمر الشرق الأوسط لليخوت" التي تنعقد ضمن فعاليات المعرض بعنوان "الاستثمار من أجل المستقبل.. تحديد الاستراتيجيات المستقبلية" حول أهم القضايا والجوانب المتعلقة بمشاريع الواجهات البحرية في المنطقة والقوانين البحرية المعمول بها، مع التركيز بشكل خاص على قطاع صناعة اليخوت المتنامي في منطقة الشرق الأوسط.

◄ متاعب جديدة للسياحة الجزائرية

■ وكالات سياحية جزائرية ترى أن أيّ تدخل عسكري محتمل في ليبيا سيقضي على السياحة في بلادها، خاصة في المناطق الصحراوية بسبب تزايد المخاوف من هجمات إرهابية يتعرض لها السياح في الجنوب.

وتوقعت وزارة السياحة استقبال أكثر من 50 ألف سائح في الجنوب في الموسم الذي يمتد بين نوفمبر وأبريل، إلا أن الوكالات السياحية، التي تعوّل عليها السلطات لإنقاذ قطاع السياحة، قالت إن عدد السياح الأجانب الذين زاروا الصحراء الجزائرية لم يتعد 25 ألفاً، أي نصف العدد المتوقع.

◄ «الاقتصادية المميزة» درجة سفر جديدة

■ "أميركان آيرلاينز تعمل على إدخال درجة جديدة من الخدمة في وقت لاحق من العام الجاري للرحلات الدولية وهي درجة بين رجال الأعمال والاقتصادية. وسوف توفر الدرجة الاقتصادية المميزة مساحة أكبر للقدم، إضافة إلى مقاعد أوسع. وتقع الدرجة الجديدة مباشرة خلف درجة رجال الأعمال، وسيتمكن الركاب من حمل حقيبتين دون تكاليف.

ومن المنتظر أن يتم إطلاق الدرجة الاقتصادية المميزة تدريجياً في أواخر 2016 نظرا لأنه يجب إخضاع طائرات بوينج (9–787) لبعض التعديلات.

◄ معرض الرياض للسفر في أبريل القادم

■ شركة "أساس لتنظيم المعارض والمؤتمرات"، الشركة المنظمة لمعرض الرياض للسفر، تعلن أن نسخة دورة 2016 ستكون الأضخم في تاريخ المعرض الذي تنظم فعالياته من 12 إلى 15 أبريل، حيث سيضم ألمع رواد وصناع تجارة السفر في المملكة السعودية، بمشاركة أكثر من 240 عارضاً من الأسواق الإقليمية والعالمية، مع توقعات باستقطاب ما يزيد عن20 ألف زائر.

ويمثل جميع العارضين المشاركين 55 دولة، حيث سيكون لهم حضور مميز مع زيادة في مساحة المعرض بنسبة 11 بالمئة، مقارنة بالعام الفائت.

◄ السياح الخليجيون يتدفقون على أيرلندا

■ الرئيس التنفيذي لهيئة السياحة الأيرلندية يؤكد على نمو تدفق السياح الخليجيين إلى أيرلندا في 2015، حيث سجلت البلاد دخول 55 ألف سائح خليجي شكّل منهم السياح الإماراتيون نحو 20 بالمئة، متوقعا نمو السياحة الخليجية للبلاد بنسبة 10 بالمئة خلال العام الجاري، وذلك بهدف الإبقاء على معدل نمو مستقر للسياحة الخليجية لبلاده خلال السنوات الخمس القادمة.

وأشار إلى أن بلاده تسعى مع المملكة المتحدة لإصدار تأشيرة مشتركة تتيح للسياح زيارة كل من المملكة المتحدة وأيرلندا باستخدام تأشيرة مشتركة واحدة خلال العام الحالي.

الإقبال على الأجهزة القابلة للارتداء يزداد بوتيرة متسارعة

القراصنة يتربصون بالأحذية والساعات والملابس الذكية

تعد الأجهزة الذكية القابلة للارتداء من أحدث التقنيات التي جذبت اهتمام المستخدمين بشكل كبير خلال السّنوات الأخيرة الماضية، لكن نجاح هذه التقنية مرتبط بمدى مقاومتها لاختراقات القراصنة وحماية المعلومات التي يمكن أن تحتويها عن الأشخاص الذين يرتدونها.

الهاكرز والتطور التكنولوجي صراع متواصل

❏ **لندن** – توقّعت مؤسسة غارتنر العالمية للدراسات والأبحاث أن يتجاوز عدد الأجهزة الذكية خلال العام الجاري سقف 7.8 مليار جهاز بسبب النموّ المتسارع لها رغم المخاطر الأمنية المحيطة بهذه الأجهزة.

وأوضحت أنّ الأجهزة الذكية تشمل كلاّ من الأجهزة القابلة للارتداء والهواتف، والكمبيوترات اللوحية، والكمبيوترات الشخصية، التي ستنمو أيضا بوتيرة متسارعة لتصل إلى 8.3 مليار جهاز خلال عام 2018.

وأكدت الدراسة التي حملت هذه التوقعات أنه بحلول عام 2019، ستقوم 20 بالمئة من الأجهزة الشخصية بتسجيل عواطف وانفعالات المستخدم من أجل إنشاء استجابات فردية، أو حشد مصادر للتحليل من قبل النظام، حيث أنه بوجود الأجهزة القابلة للارتداء التي تعمل على تسجيل معدل ضربات القلب وضغط الدم وأنماط النوم وحساب عدد الخطوات، فإن عواطف وانفعالات المستخدم هي الوجهة المقبلة للأجهزة الشخصية، كما أن أكثر من 740 مليون جهاز قابل للارتداء سيوضع قيد الاستخدام خلال العام المقبل 2017، أي بزيادة قدرها 20 بالمئة عمّا يتم استخدمه خلال العام الجاري 2016، ومن المتوقع أن يصل عدد الأجهزة القابلة للارتداء قيد الاستخدام 1.1 مليار جهاز بحلول عام 2019 .

وبحسب تقرير تتبّع الأجهزة القابلة للارتداء في جميع أنحاء العالم، الذي أعدته شركة البيانات الدولية "آي دي سي"، قامت الشركات بشحن ما مجموعه 27.4 مليون وحدة خلال الربع الأخير من العام الفائت 2015، وبزيادة بلغت 126.9 بالمئة مقارنة بنفس المدة من العام 2014. وبالنسبة إلى العام 2015 كاملاً، بلغ إجمالي ما تم شحنه 78.1 مليون وحدة، وبزيادة قوية وصلت إلى 171.6 بالمئة مقارنة بالعام 2014.

وأشار رامون لامس، مدير البحوث لفريق التقنيات القابلة للارتداء لدى "آي دي سي"، إلى أن النمو ثلاثي الرقم يبرز الاهتمام المتزايد بسوق الأجهزة القابلة للارتداء من قبل كل من المستخدمين النهائيين والمورّدين.

ومن جانبه، قال جيتش أوبرانين، كبير المحللين لبحوث تتبع الأجهزة المحمولة لدى "آي دي سي"، "تلعب الموضة والتصميم دورا بنفس الأهمية في زيادة التبني (للتقنية)". وأضاف أن تشكيل شركات مع رموز الموضة من المشاهير، وهو الطريق الذي انتهجته آبل وفيتبيت، هو أكثر احتمالاً للنجاح.

ويمكن لهذه الأجهزة قياس العواطف والانفعالات باستخدام مزيج من أجهزة الاستشعار المختلفة، بما فيها أجهزة تسجيل الصوت، أو بالإمكان رصد العواطف والانفعالات البشرية وتحليلها عن طريق تسجيل تعابير الوجه بواسطة الفيديو أو الكاميرا الثابتة، أما أجهزة تتبّع الحالة الصحية واللياقة البدنية الشخصية فإنها ستتطور لتصبح أكثر دقة، ما سيتيح للأشخاص إمكانية تتبّع صحتهم البدنية والعقلية بدرجة أفضل، وفي الوقت نفسه، ستتمكن المؤسسات من تتبّع مستويات إجهاد أو تعب الموظفين الذين يعملون ضمن بيئات خطرة، أو الذين يحملون على عاتقهم المسؤوليات الجسام مثل مراقبي خطوط الحركة الجوية، واتخاذ التدابير الوقائية عند الضرورة.

> الموضة والتصميم يلعبان دورا بنفس أهمية الابتكارات التقنية في الترويج للملابس الذكية

وتظهر بيانات تقرير "آي دي سي"، بحسب عدد الشحنات خلال الربع الرابع من العام 2015، سيطرة شركة "فيتبيت" على السوق بعد شحن 8.1 مليون وحدة، تليها شركة آبل، التي لم تكشف رسميًا عن عدد شحناتها من ساعتها الذكية "آبل ووتش"، ولكن "آي دي سي" تقدر شحنات الشركة بـ4.1 مليون وحدة.

واشارت دراسة استقصائية حملت عنوان "إيقاد جذوة النمو في سوق التقنيات الاستهلاكية" مسحا لآراء 28 ألف مستهلك من 28 بلدا، ووجدت أن ما يقرب من نصف هؤلاء (47 بالمئة) يعدّون المخاوف الأمنية والمخاطر المتعلقة بالخصوصية أبرز ثلاثة عوائق أمام شراء جهاز أو خدمة يرتبطون بإنترنت الأشياء. وتشمل هذه الأجهزة الساعات الذكية، وأجهزة رصد اللياقة البدنية القابلة للارتداء، وأجهزة تنظيم الحرارة المنزلية الذكية، وغيرها.

ويظهر تقرير "آي دي سي" أن 69 بالمئة من المشاركين في الاستطلاع الذي نظمته الدراسة الاستقصائية التي أجرتها شركة "أكسنتشر"، ممن ذكروا أنهم إما يمتلكون أو يخططون لشراء جهاز متعلق بإنترنت الأشياء هذا العام، قالوا إنهم يدركون إمكانية اختراق هذه المنتجات، ما قد يؤدّي إلى سرقة بياناتهم أو إحداث أعطال في هذه الأجهزة.

وقرر أكثر من ثلث المستطلعة آراؤهم من مجموعة مستخدمي الأجهزة المتعلقة بإنترنت الأشياء أو من يخططون لشراء واحد في العام المقبل، أن يكونوا أكثر حذرا عند استخدام هذه الأجهزة والخدمات، بينما اختار 24 بالمئة منهم تأجيل شراء الجهاز المتعلق بإنترنت الأشياء أو الاشتراك في خدمة ذات صلة، فيما ذكر 18 بالمئة أنهم توقفوا عن استخدام هذه الأجهزة أو أنهوا اشتراكهم في هذه الخدمات إلى أن يتمكنوا من الحصول على ضمانات بزيادة مستوى الأمن عند استخدامها.

وتسلط الدراسة الضوء على تباطؤ الطلب على الأجهزة التقنية الاستهلاكية التقليدية، إذ قال أقل من نصف من شملهم الاستطلاع (48 بالمئة) إنهم يعتزمون شراء الهاتف الذكي هذا العام، وذلك بانخفاض ست نقاط من نسبة 54 بالمئة من الذين قالوا في استطلاع العام الماضي إنهم يخططون لشراء أحد الهواتف الذكية في السنة المقبلة. وفي سياق متصل، فإن عدد الأشخاص الذين قالوا إنهم يخططون لشراء جهاز تلفزيون جديد أو جهاز كمبيوتر لوحي هذا العام (30 بالمئة و29 بالمئة على التوالي)، وانخفض أيضاً من 38 بالمئة لكلا النوعين من الأجهزة العام الماضي.

جديد التكنولوجيا

❏ آبل تخطط لدمج خدمتها للأوامر الصوتية "سيري" في أجهزة ماك، مع الإصدار الجديد من نظام تشغيلها المكتبي "آي أو إكس 10.12 بحلول الخريف المقبل، بعد إتاحتها كميزة أساسية في أجهزتها الأخرى مثل "آيفون" و"آيباد"، بالإضافة إلى إدراجها في "آبل واتش" و"آبل تي في" منذ العام الماضي. وتشير التوقعات إلى احتمال تقديم آبل لنسخة نظام تشغيلها المكتبي الجديد الذي يحمل الاسم الرمزي "فوجي" خلال مؤتمر المطورين السنوي الذي يعقد في حزيران المقبل.

❏ شركة "بريف سوفتوير" تطلق متصفح الويب خاصتها الذي يتيح للمستخدمين تصفح الإنترنت بدون إعلانات، مما يسمح بتحميل الصفحات بسرعة كبيرة، وذلك لنظامي التشغيل "آي أو إس" و"أندرويد"، رغم اعتراض شركة غوغل المالكة للأخير في البداية. وقد أصدرت الشركة متصفحها "بريف" لهواتف "آيفون" الذكية وكمبيوترات "آيباد" اللوحية، وبعد رفض غوغل التطبيق مرتين، تمكنت أخيرًا من نشره على متجر غوغل بلاي.

❏ مايكروسوفت تعلن عن إطلاق "هب كيبورد"، وهي لوحة مفاتيح جديدة لنظام التشغيل أندرويد، تقدم العديد من المزايا، بما في ذلك "الحافظة"، و"المستندات"، و"جهات الاتصال". وقالت شركة البرمجيات الأميركية إن "هب كيبورد"، وهي أحد منتجات "مرآب مايكروسوفت" وهو مشروع لشركة مايكروسوفت يحوّل أفكار موظفيها إلى منتجات حقيقية، تتيح للمستخدمين البقاء في السياق من خلال جلب المعلومات من مختلف الخدمات إلى متناول أيديهم.

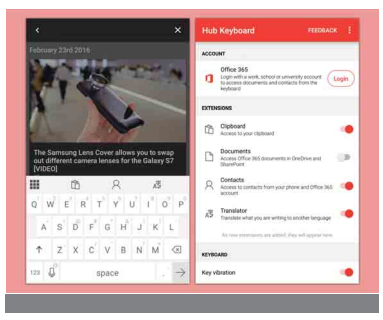

❏ غوغل تطلق تحديثًا جديدا لتطبيق يوتيوب على نظام التشغيل "آي أو إس" التابع لشركة آبل، يجلب معه عددا من المزايا، أبرزها إمكانية تشغيل الفيديو على الكمبيوتر اللوحي "آيباد برو" بالدقة الأصلية. وقبل التحديث الجديد كان تطبيق يوتيوب يعرض الفيديو حسب دقة كمبيوترات "آيباد" الأخرى، ما يعني أن "آيباد برو" كان يعرض الفيديو بدقة "آيباد أير"، على سبيل المثال، مع أن دقة الأول أعلى من الثاني.

❏ خدمة التراسل الفوري فايبر تطلق تحديثًا جديدًا للنسخة الخاصة بنظام التشغيل "آي أو إس" من تطبيقها، يجلب معه عددا من المزايا، أبرزها دعم ميزة "ثري دي تتش". الإصدار الجديد، الذي يحمل الرقم 5.8 من تطبيق فايبر على نظام "آي أو إس"، يدعم ميزة "ثري دي تتش" الموجودة في هاتفي "آيفون 6 إس" و"آيفون 6 إس بلس". وتتيح هذه الميزة لمستخدمي فايبر الوصول إلى عدد من الاختصارات من خلال الضغط المطوّل على أيقونة التطبيق على الشاشة الرئيسية.

اتجاهات جديدة في الهواتف الذكية لإرضاء المستهلكين

في المعارض السنوية للإلكترونيات الاستهلاكية غالبا ما يتم طرح العديد من المنتجات التكنولوجية المهمة والتي تشكل "بضاعة" ممتاز للعارضين، لكن يبقى للهواتف الخلوية الذكية السبق في السيطرة على الأجهزة الإلكترونية، خصوصا مع الصراع على طرح الجديد والأحدث في هذا المجال بين الشركات المتنافسة.

❏ **برشلونة** – عندما يرغب المستخدم في شراء هاتف ذكي أو كمبيوتر لوحي جديد فإنه عادة ما يبحث عن الموديلات التي تتمتع بمساحة تخزينية كبيرة وتمتاز بشاشة فائقة الوضوح وتزخر ببطارية تدوم لفترة طويلة، ولذلك جاءت معظم الموديلات التي ظهرت في مؤتمر الجوال العالمي بمدينة برشلونة الأسبانية، لتلبية هذه الرغبات فيما يتعلق بالبطارية والسعة التخزينية ودقة الكاميرا.

وأوضح تيم لوتر، من الرابطة الألمانية للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بالعاصمة برلين، أن فترة تشغيل البطارية في الموديلات الجديدة لا تزال مخيّبة للآمال، فعلى الرغم من قيام شركات الإلكترونيات بالتطوير المستمر للبطاريات، إلا أنها لا تزال بعيدة عمّا يريده المستهلكين.

وعلى الرغم من أن كل الأجهزة الجوالة تقريبا تشتمل حاليا على وضع توفير الطاقة أو وظائف الشحن السريع، إلا أنه يتعين على المستخدم شحن بطارية الهواتف الذكية أو الكمبيوترات اللوحية ذات الكفاءة العالية أو التي تستهلك قدرا كبيرا من الطاقة، كل يومين على الأقل.

وقد وفّرت بعض الشركات العالمية طريقة سهلة للمستخدم لحل مشكلة نفاد شحنة البطارية بسرعة، حيث قدمت شركة "إل جي" الكورية الجنوبية في هاتفها الذكي "جي 5" الجديد إمكانية استبدال البطارية فارغة الشحنة تماما بأخرى مشحونة بالكامل لمواصلة استعمال الجهاز الجوال.

ويبدو الوضع مختلفا تماما على صعيد السعة التخزينية بالأجهزة الجوالة الجديدة، حيث أصبحت الذاكرة سعة 8 غيغابايت من التجهيزات القياسية في الهواتف الذكية منخفضة التكلفة، وقد تصل هذه السعة إلى 16 غيغابايت في بعض الموديلات، كما أن سعة الذاكرة بالهواتف الذكية أصبحت تصل إلى 32 غيغابايت.

ومن ضمن الأمثلة على ذلك ما قدّمته شركة أركوس الفرنسية في هاتفها الذكي "ديامون 2 بلاس" الذي يحتوي على ذاكرة تقدر بـ64 غيغابايت، لتوفير مساحة كافية لتخزين ملفات الصور ومقاطع الفيديو. وسلكت نفس هذا الدرب العديد من شركات الإلكترونيات الأخرى مثل "هواوي" و"سوني" و"هاير" عن طريق استعمال بطاقة الذاكرة "أس دي" الخارجية.

وقد تتعرض شركة سامسونغ للعديد من الانتقادات بسبب السعة التخزينية المحدودة في هاتفها "غالاكسي أس 6"، ولذلك جاء الموديل الجديد مزودا بفتحة لتركيب بطاقة ذاكرة خارجية من أجل زيادة السعة التخزينية بالجهاز الجوال.

وقد شهدت كاميرات الأجهزة الجوالة التي ظهرت بمعرض برشلونة تطورا كبيرا، حتى أن الهواتف الذكية من الفئة المتوسطة تتمكن حاليا من التقاط صور فوتوغرافية بنفس جودة الكاميرات المدمجة.

الهواتف الذكية أكبر مجال يشهد تطورا في عالم الإلكترونيات

> ذاكرة الهواتف الذكية قد تصل سعتها إلى 16 غيغابايت في بعض الموديلات

وعمدت شركات الإلكترونيات إلى تطوير الكاميرات المتوافرة في هواتف الفئة الفاخرة، حيث قامت شركة سوني بتجهيز الهاتف الذكي "إكسبيريا إكس" بكاميرا تعمل بدقة 23 ميغابيكسل، حتى أن الكاميرا الأمامية التي يتم استعمالها لالتقاط صور السيلفي وإجراء دردشة الفيديو تأتي بدقة 13 ميغابيكسل، على نفس مستوى دقة الكاميرات الرئيسية في العديد من الموديلات المنافسة.

وبالإضافة إلى ذلك قامت شركة سامسونغ بترقية الكاميرا في هواتفها الذكية غالاكسي الجديدة، وعلى الرغم من أن دقة المستشعر تبلغ 12 ميغابيكسل، إلا أن نقطة الصورة أصبحت أكبر وأكثر حساسية للضوء. علاوة على أن فتحة العدسة توفّر المزيد من الضوء للمستشعر مقارنة بالموديل السابق.

ومن المفاهيم المثيرة أيضا ما قدمت شركة "إل جي" في هاتفها الذكي "جي 5" الجديد المزود باثنين من الكاميرات بدقة 16 و 8 ميغابيكسل مع زاوية واسعة هي 135 درجة، حيث يتم التحويل بينهما حسب موقف التسجيل.

وتمتاز معظم هواتف أندرويد التي ظهرت في معرض برشلونة بتوفير الوظائف باهظة التكلفة مثل مستشعرات بصمة الأصابع أو الكاميرات ذات الجودة الفائقة، ويلاحظ الزائر ندرة الموديلات ذات الشاشات المنحنية أو التي تتضمن شاشة أخرى على الجانب الخلفي، وقد يرجع ذلك لعدم اهتمام المستهلكين بهذه المفاهيم التصميمية.

البوكوا رياضة رسم الأحرف والأرقام بالرقص

تمارين تجمع بين الوثب والركض والركل والملاكمة والمشي

تشهد رياضة البوكوا رواجا كبيرا، في كل أنحاء العالم، وتقبل عليها جميع الفئات العمرية التي يمكنها تشارك نفس الحصص التدريبية في نفس الوقت وبنفس الحركات. وما يميز هذه الرياضة هو عدم تقيّدها بنمط محدد من التمارين التي ينبغي اتباعها في كل مرة وهي تتلخص في عملية تهجئة الاسم بالحروف الإنكليزية في شكل رقصات حماسية على إيقاع الموسيقى.

البوكوا تساعد على حرق نحو 1200 سعرة حرارية في الساعة

□ **لندن** – تعتبر رياضة البوكوا من آخر صرخات الموضة في ما يتعلق ببرامج اللياقة البدنية. وقد غزا هذا النوع من التمارين الولايات المتحدة ثم أوروبا ومنها انتقل إلى العالم العربي. ويبنى البرنامج أساسا على الحروف الأبجدية والأرقام حيث يقوم المشاركون باستهجائها بأقدامهم على صوت خفقان الموسيقى.

وبعد وصول البوكوا إلى كلّ من بريطانيا وهولندا بدأ برنامج البوكوا ينتشر في باقي أوروبا. وبدأت مجموعة من المنضمين إلى برنامج البوكوا مؤخّرا في التدريب باستخدام الحروف الأبجدية في مدرسة الرقص في مدينة فيرسين غربي ألمانيا.

ورسم مدرّب الرقص مايكل بينكه الخطوات على لوحات من الورق وعلّقها على الحائط لمساعدة طلابه. وقال: إنها سهلة للغاية في واقع الأمر، وقد تمّ حجز جميع الدورات التجريبية الأولى بأكملها. وأقبل عليها الكثير من الرجال. وأوضح أن البوكوا ليس ذا طبيعة أنثوية بحتة في واقع الأمر فهي تتضمّن الكثير من النشاط والحركة وتناسب الرجال أيضا.

والبوكوا خليط بين الملاكمة والرقص الأفريقي. وتقول المدربة سابينه نيسين "إن البوكوا تساعد على حرق نحو 1200 سعرة حرارية في الساعة". وتعد المدربة نيسين البالغة من العمر 32 عاما، واحدة من أوائل مدربي البوكوا في ألمانيا. وهي تقدم دورات في نادي اللياقة البدنية في دوسلدورف. ويقوم المشاركون بالرقص كما لو أنهم يقومون برسم الحروف والأرقام بأقدامهم، وهناك ستّة مستويات للتدريب لإتقان البرنامج مع أكثر من 50 من الرموز الفردية للرقص.

وانتشرت، مؤخرا، رياضة البوكوا، في لبنان. وقد ساهمت في انتشارها والتعريف بها في لبنان المدرّبة جوانا حجار سعادة، التي لقّبها مخترع البوكوا "بول مافي" بالبوكوا باست أي مدرّبة متخصّصة لتعليم البوكوا.

وتشير جوانا إلى أن رياضة البوكوا خليط بين الملاكمة والرقص الأفريقي وتساعد من يمارسها بالمحافظة على الرشاقة واللياقة البدنية. وأضافت "البوكوا تجمع بين الوثب والركض والركل والملاكمة والمشي وليست مقتصرة على الإناث فقط".

وأكدت جوانا حجار سعادة "هذه الرياضة البسيطة تفرض على ممارسيها أن يركّزوا على يدي بوضوح وألا يشيحوا النظر كي لا يفقدوا الخطوات؛ فمن خلال حركة بسيطة من يدي يقوم الرياضيون بتأدية الحرف أو الرقم المطلوب".

> تمارين البوكوا تساعد في تخسيس الوزن الزائد في حال اتباعها مع حمية لأنها تعزز القدرة على التحكم في الجوع

وتناسب البوكوا كل الأعمار وتعتبر اليوم أحدث روتينيات الرقص العالمية للحفاظ على اللياقة البدنية. كما تتميز البوكوا بأنها لا تحتوي على أيّ خطورة في تأدية الحركات. وأفادت البحوث أن التدريب على البوكوا لمدة ساعة، يفترض أن يحرق من 500 إلى 1200 سعرة حرارية بحسب كثافة تطبيق التمرين.

وبممارسة البوكوا بانتظام وبشكل دوري يمكن خفض معدل الدهون في الجسم وتحفيز معدل حرق السعرات وزيادة الكتلة العضلية. وتساهم تمارين هذه الرياضة في تخسيس الوزن الزائد في حال اتّباعه مع حمية لأنه يعزّز القدرة على التحكم في الجوع ورفع الروح المعنوية وخفض التوتر والسلوك العدواني. كما يساعد على الحياة بصحة أفضل، حيث يرفع معدل الكولسترول النافع في الدم ويرفع معدل هيموغلوبين الدم والوقاية من الأنيميا وزيادة وصول الأوكسجين للمخ وللرئتين. ويرفع القدرة على تحمل حرارة الجو أو برودته.

وتشبه البوكوا الأيروبيك، إلى حد كبير، غير أنها تختلف عنه في جزئية التقيد بحركات معينة، فهي مرتبطة أساسا بإشارات المدربين الذين يختارون عشوائيا أرقاما أو حروفا ينبغي على المتدربين رسمها بأجسادهم وفق حركات راقصة. وفي حال ممارسة هذه الرياضة في البيت، بشكل منفرد، تكون الحركات متناسقة مع ما يختاره الشخص لنفسه، عشوائيا.

وتندرج البوكوا ضمن التمارين الهوائية المنشطة للقلب والرئتين. وتتميز التمارين الهوائية كونها تحرق الدهون بشكل أسرع من أيّ نوع آخر من التمارين. وتعرف التمارين الهوائية بأنها تدريب بدني يجمع بين التمارين الإيقاعية مع شدّ العضلات وتمارين القوة لتحسين مكونات اللياقة البدنية (مثل المرونة وقوة العضلات ولياقة القلب والأوعية الدموية).

ووفقا لدراسة تشيلية، يقلل قضاء ثلاثة أشهر من الرياضة الهوائية، بشكل ملحوظ، من دهون الجسم المختزنة. ويعتقد باحثون في المستشفى الإكلينيكي في جامعة تشيلي في سنتياغو، بقيادة فيرونيكا أرايا، أن تغيّرات في الجهاز العصبي المركزي هي المسؤولة عن هذه التحوّلات الملموسة.

وسجّلت الدراسة انخفاضا في كميات تناول الطعام لدى المشاركين فيها، وتدني مؤشر كتلة الجسم (مؤشر النحافة والبدانة والسمنة) لهم، وهما مقياسان يستدل بهما على تدنّي كميات الشحوم في الجسم. وكان لكلا الانخفاضين صلة بازدياد مستويات بروتين يسمى «العامل العصبي المغذي، الناتج من المخ والذي يرمز له بـ"بي إن دي أف"، وهو مسؤول عصبيا عن تغذية الأنسجة وتمثيلها الغذائي. والدور الأساسي له هو تشجيع نمو الخلايا العصبية وديمومتها، وفقا لباحثة تشيلية تخمّن أنه ربما يكون قادرا على كبح الشهية.

وقاس باحثون كنديون مستويات "بي إن دي أف"، في الدم، قبل وبعد دورة من ثلاثة أشهر لتمرينات هوائية، ضمن برنامج شارك فيه 15 من الرّجال والنساء البدناء. وتراوحت أعمار الرجال السبعة والنساء الثماني في البرنامج بين 26 و51 سنة. وطلب الباحثون منهم تسجيل بيانات عن كميات السعرات الحرارية، كما طلب منهم الاستمرار في تناول الكميات المطلوبة منها. ولم يكن أحد من المشاركين يعلم أن تقييم كميات الغذاء المتناولة كان واحدا من أهداف الدراسة.

وفي نهاية الدراسة، لوحظ لدى المشاركين انخفاض في مؤشر كتلة الجسم، وفي مقاس طول الخصر، وفي ضغط الدم. وظهر أن المشاركين تناولوا كميات أقلّ من السعرات الحرارية مقارنة ببداية الدراسة. وازداد مستوى بروتين "بي إن دي أف" خلال الشهور الثلاثة من الدراسة بشكل كبير.

وقالت الباحثة أرايا إنه كلما انخفض وزن الجسم، وانخفضت كميات السعرات الحرارية المتناولة لدى أيّ مشارك، كلما زادت مستويات هذا البروتين. ولهذا فربما تكون الزيادة في "بي إن دي أف" هي التي تكبح الشهية. إلا أن الباحثة أكدت أمام الاجتماع السنوي التسعين لجمعية الغدد الصماء في سان فرانسيسكو، أنها لم تدرس مباشرة مسألة كبح الشهية.

وقال كريس سلينتز، الباحث الحائز على درجة الدكتوراه والاختصاصي في الطب الرياضي بالمركز الطبي بجامعة ديوك بمدينة دورهام بولاية نورث كارولينا "إذا ما كنت تعاني من زيادة الوزن أو البدانة إلى حدّ ما وتريد أن تتخلص من الدهون سواء كانت دهون البطن أو الأحشاء أو الكبد فإن تمارين الأيروبيك أفضل من تمارين المقاومة".

ونشرت الدراسة في المجلة الأميركية المتخصصة في علم وظائف الأعضاء والغدد الصماء والأيض.

ويدل هذا على أن التمارين الهوائية مثل الأيروبيك والبوكوا أكثر نجاعة في عملية التخسيس وتعزيز اللياقة المتوازنة من تمارين المقاومة.

وقام سلينتز وفريقه بتقسيم الرجال والنساء الذين تتراوح أعمارهم بين الـ18 و70 عاما إلى 3 مجموعات:

■ المجموعة الأولى هي مجموعة تمارين الأيروبيك وتضم الذين يمارسون المشي على جهاز للجري (دوّاسة كهربائية) موضوع على سطح منحدر. وحددت لهم مهمات خلال مدة أسبوع، تعادل الركض لمسافة 12 ميلا (19 كلم تقريبا) بحيث يصل معدل ضربات القلب لديهم إلى نسبة 80 بالمئة من الحد الأقصى لضربات القلب.

■ أما المجموعة الثانية فهي مجموعة تمارين المقاومة التي تمارس ثلاثة أنماط من التمارين على أجهزة رفع الأثقال من 8 إلى 12 مرة لثلاث مرات أسبوعيا.

■ وجمعت المجموعة الثالثة بين هذين النوعين من التمرينات.

واستمرت الدراسة على مدى 8 أشهر. وركز سلينتز على دهون الأحشاء، حيث أنها تقع في أعماق الجسم حول المعدة وتملأ المسافات الفارغة بين الأعضاء الداخلية. وكان ينظر إليها على أنها "دهون داخلية"، وهي مرتبطة باحتمالات كبيرة للإصابة بأمراض القلب والسكري وغيرها من المشاكل الصحية. كما أنها تختلف عن دهون ما تحت الجلد، التي تكون مسؤولة عن تراكم الدهون في المنطقة التي تقع أسفل الخصر مباشرة والتي تبرز عند ارتداء بنطلون أو تنورة ضيقة. وعلى الرغم من أن الكثير من دهون ما تحت الجلد ليست بالأمر الجيد، فإن الكثير من دهون الأحشاء أو دهون البطن الداخلية أخطر بكثير.

وقارن الباحثون النتائج قبل التمارين وبعدها وأعلنوا عن نتائج 144 رجلا وامرأة، تم تقسيمهم بالتساوي إلى ثلاث مجموعات.

وكانت المجموعة التي مارست التمارين الهوائية هي المجموعة التي تخلصت من أكبر قدر من دهون الأحشاء. وكذلك كانت المجموعة الثالثة التي جمعت بين التمرينين معا أكثر مجموعة تخلصت من كمية كبيرة من دهون البطن، حيث كان معدل التخلص من كل دهون البطن بالنسبة إليها أكبر من معدل المجموعة التي مارست تمارين الأيروبيك فقط، لكن معدل تخلصها من دهون الأحشاء أقل من معدل المجموعة التي مارست تمارين الأيروبيك فقط.

وكان أقل معدل تخلص من دهون البطن من نصيب المجموعة التي مارست تمارين المقاومة فقط. كما فقدت قدرا من دهون ما تحت الجلد لكنها اكتسبت قليلا من دهون الأحشاء.

وذكر سلينتز في معرض حديثه عن السبب وراء اعتبار تمارين الأيروبيك والبوكوا، التي تشبهها كثيرا، من أفضل التمارين للتخلص من دهون البطن هو أن هذه التمارين تساعد في حرق المزيد من السعرات الحرارية بصورة تفوق تمارين المقاومة حيث قال "أعتقد حقا أن هذا هو السبب وراء ذلك". كما كانت تمارين الأيروبيك أفضل من تمارين المقاومة في الحد من احتمالات الإصابة بمرض السكّري، مثل مقاومة الإنسولين وعوامل الإصابة بأمراض القلب.

تناول العدس يفقد الجسم عدة كيلوغرامات شهريا

□ **برلين** – يساعد العدس في خسارة الكثير من الوزن الزائد، عبر كبح جماح الشهية والتقليل من كمية السعرات الحرارية المستهلكة. فيحتوي الكوب الواحد من العدس المطبوخ على ما يقارب الـ230 سعرة حرارية. ويعد هذا الكوب غنيا جدا بالألياف والبروتينات التي تعزز من حالة الشبع وتؤخر الجوع لفترة طويلة من الوقت. ومن هذا المنطلق يشجع أخصائيو التغذية على إدخال العدس في الحميات.

ويحتوي الكوب الواحد من العدس على 35 بالمئة من احتياجات الجسم اليومية من الحديد، حيث أن نحو 20 بالمئة من الناس يعانون من مشكلة نقص الحديد في أجسامهم وفقاً لتامي لاكاتوس شيمز، مؤلفة كتاب "سر النحافة".

وتقول إنه عندما يكون هناك نقصاً في عنصر غذائي بالجسم فإن هذا يعمل على إبطاء التمثيل الغذائي.

ويمكن استبدال الأطعمة الغنية بالسعرات بالعدس، حيث أن شوربة العدس الأحمر أو الأصفر تحتوي على نحو 180 سعرة حرارية وواحد غرام من الدّهون و18 غراماً من البروتين. وعلى الرغم من أن العدس يحتوي على نسبة عالية من الكربوهيدرات، إلا أن 10 بالمئة فقط من السعرات الحرارية المكتسبة من العدس تأتي من السكريات البسيطة به.

ويحتل العدس المرتبة الثالثة في احتوائه على البروتينات والأحماض الأمينية من بين البقوليات الأخرى كالفول والحمّص وغيرها.

ويعد العدس كذلك مصدرا غنيا جدا بالألياف الغذائية غير القابلة للذوبان والمهمة جدا في تنظيم عمل الجهاز الهضمي وتسهيل الهضم والوقاية من الإمساك وأعراض القولون العصبي.

ويساعد العدس في خفض مستويات الكولسترول السيء ورفع الكولسترول الجيد في الجسم، وبالتالي فإن له دورا مهما في تعزيز صحة القلب والشرايين وتخفيف خطر الإصابة بالجلطات والسكتات الدماغية. وهو يعد مصدرا غنيا بالمغنيسيوم وحمض الفوليك المهمّين للغاية في تعزيز صحة القلب وحمايته.

وأثبتت الدراسات أن الحبوب، بشكل عام، مفيدة كثيرا لمرضى السكري لأنها تقلل امتصاص السكر في الأمعاء وتضبط مستوياته في الدم ومن هنا فقد يكون الغذاء المثالي لمرضى السكّري.

وأظهرت أحدث الأبحاث والدراسات في مجال التغذية أن إضافة العدس خصوصا، والبقوليات عموما، إلى الغذاء يحمي القلب ويقلل فرص تعرّضه للأزمات والمشكلات الصحية الخطيرة. فقد وجد الباحثون أن خطر إصابة الرجال والنساء الذين واظبوا على تناول البقوليات والعدس بالذات، لأربع مرّات أسبوعيا، بأمراض القلب التاجية على مدى19 عاما، كان أقل بنسبة 22 بالمئة، مقارنة بمن تناولوها لمرة واحدة في الأسبوع.

ولاحظ هؤلاء بعد إجراء الفحوصات الطبية على 9600 أميركي من الأصحاء غير المصابين بأمراض القلب، أن قراءات ضغط الدم والكوليسترول الكلي عند الأشخاص الذين يعشقون العدس والبقول، كانت أقل من مثيلاتها عند الآخرين.. ويعتبر العدس من أغنى البقوليات على الإطلاق في العناصر الغذائية، فهو يعادل اللحم من حيث القيمة الغذائية، بل يفوقه في بعض النواحي لأنّه يحتوي على مواد كربوهيدراتية وبروتينية وزلالية ودهنية أيضا. وهذه العناصر تجعل مقدارا من العدس لا يتجاوز 50 غراما يعطي 333 سعرة حرارية، لذا ينصح به كغذاء أساسي لمن يبذلون مجهودات عضلية شاقة.

> العدس يخفض مستويات الكولسترول السيء ويرفع الكولسترول الجيد في الجسم، وبالتالي له دور مهم في تعزيز صحة القلب والشرايين

الابتكار شعار المنتدى العالمي للمرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

تجارب المرأة في العالم تثبت قدراتها على الريادة إن ساندتها القوانين والتشريعات

احتضنت دولة الإمارات العربية المتحدة منتدى المرأة العالمي الذي انتظم على مدار يومين الأسبوع الماضي في دبي وهو أول منتدى عالمي يركز اهتمامه على المرأة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويجتمع فيه صناع القرار من مختلف القطاعات العامة والخاصة نساء ورجالا لتمكين وتشجيع مساهمة المرأة في قطاع الأعمال والمجتمع في العالم بناءً على شعار "لنبتكر" أي لنجعل المرأة مصدر الإلهام والابتكار والتطوّر في حياتها وفي مجتمعاتها.

العربيات.. تجارب ناجحة ومواهب واعدة

❑ **دبي** – هذا المنتدى انعقد بعد مرور أيام على تنصيب حكومة إماراتية تضمّ وزارات مستحدثة وعناصر نسائية جديدة، وفي قراءة لهذا التنصيب من ناحية نسوية يمكن أن نستنتج أن دولة الإمارات تسعى لفتح مجال المشاركة السياسية والمناصب العليا والمؤثرة في مؤسسات الدولة للمرأة مع تخصيص مساحات للإبداع والتنمية أمامها وهو تحفيز ليس فقط للإماراتيات بل للمرأة العربية عموما، وتأكيد على التوجه دولة الإمارات نحو مزيد من التمكين السياسي للنساء. وبالإضافة إلى البعد العالمي والتوجه السياسي نحو دعم النساء في مواقع القرار في الإمارات فإن المنتدى قدّم العديد من المحاضرات والنقاشات وورش العمل التي تطرح محاور معاصرة ذات علاقة بالمرأة ودورها في مواقع القرار تلك ألا وهي الإنجاز، والإبداع، والعطاء، والطاقة والاستدامة من خلال عرض تجارب وآراء لشخصيات إماراتية وأخرى دولية.

المرأة والابتكار

حملت دورة منتدى المرأة العالمي في دبي شعار "لنبتكر" وهو دعوة للابتكار ولمناقشة أبعاده في عصر التكنولوجيا. وتناول المنتدى دور المرأة المستدام في عالم اليوم السريع والمتغير، وذلك بهدف تعزيز تأثيرها على الصعيد العالمي، وتعظيم إسهاماتها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن إلهام الأجيال القادمة من النساء لتشارك بفاعلية من أجل بناء الأوطان. وتمّ خلال فعاليات المنتدى عرض تجارب النساء اللواتي لهن إنجازات وإسهامات في تنمية المجتمع، والنساء اللواتي أبدعن في حياتهن وعملهن، والنساء اللواتي فتحن الطريق للأجيال القادمة بعملهن في مجال الطاقة والاستدامة وفي قطاعات كانت تعتبر صعبة على المرأة أو خاصة بالرجال.

ويمكن للمرأة أن تكون مبتكرة ومبدعة في العديد من المجالات خاصة تلك المرتبطة بالعصر الراهن كالتكنولوجيات الحديثة والتنمية المستدامة والطاقة. وقد خصصت جلسات عديدة في الغرض منها جلسة تحت عنوان "المرأة وقطاع الطاقة" استعرض فيها المتحدثون تطلعاتهم لمستقبل صناعة الطاقة وكذلك قدموا حقائق واقعية ودراسات فيما يتعلق بمشاركة المرأة في الصناعات المرتبطة بالعلوم والتأثير الاقتصادي الإيجابي الناتج عن مشاركتها المهنية في هذا المجال.

وتناولت خولة المهيري نائب الرئيس لقطاع التسويق والاتصال المؤسسي في هيئة كهرباء ومياه دبي السبب الذي يجب أن يدفع النساء لعدم الشعور بالخجل من العمل في هذا المجال وقالت "يجب على المرأة المشاركة في هذا المجال بوصفها نصف هذا العالم وبالتالي فإنها تتأثر بشكل مباشر وكبير بالقضايا المتعلقة بالطاقة، وهي حينما تتولى الشؤون الأسرية ولا تتردد في اتخاذ قرارات هامة تتعلق بذلك يجب عليها أيضا وضع بصمتها في مكان العمل من خلال الدراسة والتدريب واقتناص الفرص المطروحة أمامها لتتمكن من الوصول لمناصب قيادية مؤثرة وتتساوى مع أقرانها من الذكور".

وأوضحت المهيري أهمية الشبكات النسائية وبالتحديد في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات كمحور أساسي للنهوض بمشاركة المرأة في الصناعات المرتبطة بالعلوم، مشيرة إلى أن تبادل المعرفة والإرشاد يعد من العوامل الأساسية التي تشجع المرأة وتزوّدها بالأدوات اللازمة لتحقيق نجاح مستدام وأن "التدخل المبكر" خلال الفترة التي تتشكل فيها شخصية الفتاة وخصوصا مرحلة الدراسة الثانوية والجامعية ضرورية أيضا لبناء بيئة تسهم في تحفيز وتمكين المرأة لاختيار المجالات المهنية المرتبطة بالعلوم في وقت مبكّر من مراحل حياتها.

من جهة أخرى قالت لوري إليزيت أخصائية تطوير الأعمال الجديدة بمجموعة أونجي في منطقة جنوب أفريقيا والشرق الأوسط وأفريقيا وعضو مجلس إدارة مجلس صناعات الطاقة النظيفة في الإمارات "لقد اخترت العمل في مجال الطاقة بصفتها جزءا أساسيا من حياتنا حيث تعتبر عنصرا محوريا في العلاقات الدولية بالإضافة إلى كونها إحدى الصناعات الرئيسية والحيوية التي تحرّك السياسة والاقتصادات والتغيير أو التطوير المجتمعي". أما فيما يخصّ التقاطع بين الابتكار ومواقع التواصل الاجتماعي كأحدث تقنيات الاتصال التي طغى اليوم استخدامها على غيرها من أدوات التواصل فقد استضاف تويتر شريك التواصل الاجتماعي في منتدى المرأة العالمي سلسة من ورش العمل والجلسات التدريبية المصممة خصيصا للمرأة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى جانب كشف مبادرته العالمية "موقع_القوة" التي تهدف إلى إشراك وتمكين المرأة في الإنترنت.

وصممت المبادرة لتقديم النصح وتعليم المرأة والمجتمعات التي لا تحظى بتمثيل واسع حول كيفية تعزيز دور المرأة والحفاظ عليه وحمايته على تويتر والعالم الرقمي ككل فضلا عن تزويد النساء بالأدوات اللازمة لإنشاء ملفاتهن الشخصية وتطوير هويّتهن الشخصية الملهمة على الإنترنت.

وقالت فريدريكا كوفينجتون مدير التسويق الدولي في "تويتر" سنغافورة "انطلق "موقع_القوة" في أستراليا وهو حركة عالمية تتمحور حول المرأة وتهدف إلى تعزيز دورها على تويتر واستنادا لنجاحها فقد حرص تويتر على توسيع انتشار هذه المبادرة في سبيل دعم وإلهام المؤسسات المختصة بالمرأة لتشجيع النساء حول العالم للتواصل من موقع قوة راسخ".

وقالت كيرا أوكونور مسؤولة السلامة والصحة المهنية في تويتر في منطقة أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا "في الوقت الذي نقول فيه بأننا نريد للمرأة أن تتواصل من موقع قوة فإننا نعني أن تتمكن من التواصل بكل ثقة.. نريد من المرأة أن تتحدث بصدق عن عالمها وأن تشاركنا بتجربتها وقضاياها بكل ثقة.. ومن جهتي فإنني أشجع المرأة لتشارك شغفها في مختلف المواضيع خاصة وأن الهدف من مثل هذه الجلسات هو توفير وسائل التواصل من موقع قوة للمرأة".

تجارب نسائية رائدة

سعى منتدى المرأة العالمي لتقديم تجارب نسائية ناجحة عساها تكون أمثلة يحتذى بها وتشكّل حوافز للفتيات والنساء نحو النجاح في حياتهن الشخصية والمهنية والوصول إلى مواقع ريادية في مجالاتهن. وقدّمت الجلسة النقاشية التي عقدت ضمن محور المواهب الواعدة في "الديسكفري" المساحة الفريدة للإبداع والابتكار في اجتماعات منتدى المرأة للاقتصاد والمجتمع كلّ من سارة الأميري قائد الفريق العلمي لمشروع الإمارات لاستكشاف المريخ في مركز محمد بن راشد للفضاء ورئيسة مجلس علماء الإمارات، وعائشة سعيد حارب أخصائية الاستثمار في المسؤولية الاجتماعية وأماني شاجره رئيس دائرة الدراسات والبحوث في المجلس الأعلى للمرأة في مملكة البحرين.

وألقى محور المواهب الواعدة الضوء على المواهب النسائية تحت سن الـ40 من مختلف قطاعات الأعمال، وخاصة النساء اللواتي أظهرن مهارات فريدة وشجاعة كبيرة على المستويين المهني والشخصي ولعبن دورا محفزا للتغيير ضمن شركاتهن ومجتمعاتهن. وقالت سارة الأميري "كنت محاطة طوال الوقت بأفراد عائلتي وفي مقدمتهم أمي وخالتي اللتان كانتا من النساء العاملات حيث تعلمت منهما أن التوفيق بين المسؤوليات المتعددة ليس بالأمر المستحيل سواء على المستوى الشخصي أو المهني ولذا كانتا دوما بمثابة قدوتي ومثلي الأعلى".

أما عائشة سعيد حارب أخصائية الاستثمار فقد قالت إن "المخاطرة تمتلك جانبا إيجابيا هاما جدا ودون المخاطرة لا يمكننا إتمام رحلتنا القيادية.. عندما قررت الانضمام إلى القوات المسلحة كنت أواجه أسئلة كثيرة حول الأسباب التي تدفعني للقيام بذلك كامرأة.. في الوقت الذي كنت أشغل فيه وظيفة جيدة. إلا أنني قرّرت أن أخوض غمار تحدّ جديد حيث أثبت قدرة المرأة على شغل أيّ دور تماما كما يفعل الرجل.. وكخريجة من الخدمة الوطنية أطمح دوما لفتح هذا الباب أمام النساء الأخريات".

من جانبها قالت أماني شاجره من مملكة البحرين "الرسالة التي أود أن أبعثها إلى كل النساء هي ألا يخفن من التغيير.. ومن جانبي فقد كان أكبر تغيير في حياتي هو أن قمت بتغيير تخصصي الجامعي في عام 2013 ومازلت على مقاعد الدراسة حتى الآن.. يتوجّب على كل النساء استثمار كل فرصة تتاح أمامهن وأن يبحثن عن تلك الفرص كذلك سواء في داخل بلداهن أو خارجها.. أدعو كل امرأة إلى أن تعزز ثقتها بنفسها وأن تكون جاهزة للمستقبل وأن تطور مهاراتها ومعارفها بأكبر قدر ممكن".

> سر النجاح ألا تدع المرأة أي أحد يقرر ما تستطيع فعله وما لا تستطيع، على النساء أن يظهرن للعالم أن هناك ما يمكن أن يقدّمن ويثبتن أنفسهن وأنهن أصبحن اليوم قادرات على التحدث عن أحلامهن وتطلعاتهن

وشارك في جلسات المواهب الواعدة كلّ من رها محرق، أول سعودية تتسلق قمة إيفرست، وإيمان بن شيبة مؤسسة ورئيسة تحرير المجلة الرقمية الإماراتية "سيل" وهند عبدالحميد صديقي المدير التنفيذي للتسويق في مجموعة صديقي القابضة وسارة العقروبي فنانة ومصممة غرافيك إماراتية. واستعرضت هذه المواهب قصص نجاحهن والأسرار الكامنة وراء النجاح المميز لكل منهن إضافة إلى التحديات التي تواجههن ومنظورهن للفشل.

وقالت رها محرق إنها تؤمن بأن "من أسرار النجاح ألا ندع أيّ أحد يقرّر ما نستطيع وما لا نستطيع فعله وعلى النساء أن يظهرن للعالم أن هناك ما يمكن أن يقدّمن ويثبتن أنفسهن لأنهن أصبحن اليوم قادرات على التحدث عن أحلامهن وتطلعاتهن".

وأشارت إلى تجربتها في تسلق قمة إيفرست والتحديات التي واجهتها لإقناع أسرتها والمجتمع من حولها لخوض هذه التجربة الفريدة.

من جانبها قالت سارة العقروبي "علينا أن ندرك بأن كلمة "لا" ليست خيارا وإلا فإنّنا سنقف مكاننا ولن يتغير شيء. وأنا أؤمن بأننا دوما قادرات على مواجهة التحديات فإذا اعتقدنا أنّنا لا نستطيع سيصبح ذلك بالنسبة إلينا حقيقة ثابتة لن تتغير.. إن الفشل ليس سوى منحنى نتعلم منه ويساعدنا في أن نكون أقوى".

وقالت إيمان بن شيبة إنه عندما بدأت في تأسيس المجلة أحست بأن هذا العمل هو ما ترغب في القيام به وبعد ذلك بدأت تخوض تجربة كانت مليئة بالإنجازات. وأشارت إلى أن الثورة التي حصلت في وسائل التواصل الاجتماعي ساهمت في دعم المرأة وإمكانية وصول أفكارها ومشاركتها مع المجتمع.. مؤكدة ضرورة أن يحظى القائد بشغف فيما يقوم به حتى يتمكن من قيادة فريقه نحو النجاح.

من جانبها أوضحت هند عبدالحميد صديقي أنه في كل مرحلة من مراحل حياة المرأة يكون هناك قدوة لها ومثال يحتذى به قادر على تشجيعها للمضي قدما.. مؤكدة ضرورة دعم وتحفيز الشخصيات النسائية لبعضها البعض وأهمية تغلب المرء على الشك بما يمكنه إنجازه والإيمان بقدراته وإمكانياته.

كريستين لاغارد: العمل النسائي يواجه قوانين تعوق تقدمه

❑ أكدت كريستين لاغارد المدير العام لصندوق النقد الدولي أن دولة الإمارات حققت العديد من النجاحات في مجال دعم وتمكين المرأة في مجالات كثيرة أبرزها الجانب المهني والتعليم وأن تجربة الإمارات في هذا المجال جديرة بالدراسة والتعميم على العديد من دول العالم التي يوصف بعضها بالمتقدم، مشيرة إلى الطفرة الكبيرة التي حقّقتها في مجال التعليم العالي للنساء حيث بلغت نسبة الخريجات 79 بالمئة من إجمالي الخريجين على مستوى الإمارات.

وأوضحت لاغارد أن العمل النسائي حول العالم يواجه تشريعات وقوانين تعوق تقدمه وأن 143 دولة تراعي حقوق المرأة بينما 90 بالمئة من دول العالم لديها سياسات تزيد الفجوة بين الجنسين في مختلف المجالات، ومنها على سبيل المثال التفرقة بين المرأة والرجل في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة وهو ما يدفع المنظمات الدولية إلى المزيد من العمل لتغيير تلك السياسات التي تحول دون تقدم المرأة حول العالم.

وتطرقت لاغارد إلى نماذج نسائية بذلت جهودا كبيرة من أجل بلادها مثل رئيسة جمهورية تشيلي السابقة التي عانت الكثير لتحسين اقتصاد بلادها وانتشاله من الأزمات الاقتصادية وتدشين البرامج الاجتماعية والصحية لتعود بعد ذلك إلى صفوف عامة الناس بعد أن بذلت كل ما في وسعها لصالح وطنها.. كما ذكرت قصة المزارعة المسنة مكسيمانا التي كانت تزرع الخضراوات في بيرو لتبيعها وترتزق منها هي وأسرتها في ظل ما تعانيه بلادها من ظروف قاسية.

ومن بين النماذج التي عاصرتها لاغارد وكانت لها بصمة واضحة في العمل الإنساني قرينة العاهل الأردني الملكة رانيا العبدالله حيث كان أول لقاء جمعهما داخل أحد مخيمات اللاجئين السوريين وهناك قابلت إحدى السوريات التي فقدت الكثير من أفراد أسرتها وطلبت منها العودة إلى ديارها ولكنها وبعد البحث عن بيتها لم تجد له أثرا، وهو ما يدفعها دائما إلى العمل من أجل عودة هذه المرأة ومثيلاتها من النساء والأسر التي شردت وخرجت من بلادها في ظل الحروب والأزمات .

كما أثنت على تجربة المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل كامرأة تخوض غمار الحياة السياسية بكلّ شجاعة وقوة وذكرت الجهود التي تقوم بها ميركل لا سيما في مجال توحيد المواقف الأوروبية ضد أزمة اللاجئين والعمل لأيام متواصلة خلال الأزمة الاقتصادية التي عصفت باقتصادات بعض الدول والبحث عن حلول تمنع التدهور الاقتصادي الأوروبي.

وحول قدوتها والنموذج الذي كان له التأثير الأقوى في حياتها، قالت كريستين لاغارد إن أمها هي قدوتها وأكثر شخصية أثّرت فيها، لكنها كانت غير متفهّمة لدورها حتى تزوّجت وأنجبت الأبناء لتشعر بحجم المسؤولية التي كانت ملقاة على عاتق والدتها، لا سيما في تربية الأبناء. كما اعتبرت إحدى النساء التي استقبلتها عند خوضها الحياة العملية في أحد مكاتب المحاماة، من بين الشخصيات المؤثرة في حياتها حيث كان ذلك منذ أكثر من 38 عاما، وكان العمل في تلك المهنة مقتصرا على الرجال.

الزواج المبكر يخرج القصر من سباق الترقي الاجتماعي

السن القانوني لتزويج الفتيات أقل من سن الفتيان

تركز أغلب الأبحاث الاجتماعية على تأثيرات ونتائج الزواج المبكر على الفتيات صغيرات السن، بينما تهمل عواقبه بالنسبة إلى الفتيان القصر وتأثيره على مستقبلهم وحياتهم، إما من ناحية مواصلة التعليم وإما من نوعية العمل الذي يختارونه لتأمين حياتهم والاضطلاع بمسؤولياتهم الاجتماعية والأسرية.

مغادرة المستقبل

□ **واشنطن** – يتمّ تزويج 39 ألف فتاة كل يوم تقريبا في مختلف أنحاء العالم بحسب ما كشفته إحصائيات منظمة الصحة العالمية في شهر يناير الماضي أي بما يعادل 14.2 مليون فتاة سنويا، حيث يحرمن من الاستمتاع بطفولتهن ومراهقتهن ليجدن أنفسهن في مواجهة الحياة الزوجية والمسؤوليات الأسرية والحمل والأمومة.

وغالبا ما يترتب عن الزواج المبكر ارتفاع معدلات وفيات الأمهات، ومعدلات الأمية في صفوفهن، وكذلك مواجهة مشاكل مثل الفقر والعنف بشكل يومي، هذا بجانب المعطيات العلمية والسوسيولوجية التي تفيد بأنه كلما كان سن الزواج أصغر كلما كانت احتمالات الفشل أكثر.

وعلى غرار الفتيات يتأثر الفتيان أيضا بالزواج في سن مبكرة، فغالبا ما يضطرون إلى ترك المدرسة والقبول بمهن وأعمال شاقة وزهيدة الأجر ليعولوا أسرهم الجديدة، في غياب اكتسابهم لمؤهلات علمية وخبرات تمكنهم من الحصول على وظائف أفضل وأكثر راحة. وهو ما يجعلهم يرزحون تحت وطأة وانعكاسات الفقر التي تلاحقهم باستمرار وتنغص حياتهم منذ أن كانوا أفرادا من أسر فقيرة زوّجتهم للتخلص من أعبائهم المادية.

في الواقع، هناك 156 مليون رجل اليوم من الذين تزوجوا في سن الطفولة، وفقا للبيانات الأخيرة لمنظمة اليونيسيف. وبالرغم من أن هذا الرقم يعتبر ضخما، إلا أن هناك بحوثا قليلة تعمل على معالجة مسألة زواج الذكور في سنّ مبكّرة، وهو ما يعني أن هناك عشرات الملايين من الفتيان والشبان لم تتطرق إليهم البحوث بالدراسة بعد، كي يتمّ العمل على التوقي من هذه الظاهرة بشكل فعّال.

وتقول جمعيات ومنظمات مدنية مهتمة بشأن الزواج المبكّر بالنسبة إلى الجنسين، إنّ هناك الكثير من الشبان الذين تزوّجوا في سنّ مبكّرة يشتكون من عدم حصولهم على وظائف جيدة بسبب زواجهم في سنّ الطفولة، وأنهم حرموا من تحصيل مستوى تعليمي مرموق أو حتى متوسط.

الزواج المبكّر في المجتمعات العربية وفي غيرها يكون في معظمه زواجا شكليا، ولكنّه يتسبب في مغادرة الفتيات لمقاعد الدراسة في سنّ مبكرة، إذ بعد سن البلوغ، أي في عمر الـ13 عاما، يتم تزويجهن وينتقلن إلى العيش في بيت أزواجهن وعادة ما يتوقفن عن مزاولة تعليمهن.

أعربت مجموعة من الخبراء في المنظمات الدولية العاملة في مجال مكافحة زواج الأطفال عن وجود فجوة معرفية حول قضية الزواج في سن مبكرة. وفي رسالة إلكترونية كتب جيفري إيديمدس، وهو خبير ديمغرافي واجتماعي في المركز الدولي للبحوث حول المرأة، "أعتقد أن هناك الكثير من الأسئلة المثيرة للاهتمام حول كيفية ترتيب الزواج، وخاصة زواج الأطفال وتأثيراته على العرسان. أنا لا أعرف أيا من البحوث التي ركزت بشكل خاص على هذا الموضوع .

156
مليون رجل تزوجوا في سن الطفولة، وفقا للبيانات الأخيرة لمنظمة اليونيسيف

وأوضح الخبراء أن الأولاد الذين يتزوّجون في سن مبكّرة لم يكتمل بناؤهم الجنسي بالقدر الكافي، وبالتالي لن يتمكنوا من جعل الفتيات حوامل، لكنّ الطلاق لا يضر الأزواج الذكور بقدر تهديده لمصير الفتيات وحياتهن الاجتماعية والشخصية.

وفي سياق موازٍ، فإن الزواج في سنّ مبكّرة له آثار مدمرة على الفتيات أكثر من الفتيان. وهناك تفاوت صارخ في القوانين، حيث يمكن تزويج الفتيات دون سن الـ15 عاما دون موافقتهن في 52 دولة، في حين أن نفس الأمر ينطبق على الفتيان في 23 بلدا فقط.

ويختلف السن القانوني للزواج من بلد إلى آخر، ودائما ما يكون سنّ الفتيات عند الزواج أقل من سنّ الفتيان. ففي جنوب آسيا، تزوجت 30 بالمئة من الفتيات في عمر ما بين 15 و19 عاما، في حين أن 5 بالمئة فقط من الأولاد تزوجوا في هذا العمر، فالفتيات غالبا ما يتم تزويجهن برجال كبار في السن.

ويرجّح علماء النفس أن الزواج المبكّر في البلدان النامية عموما يستند إلى أسباب لها علاقة بالطبيعة الثقافية والدينية وكذلك إلى ضرورات اقتصادية، ولكنها تخضع جميعها إلى فكرة أن الفتاة ليست إلا بضاعة يتم تبادلها.

أما بالنسبة إلى الأسر الفقيرة، فإن اللجوء إلى الزواج في سنّ مبكّرة لكلا الجنسين يعود إلى رغبة الأسر في التخلص من عبء تربية الطفل والإنفاق عليه في أقرب وقت ممكن.

وفي الحالات التي تشهد تزويج الأطفال في سنّ مبكّرة، غالبا ما يتوفر عامل مهم وهو غياب التعليم، إلى جانب الرغبة الملحة في إيجاد وسيلة للتخلص من الفقر.

وفي مسح أجراه المركز الدولي للبحوث حول المرأة في عام 2010، كشفت النتائج أن 71 بالمئة من الآباء زوجوا بناتهم وهنّ أميات، لم يتعلمن سوى أداء دورهن في المنزل.

> مسألة زواج الأطفال لا تحظى بالاهتمام في المجتمعات العربية ويتم تجاهل أسبابها والتعامل معها

وأكدت النتائج أيضا أن مسألة زواج الأطفال لا تحظى، رغم تجذّرها منذ عقود في ثقافة المجتمعات العربية، بالاهتمام بل ويتم تجاهل أسبابها والتعامل معها، وبالتالي يستمر تزويج الفتيات والفتيان في سنّ مبكّرة ليبلغ عددهم اليوم العديد من الملايين.

المجتمعات العربية بحاجة ماسة للنضال من أجل تكريس حقوق الطفل التي تحميه من التزويج قصرا وفي سنّ مبكّرة ومن أجل دعم هذه الحقوق بقوانين وتشريعات ردعية وعقابية تحض الآباء على تجنب تزويج أطفالهم لأسباب مادية أو اقتصادية أو اجتماعية، لا سيما وأن هؤلاء القصر سيكونون آباء وأمهات في المستقبل وسيؤسسون أسرا ويتحملون مسؤوليات إنجاب الأبناء وتربيتهم في حين أنهم مازالوا في سنّ الطفولة والمراهقة وفي حاجة لمن يعتني بهم ويحيطهم ويؤطرهم.

طبق اليوم

كزبرية السمك بالطماطم

* **المقادير:**
- 4 سمكات هامور متوسطة الحجم.
- 2 حبات بصل مفروم ناعما.
- ملعقة ونصف من الكزبرة الجافة.
- 1 ملعقة شاي من الكمون المطحون.
- نصف كوب من الزيت النباتي.
- 1 ملعقة من الفلفل.
- 1 ملعقة من الملح.
- ملعقة ونصف من مسحوق الثوم.
- 1 ملعقة صغيرة من البهارات المتنوعة.
- كوب من عصير الطماطم الطازجة.

* **طريقة التحضير:**

- تأكدي من أن السمك وقع تنظيفه جيدا من القشور والأحشاء.
- اغسلي السمك جيدا مع فركه بقشر الليمون، ثم أضيفي الملح والفلفل وافركيه بهما جيدا.
- غطي السمك بالطحين واتركيه جانبا.
- في وعاء عميق سخني الزيت، واقلي به السمك حتى يحمرّ قليلا، ثم ارفعيه من على النار وضعيه على منشفة خاصة لتمتص الزيت.
- في وعاء آخر قلّبي البصل مع الزيت ثم أضيفي الكزبرة الجافة والثوم واستمرّي بالتقليب حتى يبدأ البصل بالاحمرار.
- أضيفي إلى البصل عصير الطماطم وتبّلي الخليط برشّة ملح وملعقة البهارات.
- قلّبي الخليط مدة خمس دقائق عندما تبدأ الطماطم بالغليان واتركيها لمدة 5 دقائق أخرى على النار ثم ارفعيها.
- أشعلي الفرن على حرارة 180 درجة حتى يصبح ساخنا.
- في هذه الأثناء ضعي جزءا من الخليط في صينية الفرن، ثم ضعي فوقه السمك، وأعيدي سكب ما تبقى من الخليط فوق السمك وغطي الصينية بورق القصدير.
- أدخلي الصينية في الفرن لمدة 10 إلى 15 دقيقة، ثم ارفعي ورق القصدير وأعيدي الصينية لمدة 5 دقائق.

موضة

«زهرة الشوك» ميزة تصاميم جورج حبيقة لموسم 2016

□ عرض المصمم اللبناني جورج حبيقة مجموعة من الأزياء الراقية لربيع وصيف 2016 في ديكور مستوحى من عالم القصور الفخمة.

برع حبيقة في تقديم تصاميم غلب عليها طابع "الفينتيج" الذي يذكّر بموضة أربعينات وخمسينات القرن الماضي، بأسلوب عصريّ يرضي متطلبات نساء اليوم في التميّز بإطلالة راقية وأنيقة على السواء.

تحتفل هذه المجموعة الربيعية بالمرح وحبّ الحياة، وتجسّد من خلال "زهرة الشوك"، التي زيّنت الأزياء، قدرة الطبيعة على التجدّد ونشر رسالة الجمال في كلّ الاتجاهات.

تناسق الأزهار الربيعيّة التي تفتّحت على الأزياء مع أقمشة الشيفون والتول والدانتيل والحرير والساتان لافتة للانتباه بشكل صارخ، وحتى الحزام الرفيع الذي يتكرّر ظهوره دائما في تصاميم جورج حبيقة تخلّى عن عقدته الشهيرة ليتزيّن بزهرة متفتّحة.

"الكاب" من العناصر التي رافقت العديد من إطلالات هذه المجموعة وبأشكال مختلفة، مما أضاف لمسات من الفخامة على الأثواب الطويلة وحتى على "الجامبسوت"، ولكنه حافظ على شفافيته التي أضفت مزيدا من الأنوثة والرقة على الأزياء.

أثواب "الكوكتيل" القصيرة تزيّنت بالأزهار الكبيرة وتمّ تنسيقها مع أحذية مسطّحة تزيّنت بالبريق حينا وبالشرائط حينا آخر. كما تميزت فساتين السهرة بالمزج بين عدة أنواع من الأقمشة فيها بأسلوب متجدد نجح حبيقة في تنفيذه دون أن تبدو الإطلالات مثقلة أو متكلفة.

الإنسان وجه

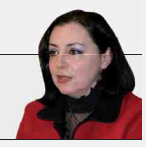

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

□ أمتلك شجاعة الاعتراف أن حالة من ضيق التنفس أصابتني وأنا أتابع برنامجا في إحدى الفضائيات العربية يقدم حواراً مع ثلاث سيدات مُنقبات، وصدقا لم أستطع أن أركز تماما على الحديث إذ أحسست أن جلّ اهتمامي منصبّ على النقاب كما لو أن جانبا في داخلي يستميت ليكشف ويتخيل شكل صاحبته.

بداية وبكل شفافية أعترف بحق كل إنسان أن يظهر بالمظهر الذي يريد وأحترم المحجّبات والمنقبات كما أحترم السافرات واللاتي يخترن كشف القليل أو الكثير من أجسادهن، فالإنسان حرُ بجسده والمهم الفعل وليس المظهر. ولكن من حقي كمشاهدة أن أطرح بعض التساؤلات. وأظن أن آلافا أو ملايين من المشاهدين يشاركونني الرّأي والتساؤلات. فهل يحق للمنقبة التي تؤمن أن النّقاب يقيها من إغواء الرجال الذين تختلط بهم وبأنها تطبق الشريعة الإسلامية، التي هناك مئة فهم وتفسير واختلاف حولها، أن تكحّل عينيها بطريقة بديعة فتبدو العينان ساحرتين بالرّموش الكثيفة بعد استعمال أجود أنواع الماسكارا، وبخط الكحل العريض الذي يُظهر جمال العين ويضفي سحرا وإغواء على النظرة!

هل يحق للمنقبة أن تظهر يديها الرشيقتين ومعصميها المزينين بحليّ أنيقة تتماوج حبّاتها الثمينة على رسغيها المكشوفين وهنا مضطرة لاستعمال عبارة (المعصمين العاريين) لأن الجسد كله متوار خلف ستارة سوداء.

هل يحق للمنقّبة أن تكشف لنا أظافر يديها –وغالبا رجليها– وقد بالغت في العناية بأظافرها وعملت "فرينش" ألا تعتبر هذه التفاصيل غواية. كنت طوال المقابلة مع المنقّبات الثلاث أتأمل بتعجب يزداد بالعيون المكحلة بإتقان وغواية لا تخفى والمعاصم الرشيقة المزينة بالحليّ وأظافر اليدين المُعتنى بها للغاية وأتساءل إن كانت الغواية تشع من الوجه فقط! ولم لا تشع من عينين مكحّلتين ومن معصم رشيق وأنامل تغوي بألف صورة وصورة! هل الوجه هو العورة وهو الغواية؟

إذا كان جواب المنقّبات نعم، فليتفضلن ويشرحن لي لم الكحل! الكحل الفاقع والصريح والمغوي –كما لو أن الجسد– هو مصدر غواية فقط! وأقولها بكل بساطة أنّ منظر العيون المكحّلة واليدين العاريتين الرشيقتين المزيّنتين بالحليّ بما تكشف حركاتهما عن سنتمتر أو عن 3 سنتمترات من الذراع لهو قمّة في الإغراء لأن عقل المشاهد رغما عنه سوف يلاحق لاهثا الشريط الضيق من الجسد المحجوب الذي يمكن أن يلتقطه بنظره فيما لو تململت المنقّبة في جلستها.

تحضرني الآن لقطة مشابهة بل أقوى مما ذكرته إذ حضرت منذ مدّة حوارا في برنامج أجري مع سيدة منقّبة مكحّلة العينين بالطريقة إياها ومنقّبة بالكاد نرى عينيها من شق النقاب وكانت خبيرة جنسية. وتحدثت بحرية مذهلة وبلا حدود عن الجنس وعن رغبات الرجل وبأنّ كل شيء مسموح بين الزوجين وبدا منظرها الغارق في السواد والمحجوب تماما عن المشاهد غريبا وصادما.

يومها خطر لي لو أنفجر بسؤال للسيدة ألك أن تشرحي لنا كيف سيرى هذا الرجل وجه المرأة المنقبة التي تقاسمه السرير أليس الإنسان وجها؟

أحسست حينها بأنّني مصعوقة من هذا الحوار، فالإنسان عبارة عن عورة لا غير. لم لا يكون المعصم الرشيق وأصابع القدمين واليدين غواية كالخد مثلا! أو كالأذن أو كالأسنان، من يحدد إن كانت أعضاء الجسد تضطلع بوظيفتها الإغواء أم لا؟ وأين مكامن الإغواء في الرجل! ألم يخلق الله الرجل والمرأة من الطينه ذاتها؟ فلماذا الرجل يُصوّر دوما كما لو أنه متعطّش لجسد المرأة ولا يستطيع التحكم في غرائزه وأنّ على المرأة أن تحاول حماية جسدها منه.

مع العلم أن الدراسات العلمية أثبتت أن الحسّ الجنسي للمرأة أقوى منه لدى الرجل، وأن سن اليأس الحقيقي يصيب الرجال فعلا أكثر من النساء، فلماذا لا تُحمى النساء من غواية الرجل سافر الوجه! وهل العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة بين ذكر وأنثى أم أن العلاقة هي في أساسها علاقة إنسانية نديّة تقوم على الاحترام والمشاركة والمودّة ولا تفصل بين روح وجسد ولا تعتبر أن الوجه عورة؟

ألم يؤكّد الطبّ النفسي أن أصل كلّ الأمراض النفسية الجنسية هو الكبت، ولا يمكنني أن أنسى أبدا حالة الشاب الذي التقيته في باريس في أحد أهم المشافي وهو من دولة عربية ثريّة جدا وكان ثريًا، ويُعالج من اكتئاب حاد بسبب إدمانه على العلاقات الجنسية الفوضوية التي يقوم بها والتي لا تترك في نفسه سوى المزيد من المرارة والوحدة والأهم الكبت.

وبرفقة أحد أصدقائي الأطباء النفسانيين الذي كان مشرفا على علاجه تجرأت وسألته لمَ لا تتزوج؟ وتردّد قبل أن يجيبني بصراحة احترمته عليها جدا لأنني من عمر ثلاث سنوات لم أعد ألعب مع الفتيات حتى أختي فصلوني عنها وكان عارا أن أراها تلبس ثيابها أمامي.

دمعت عيناه وقال المرأة وجه وأنا أجبرت ألا أتعامل مع وجهها. يا لروعة تلك العبارة التي لم تدرك عظمتها المرأة وجه، والإنسان وجه وليس عورة.

فرانشيسكو توتي

عرش «ملك» روما يهتز

العمالقة في انتظار قرار فرانشيسكو توتي القائد الأسطوري للذئاب

عدة أيام كانت كافية لحدوث الأمر الذي لم يكن متوقعا على الإطلاق، وهو نية قائد ورمز نادي روما التاريخي فرانشيسكو توتي الخروج من النادي العاصمي الإيطالي والقيام بتجربة خارجية.

□ **ميلان – لا يريد القائد الأسطوري لروما الإيطالي فرانشيسكو توتي صاحب الـ39 عاما أن يعتزل بعد، وبسبب خلافاته الأخيرة المحتدمة مع المدرب لوتشيانو سباليتي فإن هناك فرصة لكي تفشل محادثات الرئيس جيمس بالوتا مع توتي لتمديد عقده لعام آخر، وهي المحادثات التي ربما يكون قد تأخر وقتها كثيرا. وبذلك تكون هناك فرصة لأحد الفرق الصينية أو الإماراتية للتوقيع معه، وربما يقرر توتي كذلك خوض التجربة في الدوري الأميركي الممتاز، هذا القرار ربما يكون المنتظر من صاحب القميص رقم 10 وخاصة بعد تصريحات بالوتا الأخيرة عن دعمه الكامل للمدرب لوتشيانو سباليتي. وبات توتي عند مفترق طرق مصيري في مسيرته الكروية بعدما خسر "نزاله" مع مدرب الفريق.**

واستبعد سباليتي القائد الأسطوري عن الفريق قبيل المواجهة التي فاز بها على باليرمو بعد الانتقادات التي وجهها له توتي. وكان قرار سباليتي بعدما انتقده توتي (39 عاما). وقال توتي في المقابلة "أشعر بأنني ما زلت لاعب كرة قدم وأريد أن ألعب. إصابتي انتهت وأنا بحال جيدة، وإذا لم ألعب فإن الأمر مرتبط بخيار المدرب فقط".

وتابع "عقدي ينتهي في يونيو وسأرى ماذا يمكن أن يحدث لأنه لا يمكنني البقاء هكذا. أشعر بالضيق، وكذلك الأشخاص الذين حولي".

وأضاف توتي ردا على علاقته بالمدرب "علاقتي بسباليتي؟ أقول له مرحبا ومساء الخير، لكن يجب أن أحترمه كشخص وكمدرب. ولكن صحيح أنني كنت أفضّل أن لا يقول عني أمورا قرأتها في الصحف".

وأمضى توتي طوال مسيرته في صفوف روما، وبدأ مشواره معه في بطولة الدوري عام 1993، ولكنه لا يشارك كثيرا في هذه الفترة، وخصوصا منذ تولي سباليتي تدريب الفريق الشهر الماضي خلفا للفرنسي رودي غارسيا. واكتفى توتي بمتابعة فريقه من المدرجات التي هتفت باسمه "ري دي روما"، أي ملك روما، إلا أن ذلك لم يؤثر على سباليتي والفريق إذ أنجزا المهمة أمام باليرمو. ووجد سباليتي نفسه أمام وابل من الأسئلة بشأن قرار استبعاد توتي لكن المدرب الجديد-القديم لنادي العاصمة بدا حازما بتأكيده أنه لا يجب على أحد توقع "معاملة خاصة" منه، مضيفا "النادي تعاقد معي من أجل إعادة ترتيب الوضع في هذا الفريق. يتوجب عليّ اتخاذ القرارات المناسبة لمصلحة النادي".

وأضاف سباليتي "يتوجب عليّ تدريب هذا النادي ومعاملة الجميع على قدم المساواة. توتي هو القائد لكن ذلك لا يعني بأنه سيحظى بمعاملة خاصة. لا أتوقع أن يتحدث أيّ من لاعبي فريقي بهذه الطريقة عشية مباراة هامة جدا بالنسبة إلينا".

وواصل سباليتي الذي يأمل قيادة روما لاحتلال المركز الثالث المؤهل إلى دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل "إنه أعظم لاعب في تاريخ روما لكن من واجبي الحرص على وجود التوازن في غرفة الملابس".

شخصية مركزية

رغم اكتفائه بإحراز لقب الدوري مرّة واحدة عام 2001، يعتبر توتي من الشخصيات التي لا يمكن المساس بها في نادي العاصمة الذي يخوض معه موسمه الثالث والعشرين. لكن الإصابات التي لاحقته جعلته يفقد مكانه في التشكيلة الأساسية للفريق وهو لم يخض هذا الموسم سوى 5 مباريات. وهبّ مدرب روما السابق كارلو ماتزوني للدفاع عن القائد الأسطوري لنادي العاصمة، منتقدا سباليتي بالقول "ما قام به دمّر سمعة شخص استثنائي على الصعيدين الكروي والإنساني. أيّ مدرب يتمتع بالمنطق والشخصية المطلوبين لن يقوم بأمر مماثل. أشعر بالكثير من المرارة والخيبة".

وهيمن الإشكال بين سباليتي وتوتي على الصفحات الأولى للصحف وعلى عناوين النشرات الرياضية، واعتبرت صحيفة العاصمة "كوريير ديلو سبورت" أن استبعاد توتي يشكّل "إهانة للتاريخ"، فيما عنونت صحيفة ميلانو "غازيتا ديلو سبورت"إحدى صفحاتها بـ"نفي ملك روما". ولا يبدو أن المشكلة بين سباليتي وتوتي ستدوم طويلا. لكن على توتي أن يقرر الآن إذا ما كان يريد مواصلة اللعب أو استلام مهمة تدريبية في النادي، وهي الوظيفة التي ضمنها قبل حتى أن يعتزل.

"لقد سبق وتحدثت مع توتي بشأن عدة أدوار محتلمة لكن القرار منوط به وليس بي"، هذا ما قاله سباليتي، مشيرا إلى أنه عرض على "الملك" عدة خيارات ومن بينها منصب مساعد المدرب مثل الويلزي راين غيغز في مانشستر يونايتد الإنكليزي، أو منصب تنفيذي مثل ذلك الذي يتولاه النجم التشيكي السابق بافل ندفيد في يوفنتوس. وأضاف سباليتي "لقد سألته، هل تريد أن تكون مثل غيغز؟ أو تريد أن تكون مثل ندفيد؟ هل تريد مواصلة مسيرتك كلاعب؟ حسنا، لكن يجب عليك أن تعلم بأني لن أسدي لك أيّ خدمات!".

وقال ماورو بالديسوني المدير العام للنادي إن قرار سباليتي لا يعتبر عقوبة. وأضاف بالديسوني "اتخذ هذا القرار بعد وضع اللاعبين في الاعتبار وحالة القلق بالفريق عقب تصريحات توتي. قيّم المدرب حالة اللاعبين الذهنية، واضعا في اعتباره الفريق وشعور توتي بعدم الرضا أيضا". وتابع بالديسوني أن توتي سيناقش مستقبله مع رئيس النادي جيمس بالوتا. وذكر بالديسوني "تركنا هذه المسألة لرئيس النادي وفرانشيسكو لأنهما أفضل شخصين قادرين على الخروج بالحل الأمثل". ونقلت تصريحات لبالوتا، وهو رجل أعمال أميركي يرأس النادي منذ عام 2012، يقول فيها إنه يعتزم مقابلة لاعب كرة قدم خلال زيارته المقبلة لإيطاليا في مارس المقبل. وساندت جماهير نادي روما الإيطالي قائد الفريق توتي، في الأزمة المندلعة بينه وبين مدرب الفريق لوتشيانو سباليتي. وقدمت جماهير روما دعمها ومساندتها وأعلنت وقوفها بجانب اللاعب على طريقتها الخاصة، حيث حملت جماهير الفريق التي احتشدت في الملعب الأولمبي في العاصمة، القمصان التي تحمل الرقم 10 الذي يرتديه قائد الفريق توتي في إشارة لدعمها لهذا اللاعب، كما رفع بعض أنصار النادي لافتات دعم وتقدير لتوتي، وأعلنت من خلالها الوقوف بصف اللاعب ضد الإدارة والمدرب سباليتي.

> لا يبدو أن المشكلة بين سباليتي وتوتي ستدوم طويلا. لكن على توتي أن يقرر الآن إذا ما كان يريد مواصلة اللعب أو استلام مهمة تدريبية في النادي، وهي الوظيفة التي ضمنها قبل حتى أن يعتزل

على خطى الأساطير

يبدو أن ملك روما قد يتجه للرحيل عن بيته ليلعب آخر مواسمه في ناد آخر، على غرار 9 أساطير أنهت مسيرتها بعيدا عن أنديتها. أول هذه الأساطير كان راؤول غونزاليس الذي يعد أحد أبرز أساطير ريال مدريد، فضلا عن أنه من ناشئي الفريق، وكان لفترة قريبة الهداف التاريخي للملكي قبل أن يتخطاه كريستيانو رونالدو، ورحل "روح البلانكو" عن القلعة البيضاء في 2010 بعد 16 موسما في صفوف الفريق الأول ليتوجه نحو الدوري الألماني ومنه إلى السد القطري ثم نيويورك كوزموس الأميركي ولم يتمكن من إنهاء مسيرته في الميرينغي.

ولا يختلف وضع غوتي كثيرا عن راؤول، فقد تزامل الاثنان في مراحل الشباب وفي الفريق الأول ورحلا معا في 2010 بعد 16 عاما في قلعة السانتياغو برنابيو، ورحل غوتي إلى بيشكتاش التركي في 2010 ولعب له موسما واحدا قبل أن يعتزل كرة القدم.

كذلك لم يكن لامبارد من ناشئي تشيلسي، ولكنه أصبح من أبرز أساطيره بعدما قضى في النادي 13 موسما وشارك في 648 مباراة وسجل 211 هدفا ليصبح الهداف التاريخي للبلوز، ولم ينه اللاعب مسيرته في النادي اللندني بل انتقل لغريمه مانشستر سيتي لمدة موسم واحد قبل رحيله تجاه نيويورك سيتي الموسم الماضي.

ولن يتمكن جون تيري قائد البلوز ومعشوقهم، من إنهاء مشواره في قلعة ستامفورد بريدج بعدما أعلن تشيلسي أنه لن يجدد عقده الذي ينتهي هذا الموسم، وربما يكون عزاء مشجعي البلوز إعلان قائدهم أنه لن يلعب لأيّ ناد إنكليزي آخر.

ويذكر أن تيري كان ناشئا في وست هام قبل أن ينتقل لفريق الشباب في تشيلسي وتم تصعيده للفريق الأول في 1998 ولم ينتقل لأيّ ناد سوى نوتنغهام فورست على سبيل الإعارة لموسم واحد عام 2000.

ثم بالرغم من أن خاتمة مشوار تشافي هيرنانديز مع برشلونة كانت أسطورية وشهد التتويج بـ3 من 5 ألقاب حققها البلاوغرانا الموسم الماضي، إلا أنه غادر البارسا الذي لعب له إجماليا 21 موسما كناشئ ولاعب في الفريق الأول لينهي مسيرته في السد القطري.

كذلك كان إيكر كاسياس يرغب في أن يصبح ماديني الريال وأن ينهي مسيرته حيث بدأها، ولكنه لم يتمكن من تحقيق أمنيته وانتقل لبورتو البرتغالي بداية هذا الموسم بعد 17 موسما بقميص الريال في مختلف الفئات السنية.

ورحل أيقونة ليفربول ستيفين جيرارد عن الفريق نهاية الموسم الماضي ويلعب حاليا لفريق لوس أنجلوس غالاكسي الأميركي بعد 17 موسما في صفوف الفريق الأول بعد تصعيده من فريق الشباب، واختتم جيرارد مسيرته مع الريدز بخسارتين مؤلمتين في الدوري الإنكليزي الأولى 3–1 من كريستال بالاس وهي آخر مباراة له على ملعب الأنفيلد والثانية أمام ستوك سيتي 6–1 وهي آخر مباراة له بقميص الليفر.

وقضى أليساندرو ديل بييرو 19 عاما مع اليوفنتوس، ورافق الفريق في رحلة الهبوط للدرجة الثانية بعد فضيحة الكالتشيوبولي الشهيرة، ولكنه لم ينه مسيرته مع السيدة العجوز ورحل إلى سيدني الأسترالي، ولعب هناك موسمين من 2012 إلى 2014 ثم إلى نيودلهي دينامو الهندي ولعب له موسما واحدا قبل أن يعلن اعتزاله

في الأخير لعب ماسيمو أمبروسيني 18 موسما لميلان من 1995 حتى 2013، قبل أن ينتقل لفريق فيورنتينا وينهي مسيرته هناك في نهاية 2014.

توتي في سطور

□ **روما – ولد فرانشيسكو توتي في 27 سبتمبر 1976 بمدينة روما، لاعب كرة قدم يلعب في فريق روما الإيطالي. يستطيع اللعب كمهاجم أو وسط ملعب متقدم أو كمهاجم ثان. فرانشيسكو توتي لعب طوال مسيرته في نادي روما وهو اللاعب الأكثر لعبا في تاريخ النادي الإيطالي ويعتبر أحد أفضل لاعبي جيله، وسمّي ببليه توتي في الاتحاد الدولي لكرة القدم وقد تمّ اختيار فرانشيسكو توتي من قبل بيليه في قائمة الـ125 التي تمثل أعظم اللاعبين الأحياء وذلك في احتفال مرور 100 عام على تأسيس الاتحاد الدولي لكرة القدم حيث طلب من أندية عالمية ضم توتي كريال مدريد وبرشلونة الأسبانيين ومانشيستر يونايتد الإنكليزي ولكنه رفض حبا لنادي روما الإيطالي.**

توتي بدأ اللعب مع روما وهو في الـ13 عاما فقط ضمن فريق الناشئين بالنادي وتدرج في صفوف ناشئي روما متدربا تحت يدي العديد من المدربين الذين أشادوا به وبقدراته بشكل كبير. وكان الولد الصغير معجبا وقتها بالنجم الألماني رودي فولر وقائد الفريق الأول جيانيني حتى أنه كان يعلق له صورة كبيرة في غرفته. في عامه الـ14 حظي توتي وباقي فرق الناشئين بالنادي بفرصة مقابلة رئيس النادي دينو فيولا لتكريمهم نظرا لتحقيقهم نتائج طيبة في مسابقات الناشئين في إيطاليا. موسم 1993–1992 هو الموسم الذي لن يمحى من ذاكرة توتي حيث شهد المشاركة الأولى للاعب في الفريق الأول وكانت أمام نادي بريشيا في 28 مارس 1993 وانتهت بفوز روما بهدفين دون مقابل وكان اختياره لتمثيل الفريق الأول نتيجة قيادته لفريق الناشئين للفوز ببطولة الدوري والكأس الخاصة بالناشئين في إيطاليا وقد منحه المدرب بوسكوف تلك الفرصة وأشركه في مباراة أخرى لكنه لم يسجل أيضا.

ليفربول يواجه مانشستر سيتي في موقعة ساخنة لنهائي كأس الرابطة

يورغن كلوب يطمح لمعانقة التاج الأول مع «الريدز»

مما لا شكّ فيه أن أيّ مدرب يسعى لتحقيق أكبر عدد ممكن من الألقاب والتتويجات، خصوصا إذا كان ركبه قد حلّ جديدا على ناد ما، والأهم من ذلك إذا تعلّق الأمر بكرة القدم في إنكلترا التي ابتدعتها أصلا منذ عشرات العقود، ولجماهيرها شغف وولع كبيران برؤية فرقهم تخطف الأضواء وتحصد الكؤوس بين الفينة والأخرى.

❑ **لندن** – تتجه الأنظار، الأحد، إلى موقعة ملعب "ويمبلي" في إنكلترا بين فريقي مانشستر سيتي وليفربول في نهائي مسابقة كأس رابطة الأندية الإنكليزية المحترفة.

ويقف المدّ الأزرق السماوي عائقا بين المدرب الألماني يورغن كلوب ولقبه الأول مع ليفربول الذي مازال يتخبط، وأوضحت مبارياته الأخيرة تذبذب أدائه، وتواصل بحث المدير الفني للفريق عن التشكيل الأمثل القادر على الإطاحة بأيّ ناد مهما كان الظرف.

وترتدي هذه المواجهة أهمية كبرى للفريقين لأن ليفربول يسعى إلى إنقاذ موسمه المحلي بعدما ودّع مسابقة الكأس وفقد الأمل بالمنافسة على لقب الدوري الممتاز، فيما يبحث مانشستر سيتي بدوره على ضمان لقب قد يكون الوحيد له أيضا هذا الموسم في ظل المنافسة المحتدمة على لقب الدوري مع ليستر سيتي وأرسنال وتوتنهام، حيث يحتل "السيتيزينس" حاليا المركز الرابع بفارق ست نقاط عن ليستر المتصدر، لكنه يملك مباراة مؤجلة.

ويدخل سيتي إلى هذا اللقاء باحثا عن تناسي الهزيمة المذلة التي منى بها الأحد الماضي أمام تشلسي (5/1) في الدور ثمن النهائي من مسابقة الكأس، وعن ضمان حصول مدربه التشيلي مانويل بيليغريني على لقب قبل أن يودّع الفريق الصيف الماضي من أجل إفساح المجال أمام قدوم الأسباني جوسيب غواريديولا.

وتتقاطع أهداف المدربين لأن كلوب الذي استلم مهمته قبل خمسة شهور يبحث عن لقبه الأول مع "الحمر"، وبيليغريني يسعى إلى توديع النادي بلقب قد يكون الأخير، إلاّ في حال حقق المفاجأة وتوّج بلقب دوري أبطال أوروبا أو تفوّق على ليستر وأرسنال وتوتنهام وتوّج بطلا للدوري.

ويعتبر سيتي المرشح الأوفر حظا على الورق لإحراز اللقب للمرة الرابعة في تاريخه من أصل 5 مباريات نهائية (بعد أعوام 1970 و1976 و2014)، لكن القائد السابق لليفربول ستيفن جيرارد يرى بأن كلوب يملك الخبرة اللازمة لقيادة "الحمر" إلى تعزيز الرقم القياسي وإحراز لقبهم التاسع في المسابقة (آخرها عام 2012)، بعدما قاد فريقه السابق بوروسيا دورتموند الألماني لإحراز خمسة ألقاب.

وقال الممرن الألماني المخضرم "لست متأكدا من أني الشخص الذي يشكل الفارق، لكني أعرف الطريق للفوز ولا يوجد في الوقت الحالي أيّ سبب على الإطلاق للتشكيك بأنفسنا".

وأكد كلوب "إننا نقوم بهذا العمل في كرة القدم الاحترافية من أجل الفوز بالألقاب، الكؤوس، بأيّ شيء"، مضيفا "الكثير من المدربين يعملون طيلة حياتهم وبإمكانهم أن يكونوا ناجحين، لكنهم لم يحظوا يوما بفرصة الفوز بشيء ما".

ويتخلف ليفربول بفارق 9 نقاط عن مانشستر سيتي، صاحب المركز الرابع الأخير المؤهل إلى دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل مع مباراة مؤجلة لمنافسه، ما يعني أنه فقد الأمل منطقيا بأن يكون موجودا في المسابقة القارية الأهم، إلا من خلال إحراز لقب الدوري الأوروبي "يوروبا ليغ"، لكن شاءت الصدف أن تضعه قرعة الدور ثمن النهائي بمواجهة غريمه الأزلي مانشستر يونايتد.

ويأمل ليفربول أن يخرج فائزا مجددا بمواجهة سيتي الذي مني بهزيمة مذلة على أرضه (4/1) في المواجهة الأخيرة التي جمعت الفريقين في الدوري خلال شهر نوفمبر الماضي.

وتلقى الفريقان دفعا معنويا هاما قبل المواجهة الساخنة، إذ استعاد سيتي خدمات قائده ومدافعه البلجيكي فنسان كومباني ولاعب وسطه المهاجم الأسباني دافيد سيلفا، فيما عاد إلى ليفربول قائده جوردن هندرسون ومهاجمه دانيال ستاريدج.

> الأسبقية التاريخية ترجح كافة المد الأحمر لكتيبة المدرب الألماني يورغن كلوب، غير أن العروض القوية الأخيرة لزملاء المهاجم سيرجيو أغويرو الأرجنتيني تجعلهم أوفر حظا للفوز

من سيعلن الفرح

كما بإمكان كلوب الاعتماد على المدافعين السلوفاكي مارتن سكرتل والكرواتي ديان لوفرن اللذين استعادا كامل لياقتهما البدنية، كما حال الفرنسي مامادو ساكو والعاجي كولو توريه ولاعب الوسط البرازيلي لوكاس ليفا.

ويمكن للمدرب التشيلي للأزرق اللندني الاعتماد مجددا على الفرنسي إيلياكيم مانغالا والأسباني خيسوس نافاس والعاجي ويلفريد بوني، فيما من المتوقع أن يشارك الحارس الأرجنتيني ويلي كاباييرو على حساب جو هارت.

وأعرب المدير الفني للمان سيتي عن دعمه اللامحدود ووقوفه الدائم إلى جانب لاعبه رحيم سترلينغ، قبل مواجهة فريقه السابق ليفربول، خصوصا عقب صافرات الاستهجان التي يتعرض لها لاعب "الريدز" سابقا والذي كان محبوب الجماهير هناك دون منازع.

وأصبح سترلينغ مكروها بين جماهير ليفربول بعدما غادر النادي الصيف الماضي إلى واحد من أثرى فرق العاصمة لندن، في صفقة قياسية كلفت خزائن "السيتيزينس" 49 مليون جنيه إسترليني بالتمام والكمال.

ودافع بيليغريني بشدة عن اللاعب الدولي الإنكليزي وطلب منه عدم الاكتراث لما يقوله الجمهور، معتبرا أن سترلينغ من أسرع وأفضل المهاجمين في إنكلترا في الوقت الراهن، وأن مردوده يتطور بصفة ملحوظة.

وأشاد الممرن التشيلي بسعادة إدارة مانشستر سيتي بضم لاعب في قيمة رحيم سترلينغ، وأن مستقبله الكروي مضمون قياسا بالمهارات الفنية والحضور الذهني والتكتيكي الذي يمكّنه من اللعب في أقوى الأندية في القارة العجوز.

رابط الدم يجذب محرز نحو القلعة البيضاء

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ الحديث عن منافسات الدوري الإنكليزي تجرّنا حتما للحديث الدائم والمستمر عن النجّاح اللافت والباهر الذي حققه إلى حد الآن فريق ليستر سيتي، هذا الفريق الذي كسر كل القواعد وتجاوز كل النواميس المتعلقة بكرة القدم، إذ يبقى السؤال الملح دوما هو كيف لفريق مغمور نجا الموسم الماضي بمعجزة من تفادي الهبوط أن يكون "الحصان الأسود" في الدوري الإنكليزي، ويتربع على العرش لفترة طويلة للغاية متقدما على أعرق الأندية في العالم؟

الإجابة لا تحتاج لاجتهاد كبير، وهي مرتبطة أساسا بنجاح المدرب الإيطالي كلاوديو رانييري في تكوين توليفة مبدعة من اللاعبين الخلاقين والمتكاملين والواعدين، على غرار جيمي فادري والجزائري رياض محرز.

حديثنا اليوم سيكون مركزا على هذا اللاعب الجزائري الذي نجح باقتدار في تسلق سلّم المجد وبلغ درجات مرموقة من التميز والرقي في مصاف النجوم العالمية، لكن الأهم من ذلك أن المستقبل ما زال أمامه، فعكس فاردي الذي بلغ من العمر 29 سنة ما يضعف حظوظه في مواصلة مسيرته بالتألق نفسه لسنوات طويلة، فإن الدولي الجزائري محرز احتفل منذ أيام قليلة بعيد ميلاده الخامس والعشرين، ما يعني بالضرورة أنه بمقدوره مواصلة اللعب في أعلى مستوى لخمس سنوات قادمة على أقل تقدير.

لن نضيف أيّ جديد عندما نقول إن محرز أدار الأعناق ونال أعلى درجات الإعجاب والتنويه منذ بداية الموسم بفضل أهدافه الرائعة والمؤثرة، وكذلك تمريراته المتقنة والفريدة التي استفاد منها فاردي على وجه الخصوص، لكن الأمر الذي يدعو حقا للفخر والاعتزاز بنجاح هذا الفتى العربي الشغوف والمتحمّس أنّه تمكّن بسرعة البرق أن يتسلق هذا السلّم، أي سلّم الشهرة والمجد واحتلّ مكانة ضمن أبرز اللاعبين الموهوبين في العالم.

قبل موسمين فقط، كان رياض لاعبا مغمورا في فريق لوهافر الفرنسي، تكبّد عناء البقاء في "عتمة" الأماكن الخلفية في الدوري الفرنسي، بما أنه لم يكن نجما أول في فريقه، الذي خيّر في نهاية المطاف "التخلص" منه بمجرد وصول عرض من فريق إنكليزي صعد لتوه إلى الدرجة الممتازة.

رياض قدّم الموسم الماضي أوراق اعتماده حيث لعب في عدد من المباريات، فحقق نجاحا نسبيا، وما ساعده في ذلك أنه كان لاعبا دوليا في صفوف منتخب بلاده، ومجرّد المشاركة في منافسات كأس العالم لسنة 2014 كانت بمثابة الطوق الذي يحميه ويساعده على التقدم نحو الأمام.

نعم لقد نجح "ثعلب" ليستر في التقدم، فأسرع هذا الموسم الخطى قبل أن يعدو بسرعة البرق نحو المقدمة، ليقدم نفسه كأبرز نجوم "البريميرليغ" والدوريات الأوروبية القوية.

وبما أن لكل مجتهد نصيب ولكل لاعب متألق ومتميز مكانة خاصة لدى الجميع، فإن رياض محرز بدأ منذ فترة في إغواء الأندية الأكثر عراقة وإغرائها بمهاراته العالية وسرعته الفائقة وانطلاقاته المنفردة.

لقد انتزع محرز اعتراف الجميع بموهبته الفذة، فلفت أنظار القوى التقليدية في إنكلترا وبات مطمعا وصيدا مقبلا لعدد من الفرق مثل أرسنال وتشيلسي، بل وبرشلونة الأسباني أيضا.

أجل، لقد تحدث إنريكي مدرب برشلونة قائلا إنه يخطط لتقوية صفوف فريقه بلاعبين موهوبين مثل نجم ليستر سيتي، كما أن الصحافة الأسبانية تحدثت بإسهاب عن صفقة منتظرة خلال الصائفة المقبلة ينضم بموجبها العربي رياض محرز إلى الكتيبة الكاتالونية.

ومع ذلك، قد تتغير المعطيات كليا خلال الفترة المقبلة بعد أن دخل مدرب ريال مدريد زين الدين زيدان على الخط، وأبلغ إدارة ناديه بأنه يرغب بشدة في التعاقد مع النجم الجزائري بعد أن تابعه في أكثر من مباراة، وأبدى اقتناعه الشديد بقدرة "محارب الصحراء" على تقديم الإضافة والنجاح مع النادي الملكي.

ربما هو رابط الدم الذي جعل محرز يثير إعجاب زيدان أكثر من غيره، فزيدان فرنسي الجنسية والهوية والمدريدي ارتباطا وانتماء، هو قبل كل شيء جزائري الأصول، وليس أفضل من الاعتماد على رابط الدم لبناء أسس النجاح والتألق في المستقبل.

محرز صرّح مؤخرا أن حلم الطفولة قد يتحقق يوما وهو اللعب والمنافسة في ملعب كامب نو أي معقل برشلونة، لكن قد تكون هذه المنافسة من بوابة الغريم الأزلي للفريق الكاتالوني.

وبين روابط الدم والأصول وحلم الطفولة فإن المسألة ستكون بلا شك رهينة عدة معطيات، أهمها جدية كل فريق في التعاقد مع هذا النجم الموهوب ومدى قدرته على الاندماج والانصهار ضمن منظومة الفريق المستقبلي لمحرز.

في هذه الزاوية يمكن التأكيد على أن الاحتراف يرتكز على حسن الاختيار والبحث في ظروف كل فريق، وقدرته على مزيد تطوير الموهبة ومنحها فرصة أكبر للتألق والبروز، وبما أن زيدان المدرب الذي كان في السابق لاعبا موهوبا ونجما لا يضاهى في حقبته، أي أنه يعرف أكثر من غيره كيفية توظيف مهارات اللاعبين الموهوبين، فإنه قد يكون الخيار الأفضل لابن العم رياض محرز الذي قد يدفعه رابط الدم دفعا إلى القلعة البيضاء.

الساحلي يتمسك بصدارة الدوري التونسي

❑ **تونس** – يتطلع النجم الرياضي الساحلي التونسي لمواصلة انتصاراته والتمسك بالصدارة، عندما يستضيف حمام الأنف في الجولة الـ18 من الدوري التونسي الممتاز لكرة القدم، الأحد.

ويواجه النجم الساحلي الساعي للتتويج باللقب بعد غياب تسع سنوات مقاومة شرسة على الصدارة من غريميه الصفاقسي والترجي المتربصين.

ويتصدر النجم الساحلي جدول الترتيب برصيد 44 نقطة، متقدما بفارق نقطة واحدة عن الصفاقسي الثاني ونقطتين عن الترجي صاحب المركز الثالث.

ويدرك النجم الساحلي أن أيّ نتيجة أخرى غير الانتصار على ضيفه جمام الأنف ستكلفه التنازل عن القمة، وستعقّد مهمته في سعيه من أجل التتويج باللقب الغائب عن خزائنه منذ عام 2007.

وبالتأكيد لن يقبل فريق المدرب فوزي البنزرتي الذي حقق 14 انتصارا مقابل تعادلين وهزيمة واحدة في الموسم الحالي التنازل عن نقاط المباراة كاملة، والاستفادة من أفضلية اللعب على أرضه وأمام جمهوره.

ومع ذلك، سيكون على النجم الساحلي الحذر أمام منافس يتطور مستواه بعد أن حقق ثلاثة تعادلات تلتها ثلاثة انتصارات في آخر ست جولات، ليتقدم للمركز السابع برصيد 22 نقطة.

ويأمل الصفاقسي في تحقيق انتصار جديد والاستمرار في تضييق الخناق على النجم الساحلي المتصدر، لكن عليه تجاوز مهمة صعبة خارج ملعبه أمام مضيفه قوافل قفصة الذي يتوق للابتعاد عن منطقة الخطر.

ولن تكون مهمة الصفاقسي سهلة أمام قوافل قفصة الساعي لاستثمار انتصاره 2/صفر على الملعب القابسي في الجولة السابقة، وهو الثاني له في الموسم لمواصلة الصحوة في طريق التقدم نحو مناطق الأمان.

ويحتل قوافل قفصة صاحب النتائج المتواضعة هذا الموسم المركز 15 وقبل الأخير، برصيد 13 نقطة ويتقدم بفارق نقطة واحدة عن مستقبل القصرين المتذيل للترتيب العام.

أما الترجي الضلع الثالث في مثلث صراع القمة، فإنه سيحرص تماما على حصد النقاط الثلاث عندما يستضيف اتحاد بن قردان صاحب المركز الحادي عشر برصيد 20 نقطة.

وقال عمار السويح مدرب الترجي "سنسعى لمواصلة سلسلة انتصاراتنا في ظل المنافسة المحتدمة على اللقب، وسنبذل كل ما في وسعنا لحصد النقاط الثلاث".

وفي بقية المباريات يلتقي أولمبيك سيدي بوزيد مع مستقبل القصرين والترجي الجرجيسي مع نجم المتلوي والملعب التونسي مع البنزرتي الأحد أيضا، بينما يواجه الأفريقي فريق شبيبة القيروان ويواجه الملعب القابسي نادي مستقبل المرسى الأربعاء 2 مارس القادم.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

أطباء تونسيون يؤسسون فرقة موسيقية لعلاج مرضاهم

في بادرة هي الأولى من نوعها، أسست مجموعة من الأطباء التونسيين نواة لفرقة موسيقية داخل مستشفى عبدالرحمن مامي بالعاصمة تونس، يتكون أغلب أفرادها من عناصر طبية وشبه طبية من هواة الموسيقى والعزف، هدفها الأساسي تخفيف معاناة المرضى داخل المستشفيات التونسية عبر خلق أجواء من الفرحة والراحة النفسية بين الطبيب والمريض.

الصحة النفسية للمريض جزء من العلاج

❏ **تونس** – بادرة طريفة أقدمت عليها مجموعة من الأطباء في تونس العاصمة تمثلت في تأسيسهم مؤخرا فرقة موسيقية أغلب عازفيها ومطربيها من الإطارات الطبية وشبه الطبية، وهي بادرة تمزج بين الطابع الإنساني والفني، والتي تعود فكرتها للبروفيسور التونسي حمودة بوسن، رئيس قسم العلاج الطبي للأورام بمستشفى عبدالرحمن مامي بالعاصمة تونس، والذي أعرب عن سعادته بالنتيجة المذهلة التي رآها في عيون المرضى بعد كل حفل غنائي شهري لهذه الفرقة الموسيقية النموذجية التي أطلق عليها اسم "فرقة الأمل".

ويقول بوسن "استلهمت الفكرة من أحد تلامذتي الذين يدرسون الطب، حيث قام هذا الطبيب المقيم ذات يوم بإحضار آلة الكمنجة وبدأ بالعزف في أحد أروقة المستشفى، فأعجبتني الفكرة، وقلت في نفسي لم لا تكون هناك فعليا فرقة موسيقية في المستشفى لمساعدة المرضى على تجاوز آلامهم وكسر حاجز الخوف بين المريض والطبيب".

ويؤكد بوسن، الذي يهوى الغناء والمقامات الشرقية، أنه استعان أيضا بزملائه من محبّي الفن والموسيقى وحتى بعض المرضى الذين تعافوا من السرطان تماما وعادوا لذات المستشفى، لكن هذه المرة كعازفين لبث الأمل عند باقي المرضى وأغلبهم انخرط في نشاط هذه الفرقة الموسيقية بشكل تطوعي، حسب قوله.

وفي سياق متصل، انضم بدوره أنس زهير، وهو طالب في السنة الثالثة بكلية الطب بتونس ويحمل الجنسية المغربية، بشكل تطوعي للمبادرة الإنسانية بدعوة من أستاذه الدكتور بوسن، وعبّر عن سعادته بتقاسم أجواء الفرح والسعادة مع المرضى داخل المستشفيات خلال كل عرض موسيقي، حيث يقع بالتوازي مع النشاط الفني توزيع الحلويات والمشروبات في جو حميمي بين الأطباء ومرضاهم.

ويقول زهير إن مهمة الطبيب لا تقتصر فقط على العلاج الطبّي، بل تتجاوزه للاهتمام بالصحة النفسية للمريض وبظروف إقامته داخل المستشفى.

ويعبر الدكتور بوسن عن أمله في تعميم نشاط هذه الفرقة الموسيقية في كامل مستشفيات العاصمة التونسية خلال الشهور القادمة، ولا سيما بعد أن أثبتت التجربة نجاعتها في تخفيف آلام المرضى، خاصة أولئك الذين يخضعون لجلسات العلاج الكيميائي، حيث يجتمع الفريق الطبي بهواة الموسيقى والمرضى المقيمين في المستشفى بعد كل حفل غنائي، فيكون السرور سمتهم.

ويضيف بوسن "قمنا بالاتصال بإحدى الفرق الموسيقية النسائية، وهي جمعية الفنانات المغاربيات، المختصة في موسيقى المالوف، وعبّرت العازفات فعليا عن استعدادهن للمشاركة في النشاط الفني للفرقة الموسيقية داخل المستشفى".

وينشط الدكتور بوسن بالتوازي في جمعية خاصة بالتحسيس والتكوين في ميدان علم الأورام "أفسوما" داخل قسم الأورام بمستشفى عبدالرحمن مامي بالعاصمة تونس.

ويختم البروفيسور قائلا "آمل أن تساهم هذه البادرة في تغيير الصورة القاتمة التي يحملها المريض في تونس عن أداء الإطار الطبي وشبه الطبي داخل المستشفيات الحكومية، من إهمال للمرضى وسلوك عنيف للممرضين أو الأطباء.. نحن في خدمة المرضى، وهذا شعاري الذي أنصح به طلبتي".

حفل لـ«عبدة الشيطان» يزعزع نقيب الموسيقيين في مصر

❏ **القاهرة** – تقدم نقيب الموسيقيين المصريين الفنان هاني شاكر باستقالته إلى مجلس إدارة نقابة المهن الموسيقية، بعد الهجوم العنيف الذي تعرض له على خلفية قيامه بإلغاء حفل لـ"عبدة الشيطان".

وكانت الأزمة قد اشتعلت بعد إعلان النقابة إيقاف ومطاردة حفل موسيقي، قيل إنه من نوعية حفلات عبدة الشيطان، ليحدث الأمر جدلا كبيرا على الساحة المصرية بعدما هاجمت وسائل الإعلام المصرية بقوة هاني شاكر بداعي أن الحفل ينتمي إلى موسيقى "الميتال" ولا علاقة له بعبدة الشيطان.

و"الميتال" من ألوان موسيقى "الروك" تطور في سبعينات القرن العشرين من "البلوز" و"الهارد الروك"، ويمتاز بقوة الموسيقى وتحررها من القيود وبصوت الغيثارة القوي الذي يكون عالي التشويش مع استعمال الدرامز.

وتختلف كلمات الأغاني من نوع إلى آخر وتتحدث في المجمل عن الموت وقصص الفنتازيا والحروب والحزن، وخصوصا المشاكل الاجتماعية والسياسية.

في حين أن لعبدة الشيطان شعراء متخصصين في كتابة كلمات تمدح الشيطان، وتثير الغرائز وتلهبها، كما أن لهم ملحنين دمجوا تلك الكلمات بموسيقى صاخبة ذات إيقاع سريع.

ويجتمع "عبدة الشيطان" لممارسة طقوسهم المتمثلة في الرقص على أنغام موسيقى "الهارد روك" الصاخبة، وذبح كلاب وقطط سوداء وشرب دمائها وممارسة الشذوذ الجنسي الجماعي.

ويميز أتباع هذه الطائفة أنفسهم بوضع عصابة سوداء عريضة على معصم اليد اليمنى وارتداء ملابس وقبعات سوداء عليها صور لجماجم بشرية، وحمل حقائب وإكسسوارات تحتوي على اللونين المفضلين لعبدة الشيطان وهما الأحمر والأسود.

وتعمد الإناث من "عبدة الشيطان" إلى طلاء أظافرهن باللون الأسود ويضعن كميات كبيرة من الكحل على العينين ما يجعلها شديدة السواد، كما يستعمل الكثير منهم أسماء غريبة على غرار "عزرائيل".

ورفض مجلس النقابة استقالة شاكر، وأكد في بيان أن مجلس إدارة نقابة المهن الموسيقية يرفض "أيّ تطاول أو تجاوز على شخص أمير الغناء العربي ونقيب الموسيقيين الفنان هاني شاكر بسبب تصديه للخروج عن القيم والمبادئ، حيث أن مكانته الفنية والخلقية تعلو على المسيئين إليه".

وكان هاني شاكر نقيب الموسيقيين المصريين أكد أن النقابة منعت حفلا لـ"عبدة الشيطان" بمنطقة وسط البلد بالقاهرة.

وأفاد هاني شاكر أن النقابة تتحمل مسؤولية الحفاظ على شباب مصر من المؤامرات التي تستهدفهم، وتهدف إلى حماية الفن، والحفاظ على النشء من الوقوع في يد مثل هذه الشبكات تحت غطاء الحرية والموسيقى، واعتبر أن الحفل يروّج للفن المبتذل والانحلال الأخلاقي.

وكان الفنان هاني شاكر آخر عنقود الطرب الجميل قد أكد خلال دعايته الانتخابية لمنصب نقيب الموسيقيين أنه ضد "الفن الهابط"، واشتهر شاكر بلقب أمير الغناء العربي.

ومؤخرا أصدرت نقابة المهن الموسيقية المصرية قرارا بمنع ارتداء الفنانات الملابس العارية والمثيرة للغرائز، وإلزامهن بالصعود على خشبة المسرح بأزياء محتشمة تراعي العادات والتقاليد العربية.

ميلاني لوران تشرق بـ«غدا» في سيزار

❏ **باريس** – حصلت الممثلة والمغنية وعارضة الأزياء والمخرجة والكاتبة الفرنسية ميلاني لوران على جائزة أفضل فيلم وثائقي عن فيلمها المشترك مع سيريال ديون "غدا"، في ختام حفل توزيع مهرجان "سيزار" السينمائي السنوي في دورته الحادية والأربعين الجمعة بمسرح "شاتليه" بباريس، وتم منح النجم العالمي مايكل دوغلاس جائزة شرفية تكريما لمشواره السينمائي.

وفازت الممثلة الشابة زيتا هانرو بجائزة أفضل ممثلة مستقبلية عن دورها في فيلم "فاطيما"، فيما نال رود بارادوا جائزة أفضل ممثل مستقبلي عن فيلم "الرأس المرفوعة".

يشار إلى أن مهرجان "سيزار" السينمائي، الذي تنظمه أكاديمية الفنون وتقنيات السينما الفرنسية، هو الأقدم والأضخم في فرنسا في تقييم الأفلام الأجنبية والفرنسية وأطلقه فنان النحت الفرنسي "سيزار" عام 1976 لتكريم نجوم الفن السابع.

وشهدت جوائز سيزار لهذا العام تنوعا عرقيا كبيرا، في الوقت الذي ثار فيه الجدل حول أن المرشحين لجميع الفئات الرئيسية في التمثيل في جوائز الأوسكار من البيض.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

كوميديا سياسية

❏ تلجأ الحكومات أحيانا إلى تجميل صورتها، فتثير الضحك والسخرية رغما عنها، ويبدو أن في كل دولة جهازا مسؤولا عن المكياج السياسي للوزراء والمسؤولين.

في عصر مبارك مثلا ازداد احتقان الإخوة الأقباط في مصر، وشعروا أنهم مهمشون، فثاروا واحتجوا. تفتقت عبقرية الماكيير السياسي للنظام عن قصة مازالت تثير النكت، فقد أوقفوا رجلا قبطيا فقيرا ومعه أولاده الأربعة وطفل خامس على ذراعه في الطريق الذي يسير فيه موكب الرئيس في الإسكندرية، أشار الرجل بيده للرئيس فدعاه للاقتراب منه، ولبّى طلبه بعلاج أولاده على نفقة الدولة وإيجاد عمل دائم له في أحد مصانع رجال الأعمال بمنطقة العامرية.

خرجت الصحف في اليوم التالي تشيد بإنسانية الرئيس، وعدم التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، ثم اتضح أن بطل القصة الإنسانية مدير عام في بنك استثماري كبير، ويتقاضى مرتبا يزيد عن 20 ألف جنيه عام 2008.

الآن في عهد الرئيس السيسي نجمت مشكلة حادة بين الفلاحين ووزارة الزراعة على سعر توريد بعض المحاصيل مثل القمح والأرز، فوجئنا بالرئيس يتوجه إلى منزل أحد الفلاحين ويتناول معه الشاي، ويسأله عن الأسعار المعقولة التي يريدها المزارع لمحصوله، وأجابه الرجل أن السعر الذي تعرضه الوزارة علينا أفضل من الأعوام السابقة بكثير وهو عادل، لكننا نريد الزيادة حتى نستطيع أن نسدد أقساط بنك التسليف الزراعي الذي يقرضنا بضمان المحصول لشراء الأسمدة وما تبعها..

شاهدنا حوار الرئيس مع الفلاح المثقف الواعي المدرك لاقتصاديات السوق، بعد يومين عرفنا أنه وكيل وزارة، وقامت الرئاسة بشراء "إكسسوارات" المقابلة من "جلابية" و"كوفية" لزوم الحكاية.

آخر الصيحات كان ما أعلنته وزارة الداخلية أن مسنًا اتصل بشرطة النجدة ورقمها 122 يشكو جوعه وبؤس حاله، فقامت الوزارة بإرسال أغذية ومساعدات مالية له، هذا العجوز وهمي، فلم يفصحوا عن اسمه، أو عنوانه، أو ينشروا صورا لمقابلة له مع أيّ صحافي أو صحافية. الغرض كان تحسين صورة وزارة الداخلية التي ساءت جدا بعد قيام عدد من أمناء الشرطة بقتل مواطنين في مشاجرات، والتحرش بالسيدات وتهديد المارة بالأسلحة "الميري"!

ولأن المصريين شعب دمه خفيف، فقد انتشرت التعليقات على هذه الواقعة على الفيسبوك والتويتر، فقال أحدهم إنه اتصل بشرطة النجدة لأنه يريد شقة يتزوج فيها لأن زواجه مهدد بالفشل، واتصلت سيدة قائلة إن الخادمة التي تساعدها في أعمال المنزل لم تحضر اليوم وتريد بديلا، وغيرها من التعليقات الساخرة.

يا حبذا لو يتوقف الجميع عن هذا "المكياج السياسي"، لأن الذي يقوم به في كل الأحوال "غشيم"، ويجعل الحكومة أشبه بالعروس الدميمة التي وضعت مكياجا ثقيلا على وجهها لتبدو جميلة في عين العريس وعائلته، لكن حظها السيء جعل السماء تمطر، فساحت الألوان، وهرب العريس خوفا من الوحش الذي سيشاركه الفراش كل ليلة!